

المشير
محمد عبد الحليم أبو غزالة
مسيرة حياة

أميرة فكرى




كتاب الجمهورية

مايو ٢٠١٠

www.gombook.net.eg

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير

علي هاشم

ALIHASHEM@ELTAHRIR.NET
E-mail:aly_hashem@gitc.com.eg

المشير

محمد عبد الحليم أبو غزالة

مسيرة حياة

أميرة فكري

دار الجمهورية للصحافة

١١١ ــ ١١٥ ش رمسيس
ت : ٢٥٧٨٣٣٣٣

مايو ٢٠١٠



تصميم الغلاف الفنان : صالح صالح

أسعار البيع فى الخارج

سوريا	٣٠٠ ل.س
لبنان	١٢٠٠ ل.ل
الأردن	٤٫٥ دينار
الكويت	٣ دنانير
السعودية	٣٠ ريالاً
البحرين	٣ دنانير
قطر	٣٠ ريالاً
الإمارات	٣٠ درهماً
سلطنة عمان	٣ ريالات
تونس	٦ دنانير
المغرب	٩٠ درهماً
اليمن	٩٠٠ ريالاً
فلسطين	٦ دولارات
لندن	٦ جك
أمريكا	١٥ دولاراً
استراليا	١٥دولاراً استرالياً
سويسرا	١٥فرنكاً سويسرياً

الاشتراك السنوى

داخل جمهورية مصر العربية
١٨٠ جنيهاً
الدول العربية ٩٠ دولاراً امريكياً
اتحاد البريد الافريقى واوروبا
١١٥ دولارا امريكياً
امريكا وكندا
١٣٥ دولارا امريكياً
باقى دول العالم
١٧٥ دولارا امريكياً

إذا وجدت اى مشكلة
فى الحصول على
«كتاب الجمهورية»
وإذا كان لديك اى مقترحات او ملاحظات
فلا تتردد فى الاتصال على ارقام :
٢٥٧٨١٠١٠ ٢٥٧٨٣٣٣٣
http://www.eltahrir.net

الإهداء

إلى روح القائد الإنسان
المشير أبو غزالة
وأسرته الغالية
إلى أبناء دفعة عام ٤٩ حربية.. وعلى رأسهم

السيد الرئيس

محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

الصديق والزميل ورفيق سنوات الكفاح..
إلى زملاء المشير الراحل وأصدقائه
وتلاميذه ومحبيه..
إلى كل من يبحث عن قدوة حسنة
يحتذى بها فى الحياة..
إلى الجيل الحالى وجيل المستقبل
أهدى هذا الكتاب

أميـرة فكـرى

مقـــــدمة

إنهم قلة.. قلة من يصنعون التـاريخ ويصوغون أبجدية الأحداث.. فى زمن الانكسارات والهزائم.. كانوا بحارة مهرة يقودون الأمة فى خضم الأمواج المتلاطمة.. وفى زمن الانتصارات.. كانوا ومازالوا شموساً تشرق باشعتها الوهاجة المعطاءة.. إنهم رجال القوات المسلحة الأجلاء.. ومن هؤلاء القادة العظماء.. القائد الإنسان والمفكر الإستراتيجى وابن المدفعية الراحل المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة، وزير الدفاع والإنتاج الحربى السابق.. والذى رحل عنا بعد رحلة حافلة من البطولات والإنجازات..

المشير أبوغزالة حظى باحترام وحب شديدين.. وتميز بخبراته العسكرية الهائلة وإحاطته الواسعة بالعلوم العسكرية.. واعتبر من أفضل الوزراء الذين عملوا بجد وإخلاص مع الرئيس الراحل السادات والرئيس حسنى مبارك..

.. رحلة إعداد الكتاب اقتربت من العام، حاولت فيها الغوص فى شخصية هذا الرجل العظيم.. الذى أحبه الجميع داخل وخارج صفوف القوات المسلحة .

وبرغم مشقة البحث والتنقيب فى تاريخه والبحث عمن عاصروه وعرفوه عن قرب.. فإننى كنت سعيدة وأنا أنهل من سيرته.. فعلى الرغم من إصدار عدد من الكتب القليلة عنه، فإنها ـ فى رأيى ـ لم تلق الضوء بشكل كافٍ على إنجازاته فى القوات المسلحة قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر المجيدة.. وهذا ما سعيت لإنجازه فى هذا العمل، بالإضافة لتسجيل شهادات وذكريات كل من علمت أنه كان يعرفه.. سواء من أسرته.. أو أصدقائه.. أو زملائه.. أو تلاميذه.. أو من خدموا، أو تعاملوا معه..

والحمد لله.. وبعد محاولات كثيرة مضنية، استطعت التسجيل مع كثير ممن عرفوه عن قرب.. بعد رحلة بحث شاقة عن زملاء الدراسة والميدان والعمل والحياة الخاصة والعامة..

ومن المقابلات التى أثَّرت فىَّ.. لقائى بطباخه الخاص "عم محمد مرسى "والذى حظى بمعاملة خاصة من المشير أبوغزالة وأسرته.. معاملة أساسها الحب والاحترام، حتى أن أسرة المشير أبوغزالة سمحت له بان يكون موجوداً أثناء إنهاء إجراءات جنازة المشير.. ومن مفارقات القدر أن يقوم باداء فريضة الحج فى العام قبل الماضى على نفقة المشير أبوغزالة وأسرته ثم كان أول من لحق به إلى الرفيق الأعلى.. وذلك بعد تسجيلى معه بمدة تقل عن الشهر..

رحلة أخرى كانت البحث عن أسرة المشير أبوغزالة، والتسجيل معها، ولكن المحاولات كلها باءت بالفشل.. ربما لأن أسرته لم تخرج من أحزانها بعد.. وربما لانشغالهم وضيق الوقت، أو لتخوفهم من التعامل مع الكُتَّاب والهدف من نشر الكتاب، فقد سبق إصدار أكثر من كتاب لم يتناول أصحابها حقيقة الشخصية كما ينبغى، وكان بها كثير من الافتراءات والتطرق لموضوعات مبنية على تخمينات وأهواء شخصية وشائعات.. أو ربما لاحتفاظهم بذكرياتهم معه لإصدارها فى كتاب يعده أحد أفراد الأسرة كما يردد البعض..

شرفت بالتسجيل مع شخصيات مهمة وعامة، ولها علاقة بالمشير أبوغزالة وبتاريخ مصر.. شخصيات آثرت أن تعيش فى صمت، بعيداً عن بريق وسائل الإعلام، ولكن أمام حبهم للمشير أبوغزالة وإيمانهم بالهدف من مثل هذا الكتاب الذى يقدم قدوة للشباب.. فقد وافقوا على تسجيل شهاداتهم للتاريخ.. وتبقى كلمة أخيرة وهى أننى لم أتمكن من تسجيل ذكريات سكرتيره وبعض أصدقائه وزملائه المقربين، على الرغم من تمكنى من الاتصال بهم ووعدهم لى بالتسجيل.. ولكن تعذرت المقابلة ولم أتمكن من التسجيل، إما لظروف المرض أو السفر أو لظروف خاصة بهم..

هذا الكتاب بذرة لعمل آخر يتناول شخصية المشير أبوغزالة من جانب آخر، ويغوص فى الموضوعات والأحداث التى لم أتطرق لها بشئ من التفصيل، فربما أستطيع أن أغطيها فى كتاب آخر أو طبعة أخرى من هذا الكتاب..

هذا الكتاب من التاريخ وللتاريخ وأقل هدية يقدمها أحباء المشير إليه بعد رحيله عن عالمنا.

أملى أن ينال الكتاب رضا الجميع.. وأشكر كل من قاموا بتسجيل شهاداتهم أو مساعدتى فى ترشيح مصادر أو تذليل عقبات أو التوجيه والإرشاد لى خلال رحلتى فى إعداد الكتاب.. وخاصة رؤساء أركان حرب القوات المسلحة ،ومساعدى المشير الراحل وزملائه وتلاميذ المشير أبو غزالة الذين عملوا وتعاملوا معه خلال فترة قيادته للقوات المسلحة وسجلوا شهاداتهم فى هذا الكتاب..

وكل الشكر أيضاً للجهات التى قامت بالمراجعة داخل القوات المسلحة وجزيل الشكر للسيد وزير الدفاع والإنتاج الحربى المشير حسين طنطاوى على التصديق بنشر الكتاب أسوة بكتبى السابقة..

ولا أنسى الشكر لزملائى وأصدقائى الذين ساعدونى فى البحث عن مصادر أو الحصول على صور.. وأخيراً أسرة كتاب الجمهورية، خاصة الكاتب الصحفى الأستاذ على هاشم رئيس تحرير كتاب الجمهورية، ورئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر.. وشكراً لكل القراء الذين يسعون للتعرف على رجال لابد أن يعرفهم الجميع.. وفق الله الجميع ومنحهم القدرة على العطاء الدائم.. فمصر مازالت بخير لا تنضب ولاتزال قادرة على إنجاب الأبطال والرجال الحقيقيين..

أميرة فكرى

الفصل الأول



النشأة والحياة العسكرية

- المشير أبوغزالة فى سطور
- الطفولة والنشأة
- العائلة
- تعليمه
- أهم سماته
- بين الكلية الحربية.. وكلية الهندسة
- من أبناء الدفعة ٤٩
- الفريق عبدرب النبى حافظ، الوزير توفيق عبده إسماعيل، اللواء حسنى السبع والسيد جمال الليثى.
- الدفعة ٤٩ "دفعة الكوليرا".. دفعة العظماء
- الدفعة ٤٩ وحرب فلسطين.

من المسلم به أن تكون الأمانة فى تسجيل التاريخ صفة جوهرية فى المؤرخ، ولكن كتابة التاريخ ليست من الأمور السهلة التى تتأتى لكل الناس، فالكثير من الحوادث التاريخية لم يحظ بالتسجيل والتدوين فتركها التاريخ خلفه طى النسيان، وعند البحث لا يجد المؤرخ بدأ من انتقاء المراجع والمصادر التى يثق فيها لينهل منها ويدون الأحداث، والاعتماد فى كتابة التاريخ يكون على روايات وأخبار تناقلها الناس والجماعات فى مختلف العصور، منها ما دُوِّن فى وثائق ومخطوطات، ومنها ما لم يحظ بالسرد والتفصيل، ومنها ما يمكن استنباطه من بين طيات المعانى.. "

"من كلمات المشير أبو غزالة فى أحد كتبه العسكرية"

المشير ابوغزالة .. في سطور

ولد المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة فى الأول من يناير ١٩٣٠ بقرية زهور الأمراء، مركز الدلنجات، بحيرة.. عاش طفولة هادئة سعيدة.. حصل على المركز الثالث عشر فى الشهادة الثانوية العامة"التوجيهية وقتها"، فى مصر متفوقاً على أقرانه فى مواد: الرياضيات واللغة العربية واللغة الإنجليزية.. التحق بالكلية الحربية وتخرج فيها أول فبراير عام ١٩٤٩، اختار سلاح المدفعية الذى يناسب قدراته وحبه لمادة الرياضيات وانضم إليه..

اشترك فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨.. فى نهايتها قبل الهدنة بأيام قليلة.. سافر فى بعثة دراسية عسكرية إلى موسكو عام ١٩٥٧، وعاد عام ١٩٦١ ليعمل فى فرع التعليم بمعهد المدفعية، ثم تولى رئاسة هذا الفرع خلال حرب يونيو ١٩٦٧.. لم يشترك فى حرب يونيو ١٩٦٧، لكنه شارك فى حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ١٩٧٣، وأبلى بلاءً حسناً..

عمل قائداً لمدفعية الجيش الثانى الميدانى فى حرب أكتوبر، ثم عُيِّن عقب الحرب رئيساً لأركان إدارة المدفعية.. اختير ملحقاً عسكرياً فى الولايات المتحدة فى يوليو ١٩٧٦، وحتى ١٩٨٠، عمل خلالها على تنظيم المساعدات العسكرية لمصر، وتحسين العلاقات مع الأمريكان، والقيام بدور رائع سجله التاريخ.. عين وهو فى هذا المنصب، مديراً للمخابرات الحربية، لكنه لم يستمر فيه طويلاً، حيث أصدر الرئيس أنور السادات بعدها بأيام قليلة قراراً

جمهورياً بتعيينه رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة، كما أصدر الرئيس الراحل قراراً جمهورياً بترقيته لرتبة الفريق فى ١٥ مايو ١٩٨٠.

استمر فى هذا المنصب حتى وفاة الفريق أحمد بدوى فى حادث طائرة، وبوفاة وزير الدفاع تولى قيادة القوات المسلحة خلفاً له.. وذلك فى عام ١٩٨١، واستمر فى العطاء والعمل الجاد وقدم كل ما يستطيع تقديمه من أجل خدمة مصر والقوات المسلحة ونجح ومن معه فى إحداث تغييرات وإضافة امتيازات داخل صفوف القوات المسلحة لم تكن موجودة من قبل خلال فترة خدمته، وتتوالى الأحداث والأزمات وتثبت براعته فى مواجهتها، وبتوجيه من رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك، زميله وصديقه.. ومن الأحداث المهمة التى تجاوزها " اغتيال الرئيس السادات، وحادث الأمن المركزى، ومباحثات السلام المصرية - الإسرائيلية، وعودة طابا، وحرب الخليج الأولى.. وغيرها من الأحداث المحلية والعربية والعالمية".. واستمر فى منصبه نحو تسع سنوات، توج بعدها حياته العملية بمنصب مساعد السيد رئيس الجمهورية، وذلك فى أبريل ١٩٨٩، ويظل يخدم بكفاءته المعتادة حتى اعتزل العمل العام بعد إحساسه ببوادر المرض وذلك فى عام ١٩٩٣.. وانصرف بعدها عن الحياة العامة تماماً، واختار أن يقضى حياته فى صمت بعيداً عن صخب الحياة السياسية متفرغاً لإعداد كتبه والترجمة وممارسة رياضته المفضلة والقيام بواجباته الاجتماعية التى قصر فيها من قبل لانشغاله فى عمله..

نجح المشير أبوغزالة فى إعداد مراجع مصرية يقوم معظمها على الترجمة، وكانت نواة ثورة عسكرية فكرية فى قواتنا المسلحة.. من أهم مؤلفاته العسكرية "وانطلقت المدافع عند الظهر".. عن دور المدفعية فى حرب رمضان و«القاموس العلمى فى المصطلحات العسكرية».. قدم وألف وترجم العديد من الكتب العلمية والعسكرية والسياسية.. وفتح أبواب العلوم الحديثة أمام المقاتل المصرى..

حصل المشير أبوغزالة على العديد من الدراسات والدورات العلمية والتخصصية العسكرية والمدنية.. منها دراسات عسكرية من روسيا، ودبلوم الشرف من كلية الحرب الأمريكية.. وكان أول ضابط غير أمريكى يحصل

على هذا الدبلوم.. تخرج فى كلية الحرب وأكاديمية ناصر العليا .. حصل على بكالوريوس التجارة من جامعة القاهرة، وماجستير إدارة الأعمال من الجامعة الأمريكية.. أجاد اللغات العربية، الإنجليزية، بالإضافة للغة الروسية التى أجادها إجادة تامة مما ساعده على ترجمة الكتب المتخصصة والمهمة..

المشير أبوغزالة تزوج من السيدة أشجان صالح، ورزق منها بستة أبناء.. ثلاثة أولاد وثلاث بنات.. توفى أكبر أبنائهما فى سن العاشرة واحتسباه عند ربهما .. جميع أبنائه يعشقون العلم.. وورثوا عنه كل صفاته من حب العلم والأخلاق الحميدة.. سمعتهم الطيبة التى ورثوها عنه مازالوا يستظلون بفروعها هم وأبناؤهم.. ومازالت الشجرة تنمو والعائلة تكبر.

البداية والطفولة

مع بداية عام جديد.. وأثناء أذان فجر أول يناير عام١٩٣٠.. فى قرية "قبور الأمراء"[١].. مركز الدلنجات مدينة دمنهور محافظة البحيرة [٢]. انطلقت صرخات المولود "محمد" للسيد عبدالحليم أبوغزالة.. وحرمه الحاجة مبروكة.. أسرة طيبة من فلاحى عائلة ترجع أصولها إلى قبائل أولاد على. امتازت هذه العائلة بالتدين الشديد والأصالة والكرم وعُرف عنها حب العلم والمعرفة والتمسك بالأصول الريفية الأصيلة، مما جعلَها تتبوأ مكاناً مرموقاً بين سائر العائلات الأخرى.. ومن خلال هذه العائلة رضع الطفل أبوغزالة السلوك القويم والمبادئ الكريمة حتى أصحبت متغلغلة فى كل خلية من كيانه.. نما وشب على تعلم أخلاقيات أبناء الريف البسطاء الأذكياء بالفطرة.. ولم يتكبر على أحد طيلة حياته رغم اعتلائه لأرقى الوظائف..

بالعودة لأسرته ثانية.. نجد والده السيد عبدالحليم أبوغزالة وصل إلى درجة المدير العام فى مصلحة التليفونات بالإسكندرية.. وأمه الحاجة مبروكة زعتر لم تعمل لكنها أحسنت تربيته هو وإخوته.. له شقيق واحد هو الدكتور يحيى وثلاث شقيقات هن السيدات: رحاب ووداد وبثينة..

مرت طفولة محمد أبوغزالة بهدوء وسلام، كان فيها تلميذاً نبيهاً، ذكياً، ومحبوباً من الجميع، تنبأ له معلموه بأنه سيكون ذا شأن فى يوم من الأيام- وقد كان- فالقيادة تصنع ولا تورث كما كان يقول الفريق الشهيد عبد المنعم رياض [٣].

---

(١) نجح المشير أبوغزالة فى تغيير اسمها بعد ذلك إلى زهور الأمراء، بعد توليه منصب وزير الدفاع.

(٢) إحدى محافظات الوجه البحرى فى مصر، أنجبت العديد من رجال الفكر والأدب والسياسة والعسكرية البارزين. من أشهر أبناء البحيرة الإمام محمد عبده والعالم الدكتور أحمد زويل، والإعلامى عمر بطيشة والزعيم عمر مكرم والإمام محمد الغزالى والشيخ محمود شلتوت والدكتور مصطفى الفقى والدكتور أحمد الجويلى والمفكر عبد الوهاب المسيرى وغيرهم من الرموز.

(٣) وجدت سمات كثيرة مشتركة بين الفريق الشهيد عبدالمنعم رياض، وبين المشير أبوغزالة من عبقرية وذكاء وقيادة ووطنية وحب الناس داخل وخارج صفوف القوات المسلحة.

اشتهر محمد أبو غزالة فى قريته باسم ثروت.. اعتادت أسرته وأهل قريته أن ينادوه بهذا الاسم منذ صغره.. .

يقول الحاج فوزى محمد غزالة «٨٢ سنة»، عم المشير أبوغزالة:" إن ثروت أو محمد لم يكن ابن أخى فقط، بل كان أخى وصديقى المقرب؛ لأن فارق السن بيننا لم يكن سوى ثلاث سنوات لصالحى.. كنا ١٤ أخاً وأختاً، ٧ أولاد ومثلهم بنات، وكان عبدالحليم والد ثروت هو أكبرنا، وعندما رزق بابنه فرح به فرحاً شديداً وسماه أبوغزالة، بدلاً من «غزالة» لقب العائلة، كان ثروت تلميذاً متفوقاً، يحب لعب الكرة جداً وكان أهلاوياً صميماً..

كنت ألعب أنا وهو بجوار ترعة الحاجر-ذات يوم- وكنت أجيد السباحة بينما هو لم يكن كذلك، ونزلت الترعة للاستحمام فأصر على النزول، وبعد لحظات وجدته يغرق، فصرخت وجاء عمنا عبدالعظيم لإنقاذه فتعلم السباحة بعدها، وكان فى هذا الوقت فى الصف الأول الثانوى [1].

نعود للطفل محمد عبدالحليم أبوغزالة وعن تعليمه نجده حصل على الشهادة الابتدائية من مركز الدلنجات.. عرف القراءة صغيراً وزادت قراءاته ونضجت موهبته مع بداية مرحلته الدراسية الثانوية، فتمسك بها واستمر يقرأ ويلتهم ما تصل إليه يداه فى مختلف المعارف والعلوم والأدب والشعر.

كانت أولى علامات التفوق وقطف ثمار العلم فى امتحان التوجيهية، فى مدرسة عمر مكرم فى دمنهور، إذ نجح الطالب محمد بتفوق، وجاء ترتيبه الثالث عشر على مملكة مصر عام ١٩٤٧ وهو فى الخامسة عشرة من عمره..

الشاب محمد عبدالحليم أبوغزالة كان يرغب فى الالتحاق بكلية الهندسة، حيث كان عاشقاً لمادة الرياضيات. ولكن احتراماً لرغبة والده الذى حلم بأن يكون ابنه ضابطاً يخدم بلده ويتباهى به وسط قريته وأقاربه.. فإنه قدم أوراقه للكلية الحربية لتحقيق هذا الحلم..

وقبل أن نتجه إلى التأهيل العسكرى ودخوله الكلية الحربية، وجب أن نشير إلى اهتماماته المبكرة بالقيادة وحبه للسياسيين والوطنيين، ومشاركته فى إحدى المظاهرات الخاصة بالإصلاح فى بداية شبابه..

---

(١) جريدة المصرى اليوم ٢٠٠٨/٩/٩.

من أرشيفه الصحفى، يقول المشير أبوغزالة: "فى سنوات العمر الأولى فى الثانوية، حدثت أيام صدقى باشا أزمات سياسية، وكانت فيها مظاهرات من المدارس وأنا بطبيعة الحال شاركت فيها، فقد كانت هناك بعض الدوافع.. ولكن أستطيع أن أقول إنها اتجاهات سياسية، فالأمور التى تحدث فى بلدنا تثيرنا كشباب صغير، فتحدث مظاهرات أو هتافات، ولكن لا أستطيع أن أقول إنه كان عندى ميول سياسية معينة".. وبانتهاء كلماته التى ينفى فيها أية ميول سياسية لديه.. تكون بدايتنا مع الكلية الحربية وانغماسه فى العالم العسكرى..

الكلية الحربية

منذ اللحظة الأولى التى خطا فيها الطالب محمد عبدالحليم أبوغزالة بقدمه أعتاب الكلية الحربية، نالت تلك الكلية إعجابه وهو لا يزال يكتشف طبيعة الدراسة فيها.. ومن ثم فقد تأقلم سريعاً مع العالم العسكرى رغم صعوبته واختلافه كثيراً عن الحياة المدنية، واكتشف حباً جديداً لم يختبره من قبل رغم أنه رضعه سابقاً فى طفولته من ثدى أمه، ألا وهو حب الوطن.. وبدا عليه النبوغ منذ السنة الأولى.. وعلى الرغم من أنه الأصغر بين أبناء دفعته فى الكلية الحربية، فإنه كان من المتفوقين فيها غالباً، وتشهد أحداث شبابه انفتاحاً فكرياً واضحاً، ظهر فى متابعته للفنون والآداب والقصص.. وخلال سنوات دراسته بالكلية الحربية كان دائماً ينجح بتفوق، ويسأل أسئلة تلفت نظر المعلمين إليه وتدل على عبقريته وذكائه والتنبؤ بأنه سيكون ضابطاً عظيماً، هو وكثير من زملائه فى الدفعة، والذين تبوأوا مراكز عظيمة فيما بعد -على قمة هذه الأسماء.. الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية، والفريق عبدرب النبى حافظ رئيس أركان حرب القوات المسلحة السابق، ووزير السياحة والطيران المدنى السابق توفيق عبده إسماعيل، والسفير حسن أبوسعدة، والمنتج السينمائى جمال الليثى.. والوزير عوض هلودة رئيس الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء سابقاً، وعدد ليس بقليل من القادة والرجال أصحاب البصمات الكبيرة فى حرب أكتوبر ومصر كلها.. والجميع كانوا من أعز أصدقائه حتى رحيله وغيرهم كثيرون..

تخرجت الدفعة عام ٤٩ فى أول فبراير عام ١٩٤٩.. بعد بداية حرب

فلسطين بعام واحد، والتحق أبوغزالة «ملازماً ثانياً» بسلاح المدفعية الذى يتناسب مع قدراته وذكائه الحاد وتفوقه فى مادة الرياضيات.. فالمعروف أن سلاح المدفعية يعتمد دائماً على المعرفة والبحث والتجربة والأرقام والحسابات الدقيقة..

خلال وجود الطالب محمد عبدالحليم أبوغزالة بالكلية الحربية لم تَعُقْه الدراسة عن ممارسته لعشقه الأول "القراءة"، فاستمر يقرأ باللغة العربية والإنجليزية فى العسكريات والفنون والأدب والعلوم والتاريخ والجغرافيا الاقتصادية بفهم واستيعاب لما تصدره الكتلتان الغربية والشرقية.. فالقراءة عنده -كما كان يقول-: "زاد وقيم ووعى وارتقاء".

ونتيجة لذلك فقد ارتقت به القراءة عبر مواقعه التى شغلها، فظل أكثر مرونة وعطاءً فى تجديد سبل الحياة.. لم يتعال على زملائه.. ولم يَزُهُ بقدراته الفكرية، متألقاً بنسيجه البشرى بين فصائل الرجال القليلة القادرة على ضبط حواسهم وإرادتهم، مالكاً لخصال رفيعة متميزة بدفء التآخى والضمير اليقظ والقلب الحنون، وامتزجت هذه المشاعر كلها بعزة النفس والحزم والصراحة المحكومة بالحسم، مستمداً يقظته من أصالة هذه الأسلحة الإنسانية الراقية [١].

فى الكلية الحربية ومن خلال دراسته وعلاقاته الاجتماعية بأساتذته وزملائه، أصبحت العسكرية -كما كان يقول - جزءاً مهماً من حياته، بل أهم ما فى حياته [٢].

وعن هذه الفترة ما يذكره أبناء الدفعة الـ٤٩ عن ذكرياتهم وعلاقتهم بالمشير أبوغزالة، يقول الفريق عبدرب النبى حافظ رئيس أركان حرب القوات المسلحة السابق: [٣]..

"بدأت معرفتى بالمشير أبوغزالة، لحظة التحاقنا بالكلية الحربية عام ١٩٤٧ .. جمعنا القدر فى سرية وفصل تعليمى واحد طيلة سنوات الدراسة،

(١) حمدى لطفى . جريدة الأنباء يناير ١٩٨٧ .
(٢) صبرى أبو المجد.. مجلة مايو . أكتوبر ١٩٨٧ .
(٣) قائد الفرقة ١٦ خلال حرب أكتوبر وقائد الجيش الثانى ورئيس هيئة العمليات ورئيس اركان حرب القوات المسلحة سابقاً.

وبحكم وجودنا المستمر معاً، تدعمت صداقتنا وتوثقت علاقتنا بصورة كبيرة.. امتدت منذ ذلك الحين وحتى وفاته.. ما يزيد على ستين عاماً من الزمالة والصداقة والأخوة الوثيقة..

أبوغزالة - فى ذلك الوقت - كان يمثل لى الزميل الشاب الريفى المثقف بكل ما يحمله من معان حقيقية وسامية، كان محباً للقراءة.. ومن السمات المميزة له خلال هذه الفترة، تفوقه فى مادة الرياضيات التى كان يعشقها بشدة.. وهذا سر نجاحه فى سلاح المدفعية..».

ننتقل لزميل آخر في الكلية الحربية هو اللواء حسنى السبع.. والذى يتذكر سنوات الدراسة قائلاً:

التحقت بالكلية الحربية بناءً على رغبتى.. كنت قادماً من الريف.. الدفعة لم يكن لها أرقام مثل الآن، بل كانت تسمى بالعام الذى نحن فيه..

لم يتم تدريبنا بالصورة المطلوبة، ولم توجد خطة لإتمام برنامج الدراسة كاملاً بنفس أسلوب ومستوى الدفعات السابقة؛ لأنهم كانوا يؤهلوننا لسد خسائر حرب ٤٨، وحتى نكون احتياطياً للدفعة ٤٨ فى فلسطين.. أخذنا المقررالأساسى فقط فى الكلية.. وتعلمنا قيم وأسس ومبادئ العسكرية السليمة وكان معلمونا على خلق وكفاءة عالية..

ومن أتذكرهم من معلمينا فى هذه الفترة.. الفريق محمد فوزى الذى كان يدرس لنا مادة التاريخ العسكرى واللواء جمال حماد واللواء أحمد توفيق عبدالنبى، وكلهم كانوا على أعلى مستوى وظهر ذلك فى توليهم مناصب كبيرة التى كشفت عن مكامن شخصياتهم الفذة فيما بعد، والسبب فى تميز هذه الدفعة رغم تقليل وتكثيف المواد وضيق الوقت، أننا تعلمنا الأساس السليم، وتم وضعنا على أعتاب الطريق الصحيح.

التحق أبوغزالة بسلاح المدفعية الذى يناسب قدراته وتفوقه الرياضى، والتحقت أنا بسلاح المشاة، ومن الزملاء الذين كان لهم ظهور واضح أبو غزالة وتوفيق عبده إسماعيل وكان الاثنان من الشخصيات البارزة اللامعة الذكية النبيهة والمتميزة والمحبوبة أيضاً.. أبوغزالة كنا نعتز به كإنسان وكطالب ممتاز علماً وخلقاً وعسكرياً، مما أهله للحصول على رتبة وهو فى الكلية وقيادة الطلبة وزملائه.. (يعنى من يومه وهو قيادى).. والتفوق الأخلاقى كان له درجة ودور لا يقل عن التفوق العلمى والعسكرى.

اتجهت للوزير توفيق عبده إسماعيل [1] أستمع إلى شهادته وذكرياته التى يسترجعها معنا قائلا:

عندما انتهيت من امتحان التوجيهية فى يونيه ١٩٤٧ .. كانت العائلة والمحيطون جميعاً يتمنون أن يكون اتجاهى لدراسة الطب، وعندما ظهرت النتيجة لم يكن المجموع الذى حصلت عليه يؤهلنى لدراسة الطب والهندسة، وفوجئت بالوالد يقرر تقديم أوراقى لكلية واحدة (الكلية الحربية)، حيث كان مقتنعاً أن قدراتى تفوق كثيراً المجموع الذى حصلت عليه، والسبب يعود إلى اشتغالى بالسياسة والمظاهرات التى كانت سمة رئيسية لدى غالبية الشباب فى هذا الوقت.. وتم قبولى بالكلية إلا أن الدراسة تأخرت شهراً عن موعدها نظراً لانتشار وباء الكوليرا لدرجة أن الدفعة التى سبقتنا «سمّتنا» دفعة "الكوليرا"، وكانت هذه الدفعة الوحيدة فى الكلية عند التحاقنا بها، حيث لم تقبل الكلية طلبة جدداً ما بين عامى ١٩٤٢ و١٩٤٥، لذلك كان أفراد هذه الدفعة يتولون مناصب (باشجاويش الكلية وباشجاويشية وشاويشية السرايا والفصائل وأومباشية الجماعات).

وكانت لقاءاتى الأولى مع الطالب المستجد محمد عبدالحليم أبوغزالة لقاءات تعارف، كنا قادمين من الريف، هو من البحيرة وأنا من الدقهلية، وكان تقارب سلوكنا وعاداتنا سبباً فى لقائنا وصداقتنا.. ورغم أننا لم نشترك فى جماعة أو فصيلة أو سرية معاً.. فإننا كنا نتقابل فى أوقات الراحة نذاكر بعض العلوم ونراجعها أو نتحدث عن مستقبلنا خصوصاً بعد أن تقرر تخريج الدفعة السابقة لنا فور انتهاء السنة الثانية وعدم استكمال دراستها للسنة الثالثة لقيام حرب فلسطين فى مايو ١٩٤٨ والحاجة الماسة لضباط.. ولذلك تم تقديم موعد اختبارات السنة الأولى لنا شهرين تقريباً، وتم تقصير إجازتنا السنوية إلى أسبوعين فقط، عدنا بعدها لنستمع لنتيجة الامتحان، وكان ترتيبى الثانى؛ مما أهلنى لأكون باشجاويش للسرية الرابعة، وترتيب أبوغزالة أهله ليكون أومباشى فى السرية الثانية.. فى الجيش يطلقون على تلك الرتب لفظ "صف ضباط" من الصول أعلى رتبة إلى وكيل أومباشى أقل رتبة"، ولصف ضباط الكلية الحربية امتيازات

---

(١) وزير السياحة والطيران المدنى وعضو مجلس الشعب عن دائرة دكرنس بالدقهلية سابقاً ومن الضباط الأحرار.

خاصة يتمتعون بها، حيث يخضع لهم فى الأوامر من هم أدنى منهم درجة، بينما كانت الأقدمية بيننا فى السنة الأولى على أساس من تقدم بأوراقه أولاً لدرجة أن الطلبة سموها أقدمية (التورنكروفت) وهى ماركة الأتوبيسات العامة المستخدمة فى القاهرة حينئذٍ؛ لأنها توصلك للكلية أسرع بدقائق من خطوط الترام..

المهم زادت لقاءاتنا أنا وأبوغزالة خصوصاً عندما تقرر فى يناير ٤٩ إجراء اختبار نهائى للدفعة وتخرجها، وكان نقاشاً حول الأسلحة التى نود الالتحاق بها، وكان إعجابه متزايداً بسلاح المدفعية، أما أنا فكان اختيارى الوحيد هو الفرسان، (المدرعات الآن).

وانتهت الاختبارات، وتقدم ترتيب أبوغزالة إلى المركز الثانى عشر.. أقيم حفل التخرج فى الحادى عشر من فبراير؛ حتى يتوافق مع عيد ميلاد الملك فاروق.. وتوزعنا، فالتحق هو بالمدفعية وأنا بالفرسان حسب رغباتنا وتمنياتنا.. وافترقنا لفترة حتى التقينا مرة أخرى فى العريش عام ١٩٥٠..

السيد جمال الليثى[1] زميل آخر للمشير أبوغزالة فى الكلية الحربية، ورغم مرضه فإنه يتحامل على نفسه وبكلمات موجزة يقول :" أبوغزالة كان متميزاً بعلمه وأخلاقه الكريمة.. كان شهماً، إنساناً، خدوماً.. دفعتى وصديقى.. وأفتخر بذلك.

فى الكلية كنا نمارس الرياضة، أنا كنت فى فريق كرة القدم، وهو فى فريق الملاكمة.. التحقت بسلاح الإشارة لتفوقى حيث حصلت على ٩٨,٥٪.. كل ما كان بيننا كان يحمل أسمى معانى الحب والاحترام والزمالة الحقة"..

سؤال تردد على ذهنى.. هل اقتصرت علاقات الطالب أبوغزالة على أبناء دفعته فقط.. وحتى أعرف الإجابة اتجهت إلى اللواء يحيى خليفة مدير إدارة التجنيد سابقاً.. والذى قال:"تزاملنا فى الكلية الحربية، كان يسبقنى بسنة..

ولكنى كنت أسعى للتقرب منه.. التحقنا بسلاح واحد بعد التخرج..

(١) السيد جمال الليثى.. من الضباط الأحرار ومن كبار المنتجين السينمائيين فى مصر، انتج العديد من الأفلام المشهورة والوطنية والتى حصلت على جوائز كثيرة، بالإضافة لاكتشافه العديد من الفنانين والنجوم الكبار مثل عادل إمام.. وهند رستم وفاتن حمامة وسعاد حسنى.

وأصبحنا متلازمين منذ أن كنا ضباطاً أصاغر.. بكل صدق كان زميلاً رائعاً فى كل شىء علمه وأخلاقه وثقافته.[1].

وعن لحظات حفل تخرج الدفعة ٤٩ نعود مرة أخرى للفريق عبد رب النبى حافظ والذى يسترجعها قائلاً:

"تخرجنا فى ظروف خاصة وسريعة.. الحرب كانت على وشك الانتهاء وكانوا يريدون تخريج أى عدد من الضباط لسد احتياجات حرب ٤٨، حضرنا سنة أولى "إعدادى" وفى نهاية السنة الدراسية أمدونا بـ«كورس» مكثف بحيث يتم التخرج فى أسرع وقت، وتم تخرجنا فى شهر فبراير، رغم أن التخرج عادة ما يكون فى يوليو وأغسطس.. واختير يوم ١١ تزامناً مع عيد ميلاد الملك فاروق..

تم تخريج ثلثى الدفعة التى كانت ٢٦٠ طالباً، تخرج فيها نحو ١٦٠ ضابطاً، حفل التخرج كان بسيطاً، اقتصر على وجودنا فى صالة السينما بالكلية الحربية و بحضور حيدر باشا وزير الحربية فى ذلك الوقت والذى أذاع الأسماء وأعلن التخرج والقرار الملكى.. أما باقى إجراءات التخرج فقد تمت من غير طابور عرض ولا استعراض ولا غيره ولهذا لم يتم تصوير الدفعة الصورة الجماعية التى عادة ما تلتقط للطلبة..

وعن سمات الدفعة ٤٩ يقول الفريق عبدرب النبى:

«اعتبرت الدفعات ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ بداية تشكيل القوات المسلحة الجديدة.. بعد حرب ٤٨ وما حدث فيها.. وعودة الضباط من الحرب وتخرجنا.. وتمت إعادة تنظيم القوات المسلحة، وبداية حضور الخبراء الأجانب لتدريبنا، ورفع مستوى الكفاءة القتالية، والاستفادة من الخبرات المختلفة..

بعد تخرجنا فى الكلية الحربية التحق أبوغزالة بسلاح المدفعية وأنا بسلاح المشاة وافترقنا، أبوغزالة كانت له بعض الاهتمامات السياسية أثناء الدراسة؛ وهو ما سهل انضمامه لتنظيم الضباط الأحرار تقريباً عام ١٩٥١، وشارك وظهر اسمه فى القرار الجمهورى للضباط الأحرار.

---

(١) اللواء يحيى خليفة.. تدرج فى العديد من الوظائف فى القوات المسلحة وشارك فى حروب مصر المعاصرة وقد وصل إلى منصب مدير إدارة التجنيد، ثم نائب رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات بعد إحالته للتقاعد من القوات المسلحة.

حرب فلسطين

يقول الفريق عبدرب النبى: «تخرجنا فى الكلية الحربية فى ١١فبراير ١٩٤٩، تم منحنا ثلاثة أيام إجازة، بعدها تم توزيعنا على الوحدات.. وانضممت على اللواء الأول "الكتيبة الثانية" .. والتى عرفنا أنها محاصرة فى الفالوجا وانتظرنا حتى حضور الكتيبة من فلسطين».

وعن مشاركة الدفعة ٤٩ وأبوغزالة فى حرب فلسطين يقول الفريق عبدرب النبى :

«لا نستطيع أن نقول إن دفعتنا شاركت فى حرب ٤٨ بصورة فعالة؛ لأننا حضرنا الأيام الأخيرة فى الحرب، وقبل عقد الهدنة بأيام قليلة.. ومع ذلك حصلنا على نياشين حرب ٤٨ .. رغم عدم قيامنا بأى دور فعال فقد كنا دفعة حديثة وبرتبة ملازم ثان»[1].

اللواء حسنى السبع يقول: «أنا من الضباط الذين ذهبوا إلى رفح ثم إلى مواقع الكتيبة الثالثة وكان توزيعنا لسد خسائر ٤٨ ولكن عندما وصلنا استقبلنا الإسرائيليون استقبالاً حافلاً بالقذف والضرب.. وبمجرد وصولنا كانت القوات تتجمع للعودة وبعدها بأيام قليلة تم عقد الهدنة وانتهاء حرب فلسطين.

وينفى المشير أبوغزالة مرة أخرى وجود أى ميول سياسية له فى هذه الفترة.. ومن أرشيفه الصحفى يقول : "النظام والتعليم داخل الكلية الحربية يجعلك تفكر وتأكل وتشرب وتنام عسكرياً فقط، فلم يكن هناك وقت للتفكير سياسياً" ..

ولكن كيف سينضم للضباط الأحراربعد ذلك؟!.. سؤال سنجيب عليه فى الصفحات القادمة..

ونطوى صفحة البداية والطفولة والصبا .. لنبدأ صفحة أخرى مع الضابط الشاب أبوغزالة ويبدأ مسرح الأحداث مع الرجل انطلاقاً من شارع المهدى - والمنزل رقم ١٣ بحلمية الزيتون، حيث المكان الذى سكن فيه منذ أن كان

(١) اللواء يحيى خليفة، وبرغم احترامه لكلام سيادة الفريق عبدرب النبى وأنه قائد عظيم يعى جيداً ما يقوله، إلا أنه يرى أن أبوغزالة شارك فى حرب ٤٨؛ لأنه تخرج أثناء الحرب.. صحيح حدثت الهدنة بعد التخرج بأيام قليلة إلا أن الهدنة صورة من صور الحرب ومعاودة القتال..

ضابطاً صغيراً.. وشارع المهدى هو شارع صغير خلف مسجد الشيخ بخيت بميدان حلمية الزيتون، بنى فيه الضابط الشاب " ثروت " منزلاً من ثلاثة طوابق - بعد عودته من البعثة الدراسية فى الاتحاد السوفيتى ثم سكن فيه.. ولم يأنف من تلك الحارة الضيقة والتى لا يزيد عرضها على أربعة أمتار حتى بعد أن وصل إلى رتبة اللواء إلى أن تركها ليقيم فى منزله الذى بناه فى مدينة نصر وسكن فيه جميع أبنائه الذين أحبهم إلى أبعد مدى..

الفصل الثانى

الرحلة العسكرية تحديات وإنجازات

- التأهيل العلمى والأكاديمى
- وظائف قيادية
- أوسمة ونياشين
- الضباط الأحرار
- البعثة إلى روسيا
- سر الجبنة البيضاء
- مظاهرة سلمية فى روسيا
- أبوغزالة يجيد ثلاث لغات
- لماذا أطلق على ضباطنا فى البعثة «كابتاليست»..؟!
- طرائف البعثة
- قيمة عسكرية للبعثة
- لقاءات مع زملاء البعثة
- لقاءات مع تلاميذه

"لو أتاح لى العمر أن التحق بكلية
ما لآخر عمرى لمزيد من المعلومات
والعلم ما ترددت أبداً"
"من كلمات المشير أبو غزالة"

التدرج الوظيفى للمشير محمد عبدالحليم أبوغزالة

لو تحدثنا عن التدرج الوظيفى للمشير أبوغزالة، فسنجد أنه فور التخرج فى الكلية الحربية عُيِّن برتبة ملازم ثان بسلاح المدفعية.. والتحق بالخدمة فى الألاى الثالث مدفعية ميدان عام ٤٩ بأماظة "القاهرة".. ثم التحق بالألاى الثالث بالعريش وخدم مع الملازم ثان منير شاش، وسافر إلى بعثة تعليمية بروسيا، ثم تولى العديد من الوظائف القيادية.. الضابط أبوغزالة من القادة الذين لم ينالوا أى رتبة أو وظيفة استثنائية.. أى أنه التحق من بداية السلم الوظيفى إلى نهايته..

الوظائف التى تولاها[1]:

تدرج المشير أبوغزالة فى وظائف المدفعية القيادية حتى وظيفة :

× قائد لواء مدفعية عام ٦٧.

× قائد مدفعية الفرقة الثالثة المشاة منذ عام ٦٧-٦٩.

× قائد لواء صواريخ عام ١٩٧٠.

× رئيس أركان مدفعية الجيش الثانى الميدانى ٧٠-٧١.

× قائد مدفعية الجيش الثانى الميدانى ٧١-٧٤.

× رئيس أركان المدفعية عام ٧٤.

---

(١) هذه الوظائف والأماكن والتواريخ ساعدنى فى إعدادها اللواء محمد عباس منصور قائد مدفعية الرئاسة العامة السابق، ورفيق المشير فى السلاح والميدان، والذى شارك فى إعداد كتاب فى إدارة المدفعية تناول فيه المشير أبوغزالة وتاريخه العسكرى.. بالإضافة للعديد من المصادر الأخرى من كتب وارشيف صحفى ومقابلات لزملاء آخرين للمشير.

× عين ملحقاً حربياً بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٦.

× ثم مديرا للمخابرات الحربية ٧٩.

× رئيس أركان حرب القوات المسلحة عام ١٩٨٠.

× وزير الدفاع والإنتاج الحربى والقائد العام للقوات المسلحة عام ٨١.

× نائب رئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والإنتاج الحربى، والقائد العام للقوات المسلحة عام ٨٢.

× مساعد رئيس الجمهورية عام ٨٩.

× حصل على وسام نجمة الشرف العسكرية عن حرب أكتوبر ٧٣.

الوظائف الأكاديمية[١]:

تولى المشير أبوغزالة العديد من الوظائف الأكاديمية وأثبت كفاءة بارزة.. تعلم على يديه الكثير من الضباط الأكفاء.. عين فى الوظائف التالية..

× مدرساً بالكلية الحربية عام ٥٣-٥٤.

× مدرساً بمعهد المدفعية عام ٥٦.

× قائد بطارية مدفعية آلاى خلال حرب ٥٦.

× مدرساً بمعهد المدفعية عام ١٩٥٧-١٩٥٨.

× مدرساً بمعهد المدفعية عام ١٩٦١-١٩٦٨.

● **أما عن التأهيل العلمى والأكاديمى**، فقد حصل على العديد من الدراسات والشهادات داخل وخارج مصر وكان يقول: "لو أتاح لى العمر أن التحق بكلية لآخر عمرى لمزيد من المعلومات والعلم ما ترددت أبداً"..

ومن الشهادات التى حصل عليها:

- بكالوريوس تجارة من جامعة القاهرة..

---

(١) مراجعة اللواء محمد عباس منصور قائد مدفعية الرئاسة العامة، ومن كتاب صدر عن إدارة المدفعية.. وعدد من المصادر الأخرى من أرشيفه الصحفى وكثير من ضباط المدفعية وأصدقائه المقربين.

- دراسه الفنون العسكرية فى الاتحاد السوفيتى من عام ١٩٥٧ إلى عام ١٩٦١، وعاد ليعمل مدرساً بالأكاديمية العسكرية المصرية..

- درس فى كلية «لاكلهار» التى درس فيها أشهر قادة أمريكا.. أمثال أيزنهاور وباتون ومارشال وغيرهم من أصحاب الجنسيات الأخرى، وذلك أثناء فترة توليه وظيفة ملحق حربى بأمريكا.

- ألقى عدة محاضرات فى كلية الحرب البرية الأمريكية فى «كارليل» بنسلفانيا التى منحته لقباً شرفياً لم يحصل عليه ضابط غير أمريكى.

● **البعثات الخارجية:**

سافر فى كثير من المأموريات والبعثات قبل أن يكون وزيراً للدفاع ومن الدول التى سافر إليها..

- فرنسا عام ١٩٥٥
- الاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٨-١٩٦١
- جمهورية كوريا الديمقراطية عام ١٩٥٧.

● أجاد وأتقن المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة ثلاث لغات هى:

الإنجليزية والروسية، بالإضافة لإجادته للغة العربية بطلاقة، وساعدته هذه اللغات فى التعامل مع الآخرين، خاصة الخبراء الروس والأمريكان، وفى قراءة الكتب وترجمتها والوقوف على أهم ما بها ونقله إلى الجيش المصرى للاستفادة منه.. وساعد على تزويد المكتبة العسكرية المصرية بكثير من كتب القتال والاستراتيجيات التى قام بتأليفها..

حصل المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة على العديد من الأوسمة والنياشين [1] منها:

١- وسام التحرير عام ١٩٥٢.

٢- وسام ذكرى قيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨.

٣- وسام نجمة الشرف عام ١٩٧٤.

---

(١) جريدة الأهرام ٥ مارس ١٩٨١والعديد من الجرائد التى صدرت فور توليه وزارة الدفاع وتعيينه وزيراً لها.

٤- قلادة النيل عام ١٩٨٩.

بالإضافة إلى عدد من الأنواط منها:

× نوط الجمهورية العسكرى من الطبقة الأولى ١٩٧٤.

× نوط الجلاء عام ١٩٥٥.

× نوط الاستقلال عام ١٩٥٦.

× نوط النصر عام ١٩٥٧.

× نوط التدريب من الطبقة الأولى عام ١٩٧١.

× نوط الخدمة الطويلة ١٩٧٩.

فضلاً على حصوله على العديد من الميداليات.

زار العديد من الدول مثل الاتحاد السوفيتى والمجر والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والجزائر والصين وكوريا الديمقراطية وبريطانيا.

بداية الرحلة العسكرية:

فورالتخرج، التحق ملازم ثان محمد عبدالحليم بالآلاى الثالث مدفعية ميدان عام ١٩٤٩ بألماظة [1]، وكان الآلاى بقيادة البكباشى أركان حرب رشاد مهنى ومن زملائه فى هذا الآلاى طلعت خيرى وصلاح عبده وجمال نظيم ومصطفى كامل مراد "رحمهم الله".

ثانى مكان خدم فيه كان الآلاى الثالث بالعريش ١٩٥٠.

اللواء منير شاش زامله فى هذا الآلاى، وعن ذكرياته خلال هذه الفترة يقول: "أول معرفتى بأبوغزالة كانت فى العريش.. كنت أخدم فى الآلاى الأول [2] وقدم إلينا الآلاى الثالث وكان ضمن ضباطه أبوغزالة وكنا برتبة ملازم ثان.. كان يقود الآلاى الثالث رشاد مهنى ومعه مجموعة ممتازة من الضباط أمثال أبوغزالة، وكان قائدنا النقيب صلاح فؤاد وكان أيضاً ضابط

---

(١) حاولت ان اغطى هذه الفترة ولكنى لم أجد أى معلومات غير كتاب عند الوزير توفيق عبده إسماعيل مدون فيه الأماكن التى وُجِّهت إليها الدفعة ٤٩ فور التخرج.. وجاء فيه انه عُيِّن فى هذا الآلاى.. وخدم معه الضباط الذين ذكر أسماءهم سابقاً..

(٢) اللواء بمسمى التنظيم الإنجليزى.

آلاى متميزاً.. كثيراً ما كنا نتقابل ونتعامل معاً ونحن كأبناء لسلاح واحد حدث بيننا نوع من التجاذب والاندماج.. فالواقع أن ضباط المدفعية -وليس تحيزاً لسلاحى -ينجذبون لنفس سلاحهم بسهولة.. المهم بدأنا نتعارف وكنا نمارس ألعاباً رياضية كثيرة مثل الكرة الطائرة وكرة القدم وغيرهما وهذه الفترة كانت النواة الحقيقية لبداية معرفتنا وبذرة صداقة العمر التى روتها أيام الحرب والقتال والسلام والحياة عامة فيما بعد"..

صفحات وجدتها للمشير أبوغزالة فى أرشيفه الصحفى يتحدث فيها عن ذكرياته من خلال أحاديثه للإعلاميين عندما كان وزيراً للدفاع وما يخص هذه الفترة وعن علاقته بالرئيس السادات يقول: "أتذكر أول لقاء بينى وبين الرئيس السادات، كان ذلك فى عام ١٩٥١، وكنت يومها ضابطاً برتبة الملازم أول فى الآلاى الثالث بالعريش، وفى هذه السنة ألغى النحاس باشا (رئيس الوزراء المصرى فى ذلك الوقت) معاهدة ٣٦، التى كان هو نفسه قد وقعها مع الإنجليز، وقد حدث على إثر هذا أن استولت القوات الإنجليزية التى كانت موجودة فى معسكرات كبيرة جداً لها فى القناة - فى ذلك الوقت - على كوبرى الفردان.. وقبضت على فصيلة من الجيش المصرى كانت تحرس هذا الكوبرى، وقد انفعلنا غضباً ليس لأن هذا الكوبرى هو الجسر الوحيد الذى يربط بين مواقع وجودنا داخل سيناء وبين مصر، ولكن انفعالنا كان للطريقة المهينة التى تم بها القبض على فصيلة حراسة الكوبرى المصرية.

وكان تفكيرنا على ضرورة أن نتحرك ونهاجم الإنجليز الذين استولوا على الكوبرى رغم أن العدد لم يكن يزيد على ١٤ ملازماً كانوا موجودين فى الآلاى الذى كنت فيه بالعريش، وقد أثار عدم غضبتنا اهتمام قيادات القطاع والضباط الذين كانوا موجودين فى المنطقة، وفى هذه الأيام التقيت لأول مرة بالرئيس أنور السادات الذى كان ضابطاً فى آلاى الإشارة فى منطقة العريش - فى ذلك الوقت- وقد جاء مجذوباً للحس والشعور الوطنى الذى عبرنا عنه برغبتنا فى مهاجمة الإنجليز، وكان اهتمامه ملحوظاً باتجاهاتنا وأفكارنا".

نسجل شهادة أخرى لزميل آخر فى هذه الفترة وهو الفريق أحمد صلاح

عبدالحليم[1] والذى يقول: «بدأت علاقتى بالمشير أبوغزالة منذ عام ١٩٥١، كنت ملحقاً على كتيبة مشاة فى الشرق وكان هو من ضباط المدفعية النابهين. وقد اختير فى سلاح المدفعية لكفاءته.. كنا ملازمين أوائل، وكان يمر على كتائب المشاة يعطى فكرة أو محاضرة عن كيفية إدارة نيران المدفعية بواسطة ضباط المشاة، وأعجبتنى طريقته فى الشرح والعرض.

بعد ذلك تقابلنا مصادفة فى مطار «أورلى» عام ١٩٥٥ أثناء اشتراكه فى مأمورية لصفقة أسلحة بـ «تشيكوسلوفاكيا»، وكنت أنا فى الطريق للدراسة بإنجلترا..

زاملته فترة فى الاتحاد السوفيتى أثناء دراستنا، كان هو فى كلية «بينزا» وأنا فى كلية «فرونز»، وكنا نتقابل مصادفة لبعد أماكن تواجد الكليات، أعتبرها من أجمل فترات حياتنا.. كان فيها أيضاً نموذجاً للضابط الكفء المنضبط.

قصة الانضمام إلى الضباط الأحرار

رفيق العمر والسلاح وصفوف الضباط الأحرار.. اللواء منير شاش [1] يقول:" النقيب فتح الله رفعت، كان قائد البطارية التى كنت أخدم بها، رجلاً مهماً من الضباط الأحرار، وكان يختبرنا ويلاحظنا ويختار من يشعر أنه يستحق أن ينضم إلى الضباط الأحرار- وفق وجهة نظره- ووقع علىّ الاختيار.. أما الملازم ثانى أبوغزالة فكان لايزال فى العريش؛ ووقع عليه أيضاً الانضمام إلى الضباط الأحرار وتم تدريبنا..

فى عام ١٩٥١ تم إنزال بطاريتنا إلى الهايكستيب، فبعد إلغاء المعاهدة ساد توقع بقدوم الإنجليز من القناة وتهجمهم على القاهرة، وكنا نأخذ مواقع دفاعية ومعنا كتائب مشاة، إلى أن قامت الثورة وفى هذه الفترة كان الآلاى الثالث لايزال فى العريش؛ وبسبب ذلك لم يشترك أبوغزالة فى الثورة مشاركة فعلية.. ولكن بعد تكوين مجلس قيادة الثورة، اختاره كمال حسين للعمل معه مديراً لمكتبه.. واستمر معه شهوراً قليلة، حيث وجد أن هذا العمل

---

(١) تولى العديد من المناصب منها قائد الجيش الثانى الميدانى ورئيس هيئة العمليات ومساعد وزير الدفاع.

لا يلائم طبيعته فهو لا يحب السكون ولا مكوث المكاتب، فقد كان يشعر أنه خلق ليكون ضابطاً مقاتلا، وسرعان ما طلب العودة إلى القوات المسلحة والخدمة فى سلاح المدفعية، وتم عودته بناءً على طلبه".

وحول عمل - النقيب أبوغزالة - سكرتيراً لكمال الدين حسين ذكر أحد القادة العسكريين "أن أبوغزالة لم يشعر بالارتياح أثناء عمله سكرتيراً بمجلس قيادة الثورة، فقد كان لحداثة سنه ورتبته يشاهد ويسمع ويلتقى بأشخاص كبيرة، ورموز أكبر، وكان يشعر ببعض الرهبة، بالإضافة إلى أنه أحس أن هذا ليس مكانه فهو لم يخلق للاستقبالات وتنظيم المكاتبات وتحديد المواعيد".. ولولا شعوره هذا.. ما كان المشير أبوغزالة بعد ذلك.. ولعب القدر لعبته وأخذت الرحلة منحنى آخر بعيداً عن السياسة، ورغم ذلك فإنه أنهى حياته العملية بمنصب سياسى..

يقول توفيق عبده إسماعيل: "تعددت لقاءاتنا فى نادى الضباط، وتزاورنا فى وحداتنا، إلى أن قامت الثورة، وعلمت أن وحدته قد شاركت بكامل ضباطها فى أحداث تلك الليلة المباركة ما عدا اثنين من أبنائها، كانا فى العريش لإتمام نقل المعدات رغم انتمائهما للتنظيم بقيادة المرحوم فتح الله رفعت.. والاثنان هما: وفاء جلال وعبدالحليم أبوغزالة".

يقول حمدى لطفى، كبير المحررين العسكريين فى الثمانينيات "رحمه الله ":

قبل نهاية الأسبوع الأول على قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، كنت أتردد يومياً - كصحفى - على مقر مجلس قيادة الثورة - رئاسة الجيش - كما كان يطلق عليها يومئذ وزارة الدفاع بكوبرى القبة حالياً..

منذ الساعات الأولى من نهار ٢٣ يوليو، وقد راعنى أن الضباط الأحرار الذين ينتسبون لسلاح المدفعية يمثلون حجماً ووزناً كبيراً بين مجلس القيادة وجمهرة العسكريين الذين يجتمعون كل صباح بمقر قيادة الثورة، عرفت من بينهم عبدالمنعم أمين، والعقيد رشاد مهنا -وكانوا يطلقون عليه "الأب الروحى للمدفعية"، وتضم تلك المدفعيات المضادة للطائرات، والمدفعية، ومدفعية السواحل، وعرفت أيضاً المرحوم المقدم عاطف نصار قائد الضباط الأحرار بالإسكندرية والمنطقة الشمالية، والصاغين كمال حسين وصلاح سالم، والنقباء مصطفى كامل مراد.. رئيس حزب الأحرار سابقاً وأبو الفضل

الجيزاوى وأبوغزالة الذى قدم من سيناء مجندا فى خلايا الضباط الأحرار هناك عام ١٩٥١ وآخرين غيرهم.. وأنا أتكلم عن ضباط المدفعية فقط وليس بقية الأسلحة الأخرى التى أسهمت فى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ومن بين من احتفظ برتبته العسكرية النقيب أبوغزالة، وقد ظل يرتقى بسلم الخدمة حتى رتبة لواء، ثم فريق عام ١٩٨٠ بعد توليه رئاسة الأركان..

ويكمل قائلاً: كنت أنصت إلى النقيب أبوغزالة حين أسمعه يتحدث بين زملائه فأراه يلجأ إلى التحليل والأمثلة التاريخية، ويربط بينها وبين دلالات عصرنا الحديث، وذات يوم سألت عنه العقيد رشاد مهنا -الأب الروحى للمدفعية - وكان صديقاً للصحفيين -فقال لى محذراً:

اقترب منه بحرص فإذا ناقشت معه موضوعاً تكلم بحساب لأنه عباس عقاد المدفعية.. قارئ لكل ما يخطر على بالك من كتب"[١]..

ويعود النقيب أبوغزالة مرة أخرى لصفوف القوات المسلحة ولسلاح المدفعية بناءً على طلبه.. ويلتحق بالعمل مدرساً فى الكلية الحربية ويتعلم منه الكثير ويساهم فى تخريج ضباط أكفاء..

بحثت عن أحد هؤلاء الضباط الأكفاء الذين درَّس لهم خلال هذه الفترة وكان اللواء عبدالمنعم سعيد[٢] الذى يقول: «بدأت معرفتى الأولى بالمشير أبوغزالة فى الكلية الحربية عندما التحقت بها بعد ثورة يوليو مباشرة إلى أن تخرجت فى مارس ١٩٥٥، ثلاث سنوات كان هو فى الكلية مدرساً برتبة اليوزباشى "النقيب"، وكان يدرس لنا مادة الطوبوغرافيا، وكنا محظوظين بتدريسه لنا.. كان معلماً خفيف الظل، بسيطاً، مبتسماً، يتعامل مع الطلبة بأسلوب سلس سهل، يقضى على أى تعقيدات تصادف الطلبة، تميز عن غيره من أعضاء هيئة التدريس بوجهه البشوش.. يتعامل مع الطلبة كأنه واحد منهم وليس أستاذهم فقط.

وجميعنا كنا نكن له الاحترام والحب ولم نجد له أى سقطة أو هفوة ننعته بها.. ذات مرة كان من ضمن المقرر الدراسى الذهاب لعمل مشاريع خارج

---

(١) يناير ١٩٨٧/الأنباء.
(٢) قائد الجيش الثانى الميدانى ورئيس هيئة العمليات ومحافظ السويس ومطروح وجنوب سيناء والبحر الأحمر سابقا وخبير عسكرى.

الكلية لمتابعة الدروس عملياً على الواقع.. كل فرقة يكون مدرس المادة مسئولاً عنها مسئولية تامة، وكان هو مسئولاً عن فرقتى.. عادة ما كنا نتدرب فى منطقة الصحراء خلف الهرم أو فى طريق الفيوم - إسكندرية لعمل مشروعات طوبوغرافية وتحديد المحاور ومعرفة كيف نتحرك من منطقة لأخرى باستخدام البوصلة العادية المغناطيسية أو الشمسية.. وكان يتعامل معنا ببساطته الشديدة، وإخلاصه الشديد فى التدريب.

من ضمن الأشياء البسيطة التى لم نفهمها فى وقتها موقف قام به أثناء الدراسة.. فى ذلك الوقت كانت الكلية تقيم مباريات كرة وتقيم دورى بينها وبين الأسلحة والكليات الأخرى. وكان الجميع يعلم أنه ينتمى لسلاح المدفعية وعاشق للرياضة، وفى يوم ما أقيمت مباراة فى الكلية بين فريق الكلية وفريق سلاح المدفعية.. وقام اليوزباشى أبوغزالة بارتداء ملابس الرياضة، ونزل إلى الملعب ليلعب ضمن فريق الكلية الحربية ضد سلاح المدفعية فى الشوط الأول.. وطبعاً كنا نشجعه فى المدرجات ومدير الكلية وكبير المعلمين وباقى هيئة التدريس، وفى بداية الشوط الثانى قام بتغيير ملابسه وانضم لفريق سلاح المدفعية للعب معه ضد الكلية الحربية، من وجهة نظره أنه ينتمى إلى الفريقين وهذا واجبه.. فلعب مع سلاحه لإحساسه بالانتماء وإكراماً له وعندما انضم لفريق الكلية فلأنه أحد مدرسيها، وطبعاً كنا سعداء بذلك.. واتذكر أنه بعد انتهاء المباراة، أرسلت إدارة المدفعية خطاباً إلى مدير الكلية الحربية تشكر فيه اليوزباشى أبوغزالة لقيامه باللعب مع سلاحه؛ كنوع من الانتماء إلى سلاحه».

مواقف كثيرة تشى وتدل ونتعرف فيها على شخصية المشير أبوغزالة الرائعة.. ونعيش مع موقف آخر.. يقول الوزير توفيق عبده إسماعيل: "فى يوليو عام ١٩٥٣ تم نقلى للكلية الحربية وهناك وجدت صديقى وزميلى أبوغزالة، وحدث خلاف شديد بينى وبين كبير المعلمين حينئذ "القائمقام محمد فوزى "، على العلم الذى سأقوم بتدريسه، وكان اختيارى للتاريخ العسكرى لتفوقى فيه ولسهولة الرجوع للكتب فيه وتوافرها وكان اختياره مادة الطوبوغرافيا العسكرية وأصر عليها رغم اعتراضى بأننى لم أستكمل دراستها فى الكلية لتخرجنا فى السنة الثانية، ولم أدرسها فى سلاح الفرسان

مثل الزملاء فى سلاح المدفعية فهى أساسية فى عملهم، ولكنى استبشرت خيراً عندما وجدت زميلى أبوغزالة يقوم بتدريس نفس المادة وبالفعل ساعدنى كثيراً فى فهم الكثير منها حتى أن المجموعات التى تلقت الطوبوغرافيا عندى نجحت بنسبة ١٠٠٪..

علاقتنا فى الكلية الحربية كانت علاقة زمالة وصداقة إلى أبعد الحدود، وكان أبوغزالة رمزاً للعطاء لعمله ولطلبته ولزملائه وكدفعة واحدة ونشترك فى تدريس مادة واحدة فقد كان لى النصيب الأكبر من هذا العطاء مساعدة فى إعداد الدروس ونصائح وجلسات صداقة بصفة دائمة.

وينتقل إلى مكان آخر يخدم به.. وهو مدرسة المدفعية والتى عُيِّن فيها أكثر من مرة.. المرة الأولى كانت عام ١٩٥٦.. وعن هذه الفترة يقول اللواء أ.ح متقاعد/ محمد عباس منصور.. رئيس عمليات مدفعية الجيش الثانى الميدانى خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣[1] :

بداية معرفتى به كانت بمدرسة مدفعية الميدان (معهد المدفعية حالياً) عام ١٩٥٦، حيث تخرجت فى الكلية الحربية فى أول أبريل ١٩٥٦ "الدفعة ٣٥ حربية " التى تشرف بأن يكون أحد أبنائها.. المشير محمد حسين طنطاوى القائد العام للقوات المسلحة وزير الدفاع والإنتاج الحربى، والتحقت بسلاح المدفعية وعينت دارساً بفرقة ضباط أصاغر مدفعية رقم "٣٣" "فرقة قادة فصائل /الأساسية " وكان اليوزباشى محمد عبدالحليم أبوغزالة أركان حرب الفرقة (المشرف على الفرقة).. أستاذاً كفئاً ومعلماً فذاً..

أتذكر أن الضباط "الدارسين" بالفرقة كانوا ينتظرون محاضراته بشغف، وتكرر ذلك ليس فى محاضراته النظرية فقط، ولكن كان أكثر فعالية فى طوابير التدريب العملية للمدفعية (طابور مدفع تعليم).. وتكرر ذلك أيضاً فى جميع الفرق (قادة السرايا- قادة كتائب مدفعية) التى حضرتها معه بعد عودته من بعثة الدراسة بالاتحاد السوفيتى عام ١٩٦١.

أذكر منها فرقة قادة كتائب مدفعية رقم "٨" لمدة ثمانية شهور كاملة عامى ١٩٦٧/٦٦ قبل النكسة مباشرة.

---

(١) تولى منصب قائد مدفعية الرئاسة العامة وعدد من الوظائف الأخرى سابقاً .

ولم يقتصر الأمر على الدراسة بمدرسة المدفعية، وإنما امتد إلى ميادين رماية المدفعية فى نهاية كل فرقة..

أبوغزالة كان يتحلى بالصبر مع الضباط الدارسين أثناء التدريب، ويصحح لهم أخطاءهم، ولا يتصيد لهم الهفوات، وكان حريصاً على منحهم الثقة فى أنفسهم فى بداية خدمتهم بالمدفعية، واذكر جيداً أنه لم تتم رماية مدفعية إلا وحضرها سواء كان مدرساً بالمدرسة أو قائداً بوحدات المدفعية التى قادها فى مشواره الطويل بالمدفعية.

نختتم هذه الفترة بذكريات اللواء متقاعد مسعد ششتاوى الخبير الاستراتيجى ورئيس قسم عمليات وتخطيط الجيش الثالث أثناء الإعداد لحرب أكتوبر، ورغم أنه سلاح مشاة إلا أنه ذكر لى أنه درس على يد الرائد أبوغزالة وتشرب منه المدفعية فى محاضرة لم تتجاوز الساعة ونصف الساعة ومازال يتذكرها حتى الآن و يقول:

«فى ٥٨/ ٥٩ وقبل التحرك إلى سوريا أيام الوحدة درس لى الرائد محمد عبدالحليم أبوغزالة وذلك أثناء دراستى فرقة عقائد شرقية، فبعد صفقة الأسلحة من تشيكوسلوفكيا وروسيا.. كان لابد من عقيدة شرقية جديدة بديلة للعقيدة الغربية التى كنا نتبعها.. ومن أجل هذا مررنا على العديد من مدارس الأسلحة المختلفة من الإشارة والمشاة والمدفعية.. وفى معهد المدفعية الرائد أبوغزالة سقانا المدفعية فى ساعة ونصف الساعة مدة المحاضرة وحتى عام ٥٨ لم أكن أعرف ولم أفهم المدفعية الحقة إلا منه وكان هو فى ذلك التوقيت برتبة صاغ "رائد»".

وننتقل لمكان وحدث آخر..

● النقيب محمد عبدالحليم أبوغزالة.. يسافر مع أول بعثة تعليمية لضباط المدفعية إلى الاتحاد السوفيتى ١٩٥٨..

لعبت هذه البعثة دوراً كبيراً فى تشكيل شخصية وثقافة النقيب أبوغزالة وكل الضباط الذين كانوا معه.. ومن زملائه فى هذه البعثة اللواء منير شاش، والذى نعود إليه وإلى ذكرياته مرة أخرى.. يقول: "من الظروف التى دعمت علاقتى بأبوغزالة، مسابقة دخلناها معاً للسفر فى بعثة للاتحاد السوفيتى وكانت أول بعثة مدفعية تسافر إلى هناك، الامتحان كان عام ١٩٥٧، كان

مقرراً سفرنا إلى تشيكوسلوفكيا، ولكن فى أوائل ١٩٥٨ أعلن الرئيس جمال عبدالناصر أن العلاقة ستكون مع روسيا وليس تشيكوسلوفكيا، وتحولت البعثة من دراسة بتشيكوسلوفكيا مدتها ثمانية أشهر إلى دراسة فى الاتحاد السوفيتى مدتها ثلاثة أعوام.. وكانت دراسة شاملة لكل ما يختص بالمدفعية .

اللواء أحمد فخر، مدير أكاديمية ناصر العليا سابقاً والخبير العسكرى وزميل أبوغزالة فى هذه البعثة.. ينفض غبار السنين ويتذكر بعض أحداثها قائلاً: "عندما ذهبنا فى البعثة كان معنا مجموعة من المهندسين وكانت أول خطوة فى الدراسة هى النجاح فى اختبار مادة التفاضل والتكامل وكنا نحو ١٥ ضابطا و٨ مهندسين، والغريب أنه لم ينجح أحد.. إلا أبوغزالة واضطروا إلى إعطائنا دروسا فى هذه المادة لعمل حسابات المدفعية والدفاع الجوى وكان أبوغزالة متميزاً ومتفوقاً علينا.

من المواقف البطولية والتى أتذكرها جيداً الإضراب السلمى الذى قاده أبوغزالة والذى حدث لأول مرة فى تاريخ العسكرية المصرية فى الخارج.. فى البعثة كان مقررا دراسة مادة اسمها "التاريخ العسكرى السوفيتى".. من عادة السوفيت أن كل وحدة بها ضابط سياسى من الحزب أقوى نفوذاً من قائد الوحدة وقائد التشكيل.. حيث إنه يبلغ الحزب -الذى يسيطر على كل شىء- بكل ما يتم فى الوحدة.. من خلال تدريس هذه المادة لنا.. لاحظنا أنها تسعى لتعليمنا النظام الشيوعى، وكيف يتخذ القرارات والنظام الشمولى، وأنه أهم وأحسن نظام فى العالم وسيهدم النظام الرأسمالى فى العالم..

واجتمعنا واقترح أبوغزالة أن نقوم بعمل إضراب سلمى.. وأخبرنا أن نرتدى الزى العسكرى وندخل غرف المحاضرات ونغلقها من الداخل وقت مادة التاريخ العسكرى ولا ندخل المدرس.. وعلم الملحق العسكرى المصرى بذلك وهو بدوره أبلغ المشير عبدالحكيم عامر، وقدم إلينا المشير عامر بنفسه من مصر وبعد أن استمع لنا خاطبنا قائلاً: "معكم حق.. لا أريد لأى منكم أن يرجع من هذه الدراسة شيوعيا".. ونجح الإضراب وألغيت المادة.. والفضل كان لاقتراح أبوغزالة بالتصدى لمحاولة سيطرة الفكر الشيوعى علينا"..

نعود للواء شاش وعن طبيعة الحياة فى البعثة يقول: " فى البداية كنا نقيم

أربعة أفراد أو أكثر فى غرفة واحدة، وجمعتنا الليالى الأولى أنا وأبوغزالة ويوسف صبرى أبوطالب وضياء الدين زهدى، وكنا نشترك جميعاً فى دولاب واحد، بالإضافة لأدوات كثيرة اشتركنا فى استخدامها .. انجذبت لأبوغزالة لأننا الاثنين ريفيان وتقريباً مبادئنا متشابهة.. مما أدى لتقاربنا وزيادة ترابطنا .. بعد ذلك أقمت أنا وهو فى غرفة تجمعنا نحن فقط بعد أن زادت أعداد الغرف".

أما اللواء فخر فيقول لى ضاحكاً: مرة كنا نائمين وكنا ٦ طلاب فى غرفة، وفجأة وجدناه يصحو فى منتصف الليل ويضئ النور ويفتح القاموس، وعندما سألناه عما يفعله، أجابنا بخفة دمه المعهودة قائلاً:

"لا شىء.. بس فيه برغوث قرصنى وأريد أن أعرف كلمة برغوث باللغة الروسية" .. !! ثم يكمل قائلا:

"أبوغزالة كان دائماً ينشط ذهنه ويتحدث الروسية لدرجة أنه ترجم كتباً من اللغة الروسية إلى العربية عن الاستراتيجية العسكرية الروسية وغيرها، كان يجيد الروسية والإنجليزية، بالإضافة لعلمه العريض باللغة العربية وقراءة القرآن الكريم..

نعود للدراسة ونجد أنها ساعدتنا بصورة كبيرة فى التعامل مع الروس هناك، والخبراء الروس بعد عودتنا .. وكان هو أكثر من استطاع التعامل معهم لإجادته اللغة الروسية..

طبيعة المرحلة فرضت علينا تلاصقنا.. لغة لا نعرفها ومجتمع لم نألفه، غربتنا عن الأهل، ومشاركتنا فى غرفة واحدة، ومذاكرتنا معاً، وخروجنا معاً.. كلها أمور ساعدت على زيادة ترابطنا.

الدراسة فى بلدة «بينزا»..

يقول اللواء شاش: درسنا فى أكاديمية ببلدة صغيرة اسمها "بينزا"، لم يوجد بها أى مكان للترفيه غير مطعمين فقط، الأول يسمى فولجر ريستوران، والثانى صورة ريستوران.. ومن الأشياء الطريفة أن أهالى القرية والدارسين معنا كانوا يطلقوا علينا لفظ «كابيتاليست» "الرأسماليين"، وهذا يرجع إلى أن أى شخص لا ينتمى إلى الدول الشيوعية يعتبر رأسمالياً.. وخاصة أن بدل

السفر الذى كان يصرف لنا كان بالنسبة لهم مبلغاً كبيراً.. بالإضافة إلى ما كنا نرتديه من بدل وملابس تميزنا عنهم.. وكثيراً ما حدثت صدامات بيننا وبينهم لهذا السبب.. بعد عام ونصف العام، ذهبنا إلى موسكو لاستكمال الدراسة.. جميع الدارسين معنا من دول شيوعية تمنحهم روسيا البعثة بمصروفاتها عكسنا..

.. وكان لنا بعض المغامرات والطرائف أذكر منها:

فى يوم ما كنا نتناول عشاءنا فى أحد المطاعم وشعب الاتحاد السوفيتى كله ينام قبل الساعة الثانية عشرة مساءً.. وأثناء خروجنا من المطعم اعترض طريقى أحد المواطنين الروس وأمسكنى من رقبتى قائلاً: لماذا تلبس بدلة وبالطو وأنا لا؟.. فأخبرته بأنى قادم فى بعثة على نفقتى.. ثم قال ولماذا تلبس بالطو وأنا لا؟ وأخذ يعدد علىَّ كل ما أرتديه من كرافتة وقميص أبيض وغيرهما.. فالمعروف أن مستواهم كان لا يسمح بارتداء ما نرتديه من بدل وغيرها، المهم طلب منى باستفزاز أن أخلع البالطو له.. طبعاً رفضت، وقلت له: الدنيا برد، فوجدته يخرج بونية حديد من جيبه ويهم بضربى بها وبسرعة مذهلة قام أبوغزالة ويوسف أبو طالب بإحضار الشرطة له وفى لمح البصر لم نره.. الخلاصة أنها فترة كانت لنا فيها مواقف كثيرة لا تنسى»..

أهمية هذه الفترة عسكرياً:

وتبقى أهمية هذه الفترة العسكرية والتى يقول عنها اللواء شاش: الحقيقة أننا تعلمنا أشياء كثيرة خلال هذه الدراسة، أهمها اللغة الروسية، وكان ذلك إنجازاً كبيراً لنا بعد عودتنا إلى مصر، فقمنا بترجمة العديد من الكتب الروسية إلى اللغة العربية واستفاد منها كثير من الضباط، كذلك سهلت علينا التعامل مع الخبراء الروس فى الجيش المصرى.. وكنا نفهمهم بسهولة أكثر من الترجمة باللغة الإنجليزية ثم العربية، فكان الكلام يفقد كثيرا من معانيه، وبالتالى قضينا على الصعوبات التى كانت تواجهنا.. فدراستنا مثل الروس جعلتنا ننقل المعلومة أفضل والحقيقة أننا تعلمنا جيداً واستفدنا بشكل كبير.

وأذكر أن الأمريكان أنفسهم كانوا يشعرون بتفوق الروس عليهم علمياً؛ مما دعاهم لإرسال بعثة إلى الاتحاد السوفيتى؛ للتعرف على أسباب ذلك، ووجدوا

أن السبب هو تفوق الروس فى علم الرياضيات وهو العلم الذى درسناه هناك بشىء من التخصص، وتفوقنا فيه وتعلمنا مادة التفاضل والتكامل، وقمنا بنقل هذه المعلومات والمواد إلى الطلبة والضباط بعد عودتنا إلى مصر.. وطبعاً أبوغزالة كان أكثرنا تفوقاً فى هذه المادة.. كنا برتبة نقباء، وكان أقدمنا فى الرتبة النقيب يوسف صبرى أبوطالب، وكان معنا ضباط سوريون وأقدم رتبة معنا مقدم سورى، ولذلك كان هو رئيس البعثة فتلك الفترة كانت أيام الوحدة بين مصر وسوريا» .

فائدة هذه البعثة:

وعن مدى الاستفادة من هذه البعثة يقول اللواء شاش: إنها المرة الأولى التى كنا ندرس فيها الفكر الشرقى، من قبل كان يعلمنا الإنجليز.. وصراحة لم يكن يعلموننا أكثر من مستوى كتيبة حتى اللواء لم يقتربوا منه.. أما الروس فخبرتهم كانت كبيرة فى إدارة العمليات الحربية وفنون القتال على مستوى كبير.. فهم جيش كبير ولديهم خبرة من الحرب العالمية الثانية.. وكان شيئا جديدا بالنسبة لنا تعلم ما هو أكبر من كتيبة، وكان تعلم قيادة اللواء والجيش والقيادة العامة وغيره.. كنا ثمانية ضباط اجتزنا الاختبارات بتفوق.. من هؤلاء الضباط يوسف صبرى أبوطالب وضياء الدين زهدى وأبوغزالة وآخرون.. أكثر شىء عمَّق ارتباطنا أننا لم نكن نعرف اللغة الروسية بعد وقابلتنا عقبات كثيرة قبل تعلم اللغة تلك إلى أن أخذنا دروساً فيها وتمكنا منها..

واستمرت علاقتنا -أنا وأبوغزالة -متلاصقة منذ أن سافرنا فى نوفمبر ١٩٥٨ وحتى عودتنا فى أوائل ١٩٦٢.. وبعد عودتنا رقينا إلى رتبة الرواد، وعدنا إلى مدرسة المدفعية، فالمعروف أنه بعد عودة أى ضابط من أى بعثة يقوم بنقل ما تعلمه إلى أبناء سلاحه.. وأذكر أنه بعد فترة ذهبنا إلى مدير السلاح، أنا وأبوغزالة، وطلبنا منه السماح لنا بعقد دورة مثل التى اجتزناها هناك، أسوة بما تفعله الأسلحة الأخرى.. ولظروف ما لم يتم تنفيذ مطلبنا إلا بعد عام ونصف العام من عودتنا من البعثة وسمح لنا بعقد دورة مدتها ثمانية أشهر.. واستمررنا بهذا الشكل حتى نكسة ١٩٦٧»..

وعن كيفية تخطى مشكلة اللغة الروسية والتعامل معها يقول اللواء فخر:

«قبل سفرنا إلى البعثة أخذنا «كورساً» مكثفاً فى اللغة الروسية، ولكنه لم يفدنا بالدرجة الكافية، وعندما سافرنا .. كانت الدراسة باللغة الروسية والترجمة باللغة الإنجليزية عن طريق مترجم.. وترجمة المصطلحات العسكرية تريد شخصاً يفهمها جيداً، فمثلاً: كلمة ترياس وناشينكاه الموجودتين فى البندقية" وطبعاً المترجم غير متخصص فى العسكرية ولا يعرف المصطلحات وكنا نعانى فى ذلك وطلبنا منهم تعلم اللغة الروسية وتعلمناها بعد انتهاء المحاضرات عن طريق مدرسات وتم عقد امتحان لنا كان أبوغزالة وضياء الدين زهدى هما المتفوقين الوحيدين والمتميزين علينا فى اللغة الروسية»[1] ..

أبوغزالة يهوى الموسيقى والفن الأصيل..

يواصل اللواء أحمد فخر حديثه يقول: «أبوغزالة كان يهوى الموسيقى، ونحن فى موسكو، وفى نهاية كل أسبوع، كان يذهب إلى قاعة تشايكوفسكى، وهى قاعة شهيرة للموسيقى الكلاسيكية والباليه، ويحجز تذكرة باسمه، ويستمتع بما تقدمه من فن راق، وكثيراً ما كنت أصطحبه فى هذه النزهة الرائعة..

وأراه وهو يشترى أسطوانات موسيقى، وبحكم غريزة الإعجاب باقى الدارسين بما يسمعه أبوغزالة قمنا مثله بشراء أسطوانات الموسيقى الكلاسيكية.. وتشكلت ثقافتنا الكلاسيكية فى الباليه الذى لم نعرفه من قبل والفنون الشعبية - فلم نكن نعرف غير فرقة رضا فى مصر- وتولدت لدينا حالة من الرقى فى الحس الكلاسيكى والفن العالمى، وظلت هذه الهواية مع أبوغزالة حتى وهو مشير وما بعد ذلك.. فعندما كنت أزوره فى منزله كنت أراه يستمع للموسيقى الكلاسيك وأجده يستمتع بها ويقول:

"بتهدى أعصابى من ضغوط العمل والحياة".

يبتسم اللواء فخر وهو يسترجع الذكريات وينهى حديثه عن هذه الفترة قائلاً.. «هاحكيلك عن الجبنة البيضاء.. والرائد أبوغزالة»..

أبوغزالة كان يعشق الجبنة البيضاء البراميلى.. وعندما كنا فى روسيا، الروس لا يصنعونها.. ولم يجدها ولف موسكو على رجليه، ووجد بعد لفه

---

(١) سعيت لمقابلته أكثر من مرة، ولكن تعذر اللقاء .

ومعاناته، جبنة طعمها يقارب الجبنة البراميلى، اسمها «برنزا» ولكن ثمنها كان غالياً جداً، وبالرغم من ذلك فإنه داوم على شرائها، ومع بداية كل أسبوع يذهب ليحضر حصته من الجبنة.. يفطر ويتعشى بها ولا يأكل غيرها، أبوغزالة كان زاهداً فى الأكل وليس نهماً.. الأكل عنده لسد الرمق فقط..

وبعد عودتنا من الدراسة فى روسيا، كان علينا تطبيق قاعدة فى القوات المسلحة تقول.: إن كل مبعوث سافر إلى أى دولة للدراسة سواء كانت أمريكا أو روسيا أو باكستان وغيرها، يكتب تقريراً تفصيلياً عن كل ما درسه، عارضاً لنقاط القوة والضعف فيها، ويمكث ستة أشهر فى هيئة التدريب وأكاديمية ناصر وكلية القادة والأركان يلقن الضباط ما درسه والنقاط التى استفاد منها.. وهذا حدث معنا وقدمنا الدراسات وتم عمل دراسة عليها، وأنا كضابط للدفاع الجوى أوضحت لهم أنهم يدرسون لنا دور الدفاع الجوى فى حماية التشكيلات المقاتلة، ولكنهم لم يدرسوا لنا دور الدفاع الجوى فى حماية النقط الحيوية، مثل العاصمة والقيادة العامة والكبارى والسد العالى وغيرها.

فأصررت بموافقة منه بعد ذلك وبعد مرور سنين عديدة على إرسال بعثة أخرى من صغار الضباط ليتعلموا الموضوعات التى لم نتعلمها من قبل وذلك لخلق جيل آخر.

فميزة القوات المسلحة أن القائد عندما يعين فإنه يعرف أن نائبه سيحل محله وهكذا.. وهذه إحدى مميزات القوات المسلحة وجود أجيال وصف ثانٍ وثالث.. ويبقى تساؤل..

بعد العودة إلى مصر.. ماذا فعل أبوغزالة بمدخرات البعثة:

يواصل اللواء فخر حديثه ويقول: عندما عدنا من البعثة وبعقليتنا الاستهلاكية فكر كل واحد منا فى شراء سيارة بمدخرات البعثة سيارة مستعملة من إنجلترا أو ألمانيا..

أما هو فبنى بيتا متواضعا جداً فى حلمية الزيتون لأسرته؛ لدرجة أنه عندما عُيِّن رئيساً لأركان حرب ذهب سائقه المعين لمرافقته إلى فى العنوان ومعه ضابط الشرطة العسكرية.. اتصل بالوزارة قائلاً:إنه لا يجد بيت رئيس أركان حرب.. فكل البيوت عادية، وهو أكثر من العادية بكثير..

وهذا يبين لنا أنه لم يسع إلى الاستفادة من المناصب والمال، بل سعى فقط لتأمين مستقبل أسرته.

وبعد عودته للوطن إثر سنوات الدراسة العسكرية المتخصصة عام ١٩٦١.. رجع مرة أخرى لبيته الذى يحبه، ووظيفته التى يعشقها، ويتولى قيادة جناح فن المدفعية، حيث يستكمل ضباطها دراسة فن المدفعية، ويستكمل ضباطها أيضاً كل العلوم الأخرى التى تتصل بالمدفعية، وقد أخذ يعمل فى دراسة وترجمة المراجع المتميزة -الإنجليزية والأمريكية والروسية - الخاصة بالمدافع ليعد أول مرجع عربى علمى كنواة لخطة عمل فكرية فى الترجمات العسكرية"..

ونذهب إلى مرحلة أخرى وإنجازات أخرى حققها المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة..

الفصل الثالث



هزيمة يونيو هي التي صنعت مجد أكتوبر

- الفترة من ٦١- ١٩٦٧
- مدرسة المدفعية
- كيف كان أبوغزالة يتعامل مع المدرسين الجدد..؟
- اللواء عبدالرحمن الهوارى يتذكر هذه الفترة الرائعة
- أبوغزالة وسر عشقه للرياضة
- نكسة ٦٧.. ولماذا لم يشارك فيها
- رأيه فى النكسة وتقييمه لما حدث
- من أحاديث المشير أبوغزالة للإعلاميين
- أبوغزالة يؤكد أن الخطر الصهيونى ليس موجهاً لدولة عربية بعينها

من أرشيف المشير أبوغزالة الصحفى..

بعد خلاف العقيد محمد عبدالحليم أبوغزالة مع الفريق محمد فوزى عام ١٩٦٨، وصدور قرار بإحالته للمعاش.. بسبب نقده لما حدث فى ٦٧، قال العقيد أبوغزالة: "إننى حزين لأننى سأحرم من تنفيذ ما أريد تطبيقه بين ضباطى وجنودى، ومن فرصة القتال ضد إسرائيل فوق سيناء، وليس من الضفة الغربية فقط".

عندما علم الرئيس جمال عبد الناصر بذلك..

وجَّه حديثه للفريق محمد فوزى قائلاً: " أنا أعرف ماذا يقول عنى وعن عبدالحكيم عامر، وعنك أيضًا ولكنه يبقى من الرجال القلائل الصادقين.. لا تفرط فى مثل هؤلاء الضباط يا فوزى ولا تدع الغضب منهم يخفى عنك صورتهم الحقيقية.

ننتقل لفترة أخرى ومكان آخر، حيث يعود الرائد محمد عبدالحليم أبوغزالة مرة أخرى إلى مدرسة المدفعية ويترقى إلى رتبة مقدم ويظل يخدم بها حتى ١٩٦٨ .. وفى شهادة اللواء دكتور متقاعد/عبدالرحمن رشدى الهوارى، الذى زامله فى هذه الفترة يقول:

" أول لقائى بالمقدم أبوغزالة كان فى مدرسة المدفعية، كنت برتبة النقيب عندما تم تعيينى مدرساً حديثاً بها ..

بعد مقابلتى للواء صلاح الرفاعى قائد المدرسة أبلغنى أننى سأعمل بجناح المدفعية، مع شخصية محببة لنا جميعاً وكانت هذه الشخصية " المقدم أبوغزالة"، وقد كان قراراً استثنائياً عملى فى هذا الجناح إلى أن أحصل على قادة كتائب..

أتذكر أول محاضرة أقوم بتدريسها كانت عن إدارة النيران ودخل المقدم أبوغزالة حجرة الدراسة حتى يتابع شرحى ويطمئن على كيفية تناولى للمادة وإدارتى للطلاب.. طوال المحاضرة لم يتحدث بأى كلمة، واختار آخر ديسك موجود فى الفصل واستمع للمحاضرة كاملة جيداً وبعد انتهاء الشرح وعند خروجه من القاعة أعطانى ورقة صغيرة بها عدة ملاحظات، دون تعليق ومن غير أن يلفت نظر أى أحد من الطلبة.. وكان بها بعض التوجيهات لى كمعلم.. كانت ملاحظاته فى غاية التهذيب والوضوح.. مثال منها:

" لا تجعل عينك تنصب على دارس واحد.. قم بتوزيع حديثك على كل الطلبة، ولا تجعل المحاضرة من جانب واحد، اشرك الطلبة معك.. وغيرها

من النصائح "وكانت خلاصة خبرة طويلة فى مجال التدريس وتعلمت منه كثيراً فى الفترة التى عشتها فى جناح المدفعية، فتاريخه فى العلم غزير.. علمنى كيف أكون مدرساً ناجحاً وفى الوقت ذاته أنظم وقتى ومحاضراتى..

جانب آخر من شخصيته أنه كان رجلاً رياضياً، يعشق كرة القدم والبلياردو وكل الألعاب الرياضية.. من النصائح التى تعلمتها فى تعاملى معه.. عدم محادثته أثناء انشغاله بلعب الكرة حتى لا يتكرر معى ما حدث فى هذا اليوم..

موقف طريف وورطة وقعت فيها أنا النقيب عبدالرحمن الهوارى بسبب انشغال المقدم أبوغزالة بلعب الكرة.. فقد أبلغته مرة وهو يمارس كرة القدم أن موعد محاضرته لفرقة من قادة الألوية سيكون بعد ربع ساعة.. فنظر إلىّ سريعاً ثم كلفنى أنا بإلقاء المحاضرة رغم أننى لم أكن أعددت أى شىء.. ولكن الحمد لله مرت على خير لأننى كنت متخصصاً فى هذه المادة وأحبها بصورة كبيرة.

أبوغزالة كان بسيطاً واجتماعياً ويشعر أى فرد بالاهتمام والاحتواء.. كان يشجعنا على التفوق والتميز.. ذات مرة تقدمت للحصول على فرقة قائد كتائب وأخبرنى أنه لابد أن أحصل على المركز الأول، وفعلاً حصلت عليه ولكن الأول مكرر فالمركز الأول حصل عليه قائد قطاع الصواريخ وكان أول دفعته ومتميزاً بصورة كبيرة.

المشير أبوغزالة كان اجتماعياً لأقصى درجة ويسعى ليحل المشاكل ويذلل أى عقبات، كان أيضاً متواضعاً وبسيطاً بصورة مبالغ فيها.. حقيقى هذه الفترة من أجمل فترات حياتى وشعورى بالارتياح النفسى وأساس تأهيلى كيف أكون مدرساً ناجحاً وأنظم وقتى وأعمالى..

فى هذه الفترة توفى ابنه.. وكانت من المواقف المؤلمة فى حياته ولأول مرة أراه يبكى بحزن.. كان مؤمناً بالقضاء والقدر وأن الله سيعوضه خيراً عنه ورغم أنها فترة حزينة فى حياته فإنه استطاع التغلب على هذه الفترة وبعد فترة بسيطة عوضه الله بطفل آخر خلفاً للذى فقده"[1].

أبوغزالة طوال مدة تدريسه فى مدرسة المدفعية كان نعم المدرس الإنسان،

---

(١) سنتناول هذا الحادث مرة أخرى وبشىء من التوضيح فى فصل قادم .

ورغم مرور السنين وتعدد المدرسين فإن من أسعده الحظ بتدريس أبوغزالة له فإنه لا يمكن أن ينساه بل يتذكره بكل حب ولا يمكنه أن ينكر فضل أبوغزالة فيما آل إليه.. خاصة أن معظم من درس لهم أبوغزالة تبوأوا مناصب قيادية وقاموا بأدوار رائعة فى تشكيل تاريخ مصر فيما بعد..

نترك الدراسة ونتجه إلى ذكرى أليمة وتاريخ مؤلم سعينا كثيراً لإنهاء عاره ونجحنا فى ذلك فى حربىِ الاستزاف وانتصار أكتوبر ٧٣ الذى محا هذه الذكرى الأليمة..

نكسة ٦٧ والتى فرضت علينا دون أن نحارب.. وعن أسباب عدم مشاركة العقيد أبوغزالة فيها وعن رأيه وتحليله لما حدث تجيب عنها السطور القادمة..

نكسة ٦٧

حين وقعت حرب يونيو ١٩٦٧ قدر للعقيد محمد عبدالحليم أبوغزالة أن يكون بعيداً عن سيناء، حيث كان يعمل رئيساً لفرع التعليم بمعهد المدفعية؛ وبالتالى فإنه لم يشارك فيها ولكن كان له رأى فيها..

نكسة يونيو ٦٧ تكلم عنها الكثير من القادة والكتاب والمؤرخين.. وتناولتها الأقلام المختلفة بموضوعية وأخرى بذاتية وتأرجحت الآراء بين تجريح وافتراء وصدق وعبرة ودروس مستفادة وغيرها من الاتجاهات المتنوعة.. ونحن هنا لن نلقى عليها الضوء من وجهة نظر الآخرين فهذا ليس مجالاً للحديث عنها.. سنتحدث عنها فقط من خلال رؤية بطل كتابنا العقيد أبوغزالة - فى ذلك الوقت - وكيف تحدث عنها ولماذا لم يشارك فيها ولماذا وضع اسمه على قائمة معاشات ٦٧..

يقول المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة، فى حديث له مع الإعلامى صبرى أبو المجد [١]، وبعد توليه قيادة القوات المسلحة: "لم أشترك فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ .. إذ كنت فى ذلك اليوم رئيس فرع التعليم بالنيابة فى معهد المدفعية ولكننا فى المعهد بدأنا نسمع عن الانسحاب، كما بدأنا فيما بعد نلتقى بزملائنا الذين اشتركوا فى تلك الحرب، وقد حصلت على العديد من

---

(١) صبرى ابو المجد .. مجلة اكتوبر .. مايو ١٩٨٣ .

المذكرات والتقارير كتبها كثير من القادة الشبان إثر عودتهم من ميادين القتال تحدثوا فيها عما وقع بالضبط، ومازلت أحتفظ بتلك المذكرات والتقارير حتى اليوم، وقرأت الكثير عن تلك الأيام الرهيبة، وعلى ضوء ما سمعت وقرأت أقول إن رأيى -كرأى الجميع- إذ أن قواتنا المسلحة كانت ضحية تلك الحرب، ضحية قرار سياسى عسكرى استراتيجى غير سليم..

ضحية عدم تدريب كاف، بالإضافة إلى أنها كانت قد حاربت فى اليمن فى ظروف قتالية مختلفة ومغايرة عن الحرب فى الصحراء التى حاربنا فيها.. وأقول بصدق وأمانة: إنه إذا كانت قواتنا المسلحة وقتئذ دون مستوى القوات الإسرائيلية فى التدريب إلا أنها لم تكن تقل عنها فى الأداء.. ولقد كان باستطاعة قواتنا المسلحة أن تؤدى فى تلك الحرب دوراً مهماً لو لم يطلب منها أن تنسحب.. وفى يوم واحد.. فى العلوم العسكرية تعلمنا أن الانسحاب أصعب من حشد القوات، فهناك ما يسمى "بالسمات التكتيكية" و"السعات التعبوية" فى الطرق والمحاور، وليس معقولاً أبداً أن تحشد القوات فى شهور، ويطلب منها الانسحاب فى ٢٤ ساعة، إذ لابد فى هذه الحالة من حدوث ارتباك شديد.. الانسحاب أصعب من القتال، فالانسحاب يحتاج إلى إعداد وتخطيط وإلى مؤخرة تحمى الانسحاب.. والانسحاب الذى لا يجرى التخطيط له يؤدى بالضرورة إلى كارثة، إذ يستغله العدو للقيام بمفاجآت كثيرة، كإعداد كمائن أو قطع خط الانسحاب.. وتتأكد خطورة الانسحاب إذا ما كان تحت ضغط العدو، وإذا ما تم دون غطاء جوى سواء أكان من الدفاع الجوى أو القوات الجوية، لقد كانت قواتنا المسلحة فى حرب ٥ يونيو ٦٧ ضحية بكل ما فى كلمة ضحية من معنى»..

فى حديث آخر له مع الأستاذ مكرم محمد أحمد [1] يقول: "أؤكد بكل صدق أن هزيمة يونيو ٦٧ كانت حداً فاصلاً فى تاريخ القوات المسلحة المصرية، بل ولعلنى لا أبالغ إذا قلت إن هزيمة يونيو هى التى صنعت مجد أكتوبر.. لقد أيقظت الهزيمة مصر كما أيقظت قواتها المسلحة، كنا نبالغ فى تضخيم قدراتنا العسكرية على حين كنا نفتقد بالفعل الأداء العلمى الصحيح والانضباط والمثابرة على التدريب..

(١) أكتوبر ١٩٨٤ مجلة المصور المصرية.

كان يشغلنا المظهر عن الجوهر، وكنا نعيش حالة من خداع النفس، وعندما كنا ننجز مشروعاً يفتقد حسابات الأداء الصحيحة.. كنا نتصور أننا قد أنجزنا واجبنا، الآن تصل مشروعات التدريب إلى ٨٠ ضعفاً، وكلها تستند إلى قياس دقيق لحسابات الأداء وفق المقاييس والمعايير العالمية.

يقول حمدى لطفى[١]، فى حديث له مع العقيد أبوغزالة فى ١٩٦٨ وهزيمة يونيو لاتزال تنزف دماً فى أرواح الجميع :

"كنا فى منطقة الدفرسوار بجبهة القناة غرب، نتحدث عن المطالب المستعصية كى نواجه قوات إسرائيل السكرانة بخمر النصر فى يونيو ١٩٦٧ على طول الضفة الشرقية للقناة أمامنا ليل نهار..

.. قال لى العقيد أبوغزالة، وأنا أنقل عن أوراقى القديمة التى أحتفظ بها حتى اليوم: "إن أقصى المشاكل وأخطرها يمكن حلها إذا واجهتها واعياً صادقاً دون لجوء إلى الحلول الوسط، أو الانتظار حتى تأتى الحلول العفوية، أو يشطح بك الخيال إلى الأحلام الزائفة"..

ومازلنا مع آرائه حول النكسة وفى كتاب أعده عن نصر أكتوبر.. لم ينس أن يدون فيها كل آرائه وتحليلاته للموقف وما حدث وبشىء من الواقعية والموضوعية.. فى كتابه «وانطلقت المدافع» وفى فصل خصصه لما حدث فى ٦٧ وتحت عنوان «النكسة سامحها الله»، كتب يقول: أحدثت نكسة عام ١٩٦٧ م - سامحها الله - آثارا نفسية رهيبة فى نفوسنا - نحن رجال القوات المسلحة؛ فلقد هزمت هذه القوات؛ لأنها وضعت فى موقف كان لابد فيه أن تفقد نفسها، ولقد تضافرت قوى كثيرة على تدمير نفسية قواتنا المسلحة حتى كدت أصدق أننا فقدنا أنفسنا ولن نجدها لزمن طويل.

وأخذ العدو بزمام المبادرة، وبدأ يشن علينا حرباً نفسية ضارية، جنَّد لها كل إمكانياته العلمية والمادية، وأخذت كتب الأساطير والخرافات تملأ الأسواق، وتصم الآذان ببطولات كاذبة لجيش الدفاع الإسرائيلى الذى لا يقهر.

وبدأ رجل الشارع الإسرائيلى يؤمن بأن الغلبة دائماً فى أى حرب بين إسرائيل

---

(١) حمدى لطفى يناير ١٩٨٧/الأنباء.

وبين العـرب لابد وأن تكون لصـالح إسـرائيل، وسـاعـد على شـدة تـأثيـر هذه الحرب النفسية ما أحس به الشعب المصرى من آلام مبرحة فى قلبه؛ إذ كان قد آمن بأن قواته المسلحة قادرة على إلقاء إسرائيل فى البحر، وذلك نتيجة خطأ أجهزة الإعلام المصرية التى أخذت تنفخ فى أبواقها منادية بشعارات طنانة " أقوى طيران فى الشرق الأوسط " " وأقوى جيش فى الشرق الأوسط..إلخ..

ويبقى لنا الدروس المستفادة من هذه الحرب..

● **الدروس المستفادة من نكسة ٦٧ كما يستخلصها المشير أبوغزالة..**

فى موضع آخر من كتابه يستخلص العميد أبوغزالة.. الدروس المستفادة من النكسة، والتى حددها فى قوله: "من أهم عوامل فشلنا فى نكسة ٦٧ هو جهلنا بعدونا واستهانتنا به، أديا إلى أن نخسر الحرب وبسهولة.التقصير الشديد فى وضع الخطط المناسبة لمقابلة أى موقف سياسى عسكرى فى المنطقة، وعدم وجود أى تعاون أو تنسيق بين الجبهات العربية المختلفة؛ الأمر الذى أعطى لإسرائيل حرية الحركة والقضاء على القوات العسكرية لكل دولة على حدة.. أيضاً ترك المجال السياسى العالمى للنشاط الإسرائيلى، فنجحت إسرائيل فى استقطاب غالبية الرأى العالمى إلى جانبها، كذلك الجهل بإمكانيات الأمة العربية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، وبذلك حرمنا من أسلحة مؤثرة فى المجالين السياسى والعسكرى ".

وأكد أبوغزالة أيضاً أن الخطر الإسرائيلى ليس موجهاً لدولة عربية بالذات، وإنما هو خطر يهدد كيان الأمة العربية كلها.. ولا نستطيع أن نتجاوز هنا ما ذكره المشير أبوغزالة عن فكر العدو وفلسفته وخططه الاستراتيجية بعد انتصاره فى يونيو ٦٧م.

فى إحدى فقرات الكتاب نفسه يقول: " كانت ومازالت السمة البارزة الأولى للمخطط الإسرائيلي هى المرحلية؛ أى تحقيق الهدف على مراحل متتالية مترابطة، وكل مرحلة من المراحل لها هدفها الأقصى وهدفها الأدنى.. وعلى ذلك تمسكت إسرائيل بالأراضى العربية التى استولت عليها خلال حرب يونيو١٩٦٧، وحاولت أن تحقق أحد هدفيها لهذه المرحلة:

الحد الأقصى: ويتلخص فى ضم كل أو معظم هذه الأراضى على أساس أنها ضمن حدودها العظمى.

الحد الأدنى: أدت تطورات الموقف العربى الدولى إلى دفع المعتدلين فى إسرائيل للبحث عن حلول وسط، وصياغة مقترحات تحقق لإسرائيل الحد الأدنى الذى لا تقبل ما دونه، وكان العامل الرئيسى الذى تحكم فى مفهوم إسرائيل عن الحد الأدنى هو الحدود الآمنة، أو نظرية الأمن الإسرائيلية.

وظهرت صياغات جديدة ومصطلحات لولبية براقة؛ فلقد نادى موشى ديان بضرورة النظر إلى مستقبل المناطق المحتلة، ليس فقط من وجهة نظر الحق التاريخى، بل من خلال الاهتمام بالمستقبل التاريخى، واستبدالها بعبارة الارتباط التاريخى، والفرق بين الكلمتين أو التعبيرين هو فى الواقع نفس الفرق بين الحد الأدنى والحد الأقصى؛ وفسر المعلقون الارتباط التاريخى بأنه ليس من الضرورى أن تحتفظ إسرائيل بكل الأراضى المحتلة بحكم الحق التاريخى، وإنما توجد أماكن أو مناطق يجب الاحتفاظ بها من أجل مستقبلها.

ويلخص أبوغزالة الأسس الاستراتيجية فى المخطط الإسرائيلى لتحقيق أهدافه تلك من خلال:

محاولة إرغام العرب على قبول الوجود الإسرائيلى والاعتراف به مستغلة فى ذلك نتائج حرب يونيو ٦٧ والنجاح العسكرى والسياسى الذى تحقق لها.. مع تأمين الوجود الإسرائيلى داخل حدود يتوفر فيها الأمن بمفهومه السياسى والعسكرى والاقتصادى والاجتماعى.. والعمل تدريجيا على تحقيق الحلم، وذلك بالتوسع واستمرار النمو، بالإضافة إلى محاولة كسب السكان العرب الموجودين داخل إسرائيل وكسر حدة العداء لها، وذلك بخلق وجود عربى مشترك، رغم ما فى ذلك من تناقض مع الأيديولوجية العنصرية الصهيونية التى تتمسك باستمرار النقاء العسكرى الإسرائيلي، وإزالة مظاهر الصلات الشرعية القائمة بين المناطق المحتلة والدول العربية التابعة لها.

وذكر المشير أبوغزالة عدة خطوات عسكرية قامت بها إسرائيل لتنفيذ هذه الاستراتيجية على أرض الواقع، لخصها فى عناصر ثلاثة هى:

الحرب الوقائية الخاطفة التى تعتمد على رفض انتظار وقوع الضربة الأولى من جانب الدول العربية.. **التفوق الجوى والسيادة الجوية** حتى تكون أجواء الدول العربية مفتوحة أمام القوات الجوية الإسرائيلية.. **الحرب الخاطفة** وذلك بتدمير أى هجوم عربى فى مراحله الأولى.

وكما ذكر المشير أبوغزالة الاستراتيجية الإسرائيلية، ذكر فى مقابلها الاستراتيجية العربية الجديدة للمواجهة، والتى تبلورت بعد ثورة التصحيح، وظهرت معالمها جلية فى خطابات الرئيس السادات وكل أعماله، وقد لخصها قائلاً: هناك أرض عربية يحتلها العدو ولابد من تحريرها، وهو يرفض أن يتخلى عنها.. إن العرب يرفضون الاستسلام ويصرون على استرداد الحق المغتصب ويؤمنون بقدراتهم وإمكانياتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية، استقطاب التناقض الموجود فى العالم العربى، والعمل على خلق جبهة عربية موحدة تحاصر العدو الإسرائيلى وترهقه، بالإضافة إلى وجود كثير من نقط الضعف الأساسية فى موقف إسرائيل يمكن استغلالها، ويمكن للعرب أن يجعلوا بقاء إسرائيل فى الأراضى المحتلة عبئاً ثقيلاً غالى التكاليف، تقصر عنه إمكانيات إسرائيل الاقتصادية، يمكن أيضاً استقطاب المجال السياسى العالمى لصالح العرب، وعدم ترك أى ميدان سياسى لإسرائيل تعمل فيه بحرية.. كذلك يجب البناء العسكرى إلى جانب البناء الاقتصادى؛ فيدٌ تبنى ويدٌ تحمل السلاح.. وأخيراً وضع خطة من أربع مراحل: البناء والصمود والردع ثم التحرير[1].

قبل أن نترك هذه الفترة يجب أن نشير إلى حدث مهم وكان للعقيد أبوغزالة رأى فيه.. وهو حرب اليمن.. وكان يقول من واجبنا أن نساعد اليمن ومن حق أى دولة عربية أن تساعد الشعب اليمنى إذا كانت هذه رغبته ولكن ليس بالقوات المسلحة».

إنه كان يقيم الأمور من تكوينه العسكرى وحكم على اليمن ليس من ناحيتها السياسية التى كان يراها قادة يوليو، لكنه نظر إليها من جانبها العسكرى الذى كان يراه خطأ بكل المعايير..

---

(١) سنتحدث لاحقاً عن دوره فى هذه المراحل من تاريخ القوات المسلحة

إن آراء أبوغزالة عن النكسة كادت تحيله إلى التقاعد من القوات المسلحة بعد ٦٧.

نعود مرة أخرى لنكسة ٦٧ ورغم أنه لم يشارك فيها فإنه عبر عن رأيه فيما حدث.. ونتيجة لغضبه من سلبيات ذلك الوقت وتعبيره عن ذلك للصحفيين فإنه كان سيتم إحالته للتقاعد فى هذه الفترة، ومن أرشيفه الصحفى نجد هذه الواقعة والتى ذكرت فى أكثر من موقع ومكان سواء فى الصحف أو على شبكة الإنترنت.

يقول شيخ المحررين العسكريين حمدى لطفى [(١)(٢)]:

«لقد رأيت أبوغزالة وهو يتجاوز الغضب والألم والحزن البشرى بأعصاب فولاذية "مرتين" قبل حادث المنصة الشهير.. المرة الأولى كانت فى ديسمبر ١٩٦٨ وكان برتبة عقيد ويقود مدفعية أحد التشكيلات الضاربة على جبهة غرب القناة.. وقد ردد صحفيون أجانب ومصريون اسمه كثيراً، كما ردده كثير من أعضاء مجلس الشعب والوزراء الذين استطاعوا زيارة جبهة غرب القناة وبالضرورة التقى الجميع بالعقيد أبوغزالة، استمعوا له ولحديثه الواعى وتحليله لأسباب النكسة ومسئولية القيادتين السياسية والعسكرية معاً عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ ويعود الزوار وهم فى دهشة من جرأة هذا الضابط وحدسه الخطير.. حدث هذا طوال عام ١٩٦٨» ..

---

(١) يناير ١٩٨٧/الأنباء.

(٢)الصحفى الراحل حمدى لطفى والذى كان يوصف بانه عميد الصحفيبن المصريين المتخصصين فى الشئون العسكرية من كتابه.. «عن ثورة ١٩٥٢» من موقع الكنانة ٢٧ يونيو ٢٠٠٠.



العميد أبو غزالة والمقدم حمدى خليفة ومعظم ضباط الجيش الثانى ومتابعة لإحدى العروض الفنية قبل حرب أكتوبر ٧٣



اللواء عبد المنعم خليل قائد الفرقة الثالثة مشاة وقائد مدفعيتها العميد ابو غزالة بعد نكسة ٦٧ وبينهما أحد ضباط الجيش.

الفصل الرابع



الفترة من أواخر ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٢

- تولية قيادة لواء مدفعية عام ٦٧
- تولية قيادة مدفعية الفرقة الثالثة المشاة منذ عام ٦٧-٦٩
- ذكرياته فى هذا المنصب
- ذكريات الفريق عبدرب النبى حافظ عن هذه الفترة
- ذكريات اللواء عبدالمنعم خليل قائد الفرقة الثالثة مع العميد أبوغزالة
- الفريق صفى الدين أبوشناف يتعرف عليه فى هذه الفترة
- اللواء عباس منصور يتذكر هذه الفترة العصيبة من تاريخ مصر
- اللواء يحيى خليفة واللواء حسنى سليمان واللواء عبدالرحمن الهوارى.. وذكريات هذه الفترة
- حرب الاستنزاف

"كنا فى المدفعية نقوم فى العام الواحد بنحو ٦٠ مشروع رماية بالذخيرة الحية، بينما المتوسطات العالمية لا تتجاوز مشروعاً واحداً فى العام.. ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة للمدفعية فحسب، بل كان فى كل الأسلحة فى المشاة والطيران وغيرهما والرئيس مبارك، قد ذكر مرات عديدة أن طلعات الطيران كانت قبل ٦٧ محدودة للغاية، ثم تضاعفت كثيراً بعد ٥ يونيو ٦٧ وقبل ٦ أكتوبر ٧٣.. لقد كان الإعداد شاقاً ورهيباً فى تلك الفترة المهمة من "تاريخ مصر وقواتها المسلحة".

(من حديث للمشير أبو غزالة للإعلام)

فى نهاية ١٩٦٧ تولى العقيد أبوغزالة قيادة لواء مدفعية.. وشارك فى وضع لبنات خطة الإعداد الفعلى لحرب أكتوبر.. بعد ذلك بشهور قليلة انتقل إلى الفرقة الثالثة المشاة وتولى قيادة مدفعيتها منذ أواخر عام ٦٧ وحتى ٦٩.. تلك بداية العمل الحقيقى لرد الكرامة وحرب الاستنزاف .

وعن هذه الفترة ومن أرشيفه الصحفى يقول العقيد أبوغزالة[1]:

"إن الإعداد الذى قامت به القوات المسلحة فى الفترة من خمسة يونيو وحتى السادس من أكتوبر١٩٧٣ كان -وبحق- إعداداً لا مثيل له، ولا يمكن لبشر أن يتخيله إلا أولئك الذين اشتركوا فيه.. إعدادا مثاليا تاريخيا قامت به قواتنا المسلحة بصدق وإيمان وإخلاص وتفان وإصرار على أنها ستحارب وتنتصر.. وأذكر أننى عندما كنت قائداً لمدفعية الفرقة الثالثة مشاة ميكانيكى، كان التدريب يتم على عديد من المشروعات الضخمة وبكميات هائلة من الذخيرة، وكانت المشروعات تستمر لبضعة أيام وفى أراض مجهولة لنا تماماً.. وأذكر أن نحو أربعة وعشرين من أعضاء مجلس الأمة والقيادات السياسية فى إحدى المحافظات أتوا إلى الجبهة لزيارتها.. كان قائد الفرقة فى ذلك الوقت اللواء عبدالمنعم خليل [2] الذى طلب منى مقابلة الضيوف ومرافقتهم.. واستقبلتهم عند تقاطع أبوسلطان وعرضت عليهم زيارة إحدى الوحدات، حيث يجرى رفع درجات الاستعداد أمامهم، ويجرى التحرك بالذخيرة الحية؛ وذلك حتى يأخذوا فكرة - وعلى الطبيعة - عما وصلت إليه

---

١) احد احاديثه الصحفية لمجلة اكتوبر/ مايو ١٩٨٣.. صبرى ابوالمجد.
(٢) تم التسجيل مع سيادته فى هذا الكتاب.

القوات المسلحة من تدريب مثالى، ورحبوا بالفكرة وتحركنا.. كانت هناك كتيبة هاون ١٦٠ مللى ذات الوزن الثقيل.. كانت فى الراحة طلبت من قائدها واسمه أحمد خلف القيام بالمهمة فى زمن قياسى، وتحركت الكتيبة إلى ميدان الرماية، ونجحت فى إصابة الأهداف، وبقوة بعد دقيقة و٥٧ ثانية، كانت الكتيبة مؤلفة من ثمانى عشرة قطعة.. قوة النيران جعلت الضيوف يفرون هرباً من شدتها وكثافتها..

وبعد أن انتهى المشروع، وتناولنا الطعام مع الجنود فى الجبهة كان هناك اهتمام بالتدريب لا مثيل له.. ويواصل ذكرياته فى فقرة أخرى قائلاً: "طلبت مرة من قائد الجيش - وكان وقتئذ - اللواء أحمد إسماعيل على[1].. أن يحدد الأهداف التى يريدها فى أحد المشروعات، وتمت العملية، وكانت الرماية ممتازة للغاية لدرجة أنه ذهل مما رأى».

وينتقل بنا الحديث لحدث فى غاية الأهمية، هو بداية لرد الكرامة واستعادة هيبة مصر وقواتها المسلحة وظهور الأبطال المصريين الحقيقيين فى حرب الاستنزاف..

حرب الاستنزاف

يقول المشير عبد الحليم أبوغزالة [2]: «لقد خدمت هذه الحرب القوات المسلحة إلى أبعد الحدود، كانت أنسب وأفضل وسيلة لإعداد الجندى للقتال فى ظروف الإعداد للقتال، حيث يجب التطعيم ضد المعركة بمعنى تعريض المقاتل لأصوات القنابل وتفجير المتفجرات وإحاطة المقاتل بجو شبيه بالمعركة حتى يتعود عليه، غير أننا عن طريق حرب الاستنزاف لم نكن بحاجة إلى هذا التطعيم، فالجنود والضباط يعيشون حرباً حقيقية يتعرضون لغارات شديدة من الطيران الإسرائيلى، يواجهون الموت كل ساعة، بل كل دقيقة وكانت تقع خسائر كثيرة من جانبنا.. وكنا نتعاون جميعاً فى تلك الحرب، القوات الجوية والدفاع الجوى والمدفعية.. أى أننا كنا فى خلال فترة الاستنزاف فى حرب

---

(١)المشير احمد إسماعيل وزير الدفاع خلال حرب أكتوبر، سبق ان أعددت كتاباً عنه منذ عدة سنوات وطبع أكثر من مرة.
(٢) أحد أحاديثه الصحفية مجلة أكتوبر/ مايو ١٩٨٣.. صبرى ابو المجد.

حقيقية، وفى آخر مراحلها قبل وقف إطلاق النار فى عام ١٩٧٠ تمت بعض العمليات"..

العقيد أبوغزالة شارك بشجاعة وفداء فى هذه الحرب.. وعن دوره فى مراحل البناء والصمود والردع والتحرير يقول اللواء عباس منصور[١]:

الضباط المصريون كان لهم دور كبير فى مرحلة بناء وإعداد القوات المسلحة، وبما أننا نتكلم عن البطل محمد عبدالحليم أبوغزالة فإننى سأركز على دوره فى هذه الفترة وعلى دور المدفعية التى كان أحد أبنائها الأبرار..

وسأبدؤها بمرحلة البناء:

مرحلة البناء كانت مهمة شاقة، حيث عادت معظم وحدات المدفعية من سيناء دون سلاحها والروح المعنوية للضباط والصف والجنود منخفضة، ولكن السلاح كان فى الطريق لإعادة البناء. الأمر كان يحتاج لجهد جبار يقوم به رجال أقوياء أكفاء آمنوا بالله وبالوطن، فى ٥ يونيو ٦٧ كان العقيد أ.ح / محمد عبدالحليم أبوغزالة قائد جناح المدفعية بمدرسة المدفعية، إذ تم اختياره فى ٢٩ يونيو ١٩٦٧ لقيادة بعض ألوية المدفعية حتى ٥ نوفمبر، حيث بدأ مع باقى وحدات المدفعية القيام بأولى خطوات البناء ألا وهى التدريب..

وقام بإعادة تشكيل لواءى مدفعية، ودمجهما فى لواء مدفعية بعد إعادة تسليحه بالعيار ١٣٠ مم، وبدأ التدريب شاقاً عنيفاً ليلاً ونهاراً، مع العمل على رفع الروح المعنوية للضباط والصف والجنود.. وبعد رماية اللواء بالذخيرة الحية (رماية فنية مستوى سرية وكتيبة) تم دفعه إلى جهة القناة بقطاع مدفعية الجيش الثالث الميدانى، ثم تم تدريب لواء آخر على النهج نفسه، وتم دفعه أيضاً إلى جبهة القناة، حيث كان على المدفعية أن تسبق الأسلحة الأخرى فى توقيتات الاستعداد، حيث إنها تمثل الذراع الطولى التى يمكن استخدامها فى مرحلة الصمود التى يجب أن تبدأ بأسرع ما يمكن.

ويواصل اللواء عباس حديثه ونأتى للمرحلة الثانية.. مرحلة الصمود، والتى يقول عنها..

فى ٦ نوفمبر ١٩٦٧ عُيِّن العقيد أ.ح/ محمد عبدالحليم أبوغزالة قائداً

(١) قائد مدفعية الرئاسة العامة سابقا وخبير استراتيجى.

لمدفعية الفرقة الثالثة مشاة حتى ٧ ديسمبر ١٩٦٩ فى منطقة جنوب الإسماعيلية (سرابيوم-الدفرسوار)، وعليه اشترك فى مرحلة الصمود التى بدأت بعد النكسة مباشرة واستمرت حتى أغسطس ١٩٦٨ م.

وتلخصت الاستراتيجية المصرية المتبعة فى الالتزام بالهدوء وعدم جر العدو إلى معارك لإتاحة الفرصة للبناء، مع تجهيز الدفاع على جبهة القناة، والوصول به إلى الدرجة التى تمكنه من منع العدو من القيام بعمليات هجومية ناجحة، قد يقوم بها لفرض إرادته على مصر، ليس معنى الالتزام بالهدوء هو عدم الرد على أعمال العدو الاستفزازية، بل من الممكن الرد عليه ولكن بحذر وحكمة مع تكبيده خسائر فى المعدات والأرواح؛ حتى يعلم أنه أمام جبهة مازالت قادرة على القتال رغم الضربة التى تلقتها.

ولعبت المدفعية المصرية الدور الأساسى فى مرحلة الصمود؛ لأنها كانت السلاح الوحيد الفعال فى ذلك الوقت، إذ كانت المدفعية ترد على أعمال العدو بقصفات نيرانية مؤثرة على قواته، ولقد أبدع رجال المدفعية وتفننوا فى تعاملاتهم مع قوات العدو خلال هذه الفترة، بل لقد استغلت هذه الفترة للتدريب أثناء التراشقات، فكنت ترى قائد مدفعية الفرقة الثالثة العقيد أ.ح أبوغزالة موجودا فى أحد مراكز ملاحظات المدفعية القائم بالاشتباك، وقد أمسك بساعة زمنية يقيم بها ضابط الملاحظة ويعلن له فى النهاية الدرجة التى يحصل عليها..

وقد شهدت هذه المرحلة بعض الملاحم البطولية التى أظهرت المعدن الحقيقى للمواطن المصرى، فكانت معركة رأس العش وإغراق المدمرة إيلات وغيرهما[1].

نأتى للمرحلة الثالثة وهى مرحلة الردع.. الدفاع النشط وحرب الاستنزاف:

وفيها تمكنت القوات المسلحة من إعادة بناء قواتها المسلحة جزئياً، واستعادت قدرتها الدفاعية إلى حد لا بأس به.. وقررت القيادة العليا التحول إلى استراتيجية الدفاع النشط والتى كان الهدف منها:

---

(١) تناولت هذه المعارك من قبل فى كتبى السابقة عن الفريق عبدالمنعم رياض، والمشير أحمد إسماعيل واللواء حسن الجريدلى، وكذلك تناولها العديد من القادة والكتاب.

عدم السماح لإسرائيل بتحويل خطوطها إلى خطوط بقاء تقوم بتحصينها.. مع إقناع إسرائيل بأن الاحتفاظ بهذه الخطوط عبء مرهق تحت وطأة ضربات المدفعية المصرية، وضرورة بقاء المشكلة الدولية ساخنة ليحس بها العالم ولا ينساها، مع رفع معنويات القوات المسلحة المصرية والشعب المصرى وبذلك يتم إحباط المخطط الإسرائيلى عن الحرب النفسية..

مازلنا مع اللواء عباس منصور والذى لا ينسى يوم المدفعية وعيدها والدور العظيم الذى قام به المشير أبوغزالة.

٨ سبتمبر ١٩٦٨ "يوم المدفعية"

يقول اللواء عباس: «كان العقيد أ.ح/ محمد عبد الحليم أبوغزالة قائد مدفعية الفرقة الثالثة المشاة أحد أبطال هذا اليوم تخطيطاً وتنفيذاً، لقد كانت قصفة النيران يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ تمثل نهاية مرحلة الصمود وبدء مرحلة الردع (الدفاع النشط وحرب الاستنزاف)، فقد تقرر فى هذا اليوم تنفيذ قصفة نيران مركزة قوية ضد جميع الأهداف المعادية على طول مواجهة قناة السويس وبعمق حتى ٢٠ كيلومترا، بغرض تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى قوته البشرية وأسلحته ومعداته، وتدمير الخط الدفاعى الأول الذى بدأ يبنيه على شاطئ القناة، وفرض السيطرة النيرانية للمدفعية على جبهة القناة، ورفع معنويات قواتنا وإثبات أن جيش مصر قد هب من كبوته ليقول كلمته فى الصراع الدموى الدائر بين العرب وإسرائيل.

وعن خسائر العدو فى هذا اليوم نجد أنه تم:

تدمير (٦ بطاريات مدفعية ١٣٠ مم ، ٨ مواقع صواريخ ٢١٦ مم-١٩ دبابة- ٥ دشم مدفع ماكينة -٢ منطقة شئون ادارية) وإسكات (١٧ بطارية مدفعية- موقع صواريخ ٢١٦ مم).

نتيجة لهذا العمل الخالد فقد اعتبرت المدفعية المصرية يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ يوم المدفعية تحتفل به سنوياً فى ذكرى هذا الانتصار العظيم.

بعد يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ بدأت المدفعية فى الحصول على المبادأة النيرانية، واستمرت معارك المدافع تتصاعد حتى مرحلة الاستنزاف فى ٨ سبتمبر

١٩٦٩، وخلال تلك الفترة كانت سلطة الاشتباك مفوضة حتى مستوى قادة السرايا بمهمة، منع تحركات العدو، وإحداث أكبر خسائر ممكنة فى أفراد العدو ومعداته..

وكان قادة الوحدات الفرعية للمدفعية يفتحون النيران على أى قوات للعدو فور اكتشافها، ولم يكن فى استطاعة أفراد العدو التحرك إلا من خلال الخنادق العميقة داخل الدشم القوية.

ولقد كان لقصفات نيران المدفعية خلال هذه المرحلة الكثير من المميزات مثل: الحصول على المبادأة النيرانية وفرض السيطرة على العمق التكتيكى للعدو، ورفع الروح المعنوية لقواتنا، وخفض الروح المعنوية للعدو، وإحداث أكبر خسائر ممكنة فى أفراد ومعدات العدو.

وعلى الرغم من كبر حجم خسائر العدو فى الأفراد والمعدات، فإن هذه الخسائر فى العدو لم تكن تتناسب مع كمية الذخائر المستهلكة؛ نظراً لاستخدام العدو للتحصينات والملاجئ الصغيرة والدشم.

فى ١٩٦٩/١٢/٨ عُيِّن العقيد أ.ح / محمد عبدالحليم أبوغزالة قائداً للواء صواريخ حتى ١٩٧٠/٢/٢٢، حيث قام بتشكيل اللواء وتدريب الضباط والصف والجنود فى دورة على الصواريخ بالتعاون مع الخبراء الروس.

وفى ١٩٧٠/٢/٢٣ عُيِّن رئيساً لأركان مدفعية الجيش الثانى الميدانى، وفى ١٩٧١/٨/٢٠ عين قائداً لمدفعية الجيش الثانى الميدانى، ورقى إلى رتبة العميد فى ١/ ١٠/ ١٩٧١ .

نعود مرة أخرى لمن عاصروا المشير أبوغزالة فى هذه الفترة، ويتكرر لقاؤنا مرة أخرى بالفريق عبدرب النبى حافظ زميله فى الكلية الحربية والذى يقول: "التقينا مرة أخرى بعد عدة سنوات من الافتراق فى الفرقة الثالثة عام ١٩٦٨، كان فيها قائداً لمدفعيتها، وأنا قائد اللواء بنفس الفرقة.. كانت هذه الفترة من أهم فترات إعداد القوات المسلحة للحرب وأوج نشاطها، وبحكم زمالتنا السابقة وصداقتنا وتفاهمنا الكبير كان التعاون بيننا وثيقاً ومثمراً لأبعد مدى.. أذكر أننى فى أحيان كثيرة كنت أطلب منه أن يتولى تدريب كتيبة

المدفعية الموجودة ضمن تنظيم اللواء، فكان يأتى فى منتهى السرعة ويأخذها ويرفع درجة استعدادها وتظل معه عدة أيام يدربها فى أرض التدريب فى جميع مراحل المعركة مثل"عمليات التحرك وانتقالات وضرب تجمعات نيران وضرب غلالات، وبعد تدريب شاق يعيدها إلى الفرقة على أكمل وجه، وبفضل وجود أبوغزالة كانت كل عناصر المدفعية رائعة.. أبوغزالة طوال عمره محباً للمشاركة الميدانية واعتبر من أفضل من يدير النيران.. وكما يقال "كانت لعبته".

اللواء عبدالمنعم خليل قائد الفرقة الثالثة مشاة عام ٦٨.. يحكى ذكريات هذه الفترة ويقول: "توليت قيادة الفرقة الثالثة مشاة بمنطقة الدفرسوار فى أواخر عام ٦٧.. وتم تجميع الوحدات القادمة من سيناء بعد انسحابها وتجميعها وإعادة بناء الفرقة وعمل تشكيلات من أجل المقاومة، فترة كان الجيش فيها مبعثراً.. وكان أبوغزالة قائداً لمدفعية الفرقة الثالثة.. والحقيقة أنه ساعدنى كثيراً فى العمل فى الفرقة وإعادة بنائها مرة أخرى.. فى هذه الفترة كلفنا بعمل مهمات استطلاعية وعمليات عبور للبر الثانى تقام لأول مرة، واشترك معى أبوغزالة وعمل بكل إخلاص وتفان.. وأنا كقائد كنت أطلب منه أن يرافقنى أثناء مرورى على الفرقة أو القيام بأى مهمة أريد تنفيذها.. وتوسمت فيه أشياء كثيرة وأثبتت لى الأيام صدق إحساسى بما توقعته له، فقد لاحظت أنه شخصية محبوبة من الجميع، وكنت أشعر أن الله تعالى يبث فيه نوراً هو سر حب الجميع له.. وكثيراً ما كنا نتحدث فى أمور وموضوعات كثيرة متنوعة وتعرفت عليه أكثر من خلال حديثه لى عن سفرياته ومغامراته وقصصه وذكرياته إلى روسيا والسويد وغيرهما..

.. والحقيقة أن أبوغزالة ساعدنى جداً أنا وغيرى من الضباط والقادة فى فهم الخبراء الروس؛ وذلك للباقته وفهمه للغة الروسية بطلاقة وترجمته وشرحه لنا، خاصة أن ترجمة الروس لم تكن دقيقة أو واضحة فى كل الأحيان.. صحيح أننى سافرت فى بعثة إلى روسيا ولكنها كانت لأشهر قليلة لم تمكننى من إتقان اللغة الروسية مثله.. وتوطدت العلاقة بيننا مدة طويلة.. بعد ذلك نقلت رئيساً لأركان الجيش الثانى وهو عين رئيساً لأركان مدفعية الجيش.. وعدنا للعمل معاً مرة أخرى فى فترة حرب الاستنزاف، وكان معى فى كل الخطوات هو والمقدم عبدالمنعم سعيد وكان الآخر ضابط عمليات كفئاً

وكنت أحبه أيضاً لنبوغه وجديته ومعرفته باللغة الروسية أيضاً.. وكثيراً ما كنا نتفقد الوحدات معاً.. كنت دائماً أنادى أبو غزالة بمحمد، وليس أبوغزالة كما يناديه الجميع..

أبوغزالة فى وقت فراغه كان يحب الرياضة ويمارسها، ويلعب كرة القدم مع الضباط والجنود ويكون فرق مدفعية رياضية تلعب ضد المشاة وهكذا.. وهذه الرياضة كان لها دور كبير فى رفع الروح المعنوية وتقوية الرابطة والحب بين القادة والجنود والضباط..

أذكر أن أبوغزالة لم يكن قائداً للمدفعية كل الفترات.. وكان اللواء عمر الموجى هو قائد مدفعية الجيش الثانى وكان إنساناً كفئا أيضاً وأبوغزالة كان نائبه، ولكنه كان يتواجد معى أكثر بصفة خاصة؛ لتمكنه من اللغة الروسية ولمهارته وكفاءته فى العمل ولشعورى بالراحة فى العمل معه..

طريقة أبوغزالة كانت تعجبنى جداً، كان يعامل الضباط والجنود وخاصة ضباط المدفعية معاملة خاصة، فيها حب واحترام، وكنت أرى ذلك وألمحه أثناء التعامل معهم وأثناء تنفيذ أوامره من مرءوسيه وفهمهم له من نظراته دون أن يتكلم.. المعروف أن الحب، إذا نشأ ينتج أشياء رائعة وقوية.. وهو فعلاً ما كان يحدث بينه وبين من يعمل معه..

أذكر أن وحدات المدفعية كانت مشتركة فى تكثيف الضرب فى منطقة قبالة الإسماعيلية شرق وتقريباً يوم ٨ سبتمبر ٦٨، وقد تمكنت من ضرب عدد كبير من قوات العدو، وكان لها دور رئيسى فيما بعد.. أبوغزالة كان ينظم العمليات بطريقة سلسة جداً.. وكان له دور كبير فى مرحلة الاستنزاف"..

وننتقل لزميل آخر فى هذه الفترة؛ لكنه كان طالباً تعلم على يديه من قبل فى الكلية الحربية.. وهو اللواء عبدالمنعم سعيد والذى يقول: "بعد عودتى من دراسة بالاتحاد السوفيتى كنت برتبة رائد أركان حرب، كان هو قائداً لمدفعية الفرقة الثالثة، وكان يأتى إلى قيادة الجيش، وكنت ألتقى به كثيراً، وأخذت أتذكر أيام الدراسة بالكلية الحربية، كانت سمعته جيدة جداً.. كنا نلتقى به أثناء قيام قائد الفرقة بعرض موضوع ما هو وضباط العمليات المرافقين له دائماً، وكثيراً ما كان يعرض تقارير، ويجيب عن أى سؤال، ويعرض أى موقف يختص بالمدفعية».

شهادة أخرى لزميل وصديق آخر هو اللواء حسنى سليمان مدير المدفعية ومساعد وزير الدفاع سابقاً.. والذى يقول:

أثناء حرب الاستنزاف فى الفترة الأولى من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧١، كان قائداً لمدفعية الفرقة الثالثة مشاة.. هذه الفترة تم فيها إعادة تسليح وتدريب الوحدات، وبداية العمليات التى كانت تتم مع الإسرائيليين والتراشقات وغيرها.. بعد عودتى من الدراسة فى أكاديمية فرونز بروسيا عينتُ رئيساً لأركان مدفعية الفرقة الثالثة معه.. دخلت إليه وسلمت عليه فى ملجئه، وطلب منى الأوراق والمذكرات التى كتبتها وتعلمتها فى البعثة. ومن ثانى يوم لى فى الفرقة كنت أمارس عملى معه ونمر على الوحدات.. والحقيقة أن العقيد أبوغزالة كان يبذل مجهوداً خرافياً.. يبدأ يومه الثامنة صباحاً؛ إما بالمرور على الحد الأمامى ومراكز الملاحظات. وإما فى ميدان التدريب.. وينهى يومه فى التاسعة أو العاشرة مساء..

أبوغزالة هو الذى اكتشف ميدان تدريب مدفعية الجيش الثانى فى أبوسلطان، والذى مازال يستخدم فى تدريب وحدات المدفعية حتى الآن.. وهو الذى ابتكر أيضاً معسكرات تدريب المدفعية لوحدات محتلة، فالنطاق الدفاعى للجيش يسحب نسبة من جنود الوحدات فى معسكرات التدريب تأخذ جرعة تدريبية وتضرب نار، ثم تعود وتذهب مجموعة أخرى..

أثناء فترة الاستنزاف والتراشقات حدثت واقعة لم تتمح من الذاكرة:

كنا فى مركز الملاحظة بأبو سلطان، فى اليوم التالى لعملية تراشق بنيران المدفعية.. على الشط الغربى للقناة أمام النقط القوية لأبوسلطان.. شاهدنا بالنظارات المكبرة طائرتى هليكوبتر، وعربتى جيب إسرائيليتين، ونزل منهم موشى ديان، ومجموعة من كبار القادة الإسرائيليين..

كان لنا خمس كتائب مدفعية وستون مدفع رابطة بيانات، يعنى لو ضربنا هنقضى عليهم كلهم.. كان فى متناول أيدينا القضاء عليهم بقذفة واحدة، واستأذن العقيد أبوغزالة القيادة الأعلى بالضرب ولكن القيادة رفضت، فنحن لم نكن استكملنا قوتنا وعدتنا بعد، وعملية كهذه لو تمت بنجاح كان سيكون لها رد فعل كبير ضدنا من الإسرائيليين..

هذه العملية كانت قبل استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض ونفس العملية قاموا بها واغتالوه.. وأنا شاهد على التاريخ وعلى هذه الوقعة.

نعود لشخصية أبوغزالة والذى كان دائم المرور على الوحدات، يجلس مع القوات بصفة دائمة، وفى المساء يدخل ملجأه، ويأخذ دش بجركن مياه، ويجهز كتبه وأوراقه ثم يقرأ ويترجم، أو يجهز محاضرة.. فهو غاية فى العلم وشعلة من النشاط.. كان يبذل جهداً غير عادى.. وهو رجل ذكى.. الخبراء الروس كان لديهم قناعة بأنه متميز فى ذكائه وجرأته وعلمه وقدرته.. فى كل ما نتخيله.. أحياناً كان الخبراء الروس يعجزون أمامه..

كان أيضاً يمتاز بالهدوء والتروى ويعشق النظريات الرياضية.. فى الوقت نفسه كان رجلاً رياضياً يلعب تنس وكرة قدم..

من مواقفه الإنسانية وكرمه وحبه لجنوده وزملائه.. أثناء فترة أبوسلطان وبعد عودته من الإجازة.. ينادى علينا من ملاجئنا تحت الأرض؛ حتى نأكل معه مما أحضره من طعام، كنا محرومين منه طوال وجودنا فى الجبهة وطبعاً ندعو للحاجة زوجته».

شهادة أخرى للواء يحيى خليفة، مدير إدارة التجنيد سابقاً وصديق المشير أبوغزالة، يقول فيها:

"كنت أحب الرياضة وأمارسها، وهو أيضاً، وكان لى علاقة به على أساس أن الرياضة مرتبطة بكل وحدات المدفعية، ولمست عن قرب خصال إنسان بسيط وجميل وسهل فى تعاملاته.. فى الفترة التى كان فيها قائد مدفعية الفرقة الثالثة كنت فى البوليس الحربى، وكنت على اتصال به، ثم عينت قائد لواء مدفعية بعد ذلك.. وبعد ثلاثة أشهر التحقت بالفرقة الثانية و كان الاتصال العرضى بيننا فى قمة روعته وكفاءته.. وظهر ذلك فى كل صور التعامل وتبادل المعلومات والتيسير على بعضنا بعضاً وكان لذلك مذاق خاص فى الحرب.. وحضرنا حرب الاستنزاف بالكامل.

فى فترة الاستنزاف كان نادراً ما يأخذ إجازات.. ولكنه يمنح الضباط الأصاغر إجازات لأنهم لا يستطيعون المكوث مدة طويلة مثل القادة بعيداً عن أسرهم..

العميد أبوغزالة كان دائماً يمر على الجنود فى المواقع ويأخذ معه أفراداً من أصدقائه أو زملائه المقربين، وكنت أذهب معه ونأكل مع أطقم المدافع من أكلهم وكنت أقول له ضاحكاً..: "بلاش مكرونة هى بتعمل تلبك معوى ونحن لن نستحملها"..

فكان يقول:" لو قلنا للطباخين يطبخوا كويس لن نتعب.. نحن نأكل ونتعب حتى نغيرالأكل للأحسن..

أتذكر أن طريقة تعامله مع الجنود كانت فى منتهى البساطة.. والتواضع.. كان قوياً وصحته جيدة لأنه كان رياضياً..

فى هذه الفترة ورغم انشغاله فى الميدان، فإنه لم ينس العلم ولا القراءة ولا الرغبة فى معرفة المزيد.. وحصل على إحدى الدورات التى ذكرها اللواء منير شاش قائلاً:

"افترقنا أثناء حرب ٦٧ وعدنا مرة أخرى للدراسة فى مرحلة الاستنزاف وذلك فى الأكاديمية عام ١٩٧١ وللحصول على دورة كان بها العديد من الضباط الذين شاركوا فى صنع نصر أكتوبر فيما بعد ومنهم.. أبوغزالة وأحمد بدوى ويوسف صبرى أبوطالب ويوسف عفيفى وأنا"..

ويقول اللواء عبد المنعم سعيد:"عندما كان قائداً لمدفعية الجيش كنت أنا فى عمليات الجيش وخدمت معه ومع اللواء عبدالمنعم خليل الذى كنا نرافقه فى أى مؤتمر يعقده كمترجمين، بالإضافة إلى عملنا"..

يقول الفريق صفى الدين أبوشناف.. رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقاً:

"أول مرة قابلت المشير أبوغزالة كنت رائداً فى عمليات المنطقة العسكرية الشرقية بعد ٦٧ وكان هو قائداً لمدفعية الجيش.. كان محباً للرياضة ولعب كرة القدم وكنا نلعب معه ومن هنا بدأت المعرفة والاحتكاك الأول به.. وبدأت أتلمس شخصيته وعرفته رجلاً فاهماً، متعلماً، واعياً، جيداً لكل الأمور، وبأقصى حد.. وظللت على علاقة به، ولكن فى إطار محدد إلى أن تم التجهيز لحرب ٧٣، وكنت فى ذلك الوقت رئيساً لأركان أحد اللواءات وهو قائداً لمدفعية الجيش الثانى، وباستمرار كنت أراه يحضر المشاريع ودائم

المرور على كل الجيش، وكان يحب أن يسألنى، والحقيقة أننا كنا نميل إلى بعض وكانت بداية الإعجاب المتبادل واستمرت علاقتنا إلى أيام الحرب وزادت العلاقة بيننا"..

يقول اللواء عبد المنعم كاطو، الخبير الاستراتيجى: معرفتى بالمشير أبوغزالة بدأت عندما عُيِّن رئيس أركان مدفعية الجيش الثانى فى ٦٩، واستمرت إلى ما بعد ذلك، وعندما عُيِّن قائداً لمدفعية الجيش.. كنت فى ذلك الوقت ضابطاً فى شعبة عمليات الجيش برتبة رائد وهو عميد، ورغم ذلك كانت علاقتنا يغلب عليها الاحترام والدفء كعلاقاته مع الجميع، ولاحظت أنه إنسان دءوب فى العمل، مثقف لأقصى درجة، وأتذكر أنه عندما بدأنا التخطيط لحرب أكتوبر زادت الروابط بينه وبيننا فى شعبة العمليات، حيث هيأ القائمين بعمليات التخطيط، ووجدت التزمات للمدفعية والأفرع الأخرى بقيادة الجيش وتوطدت الصلة بيننا وفى هذه الأثناء التى كان فيها قائداً لمدفعية الجيش، كنا نراه متواجداً معنا طوال الوقت ولا يربأ بنفسه أن يعمل على الخريطة ويخطط معنا، ليس فى المدفعية فقط، بل فى كل المستويات المختلفة، ويمكن أن يستمر معنا حتى لأوقات متأخرة، وكثيراً ما كان يدلى برأيه ويناقشنا ببساطة شديدة ولو وجد رأياً أصوب منه يأخذ به، لذلك كان قائداً ديمقراطياً متعلماً ومثقفاً وفاهماً لأبعد حد..

فى هذه الفترة كان يجمعنا هدف واحد وهو أنه لابد من الانتصار فى الحرب القادمة، وفى انتصارنا هذا نوفر كل قطرة دم لأى جندى مصرى وكذلك النفقات.. فالذى نصيبه بطلقة لا نضربه بعشر طلقات وساعدنا الله تعالى على ذلك..

يواصل اللواء كاطو كلامه عن المشير أبوغزالة عارضاً للوجه الآخر منه فى بساطته.. يقول:" أتذكر أنه فى أوقات الفراغ القليلة كان يقول لنا: انتو قاعدين ليه.. تعالوا نلعب كرة".

والشئ المضحك أنه كان يلعب معنا، ولكنه لم يكن مهاجماً أو مدافعاً، بل هو مهاجم بالصوت ويدير المباراة بالصوت والحماس ولا يهمه أين تذهب الكرة المهم هو رفع الروح المعنوية للجنود والضباط وهذه المباريات كانت تزيد من جرعات الحب والزمالة بين أفراد الجيش.. فى الوقت نفسه وخلال

فترات الغداء، كانت تدار مناقشات بينه وبيننا فى كل شىء ثقافياً، عسكرياً، أسرياً، وغيرها من الموضوعات المهمة والبسيطة وميزته أنه كان يعطى الحرية التامة لكل فرد بأن يتكلم ويدلى برأيه بلا خوف أو تحفظ..

بكل أمانة كانت فترة الإعداد للحرب فترة رائعة رغم صعوبتها، فقد كانت من الفترات العصيبة التى مرت بها قواتنا المسلحة وزادت من عمر كل ضابط مسئول..

نعود مرة أخرى للفريق عبدرب النبى حافظ.. رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقاً والذى يقول:

"فى عام ١٩٧٠ توليت رئاسة أركان الفرقة الـ ١٦ المشاة وتولى هو رئاسة أركان مدفعية الجيش الثانى، وفى عام ١٩٧١ توليت رئاسة الفرقة وهو قيادة مدفعية الجيش الثانى وكانت فترة الإعداد النهائية لعملية الحرب ووضع اللمسات الأخيرة وظهر التعاون بيننا فى أوج صوره نتيجة المحبة والمودة والعشرة الطويلة التى عشناها سابقاً معاً..

لا أتذكر أنه رفض لى مطلباً قط وأنا أيضاً كنت أعاونه على قدر استطاعتى، مرة وقبل الحرب كان عنده ثلاثة مدافع ١٥٥ مللى فرنساوى ثقيلة وقديمة جداً، وخاطبنى قائلاً: تحب تاخدهم؟!.. فقلت له بلا تردد طبعاً، آخدهم.. هاتهم"..

يقول اللواء منير شاش: "عينت فى أواخر ١٩٧٢ رئيساً لأركان مدفعية الجيش الثالث مع قائد مدفعية الجيش الثالث إلهامى الشيخ وأبوغزالة عين قائداً لمدفعية الجيش الثانى.. فى مارس ١٩٧٣ توفى العميد إلهامى الشيخ فى منزله أثناء نومه وعينت قائداً لمدفعية الجيش الثالث.. وتوطدت علاقتى بأبوغزالة أكثر، وفى الغالب عادة ما يحدث تنافس بين ذوى المناصب الواحدة ولكن وبكل أمانة لم يحدث تنافس أو غيرة أو صراع مطلقاً بينى وبين أبوغزالة، بل على العكس وجدت كل تعاون ومحبة وتقدير وحدث تنسيق كبير بين الجيشين.. فمثلاً أثناء العمليات عندما كان يطلب منى معاونة كنت أفعلها من قبل أن يطلب من قائد الجيش وأنا أيضاً لم أطلب منه شيئاً ويرفضه.

أثناء الثغرة، كان مدى مدفعية الجيش الثانى لا يصل إلى الصواريخ،

فقمت بإطلاق كتيبة صواريخ للضرب على القوات فى الثغرة، رغم عدم تأثير ذلك علينا، ولكنه تعاون ومعاونة أكثر من أى شىء آخر"..

ننتقل لشهادة أخرى من اللواء عبدالرحمن الهوارى الذى يقول:

"هذه الفترة هى المرة الثانية التى أتعامل فيها مع العميد أبوغزالة والفترة التى كان فيها رئيساً لأركان مدفعية الجيش الثانى ثم قائدا لمدفعيته، وكنت أنا رئيس عمليات المدفعية، ومسئولاً عن إدارة المحور المسئول عن الجيش الثانى، و"متابعة كل ما يحدث فى عمليات الجيش الثانى "، وكنت أزور الجيش الثانى فترات كثيرة وتعاملت معه - مباشرة - كثيراً، ولمست من خلال تعاملاتى أنه محبوب للغاية من المرءوسين بشكل غير عادى.. يظهر هذا الحب فى أوج صوره أثناء فترات الراحة والغداء وممارسة الرياضة.. فترة ما قبل الحرب كانت فترة تخطيط وكنا نمكث مع الضباط نتناقش ونعرض الآراء وكان يهتم بكل الآراء ويناقشها..

الفترة من (٧٠-٧٣) كانت مهمة جداً.. كنا نحضر مشاريع ومناورات وكانت بالنسبة لى فى غاية الأهمية تعلمت فيها التخطيط والعمل على مستوى القيادات والجيش.. الذى يحضرنى هنا عندما كان -العميد أبوغزالة- يعرض مقترحاً للجيش كان يقدمه متكاملاً وواضحاً ولو به تعديلات تكون بسيطة للغاية، كنا نجمعه فى إطار خطط خاصة.. وأنا كمسئول عن المحور كنت أشعر بالراحة أثناء عرضى لتقاريره وخططه على قائدى، فكل شىء به يكون متكاملا ومعلوماته متوفرة وكثيرة عكس المحاور الأخرى.. طبعاً ساعدنى على ذلك وجود علاقة قوية سابقة معه".

نعود مرة أخرى للواء عبدالمنعم سعيد وحديثه عن أخلاقيات أبوغزالة يقول:

"وأنا فى عمليات الجيش كنت مسئولاً عن إعداد خطة عمليات الجيش، وكنت أقوم بتجميع الخطط التخصصية التى تأتينى من كل أفرع الجيش، كنا نأخذ منها الأشياء الأساسية، ونستعين بها فى خطة العمليات الشاملة، يقوم كل فرع بدفع مندوب من عنده لإمدادنا بما لديه ولمعرفة الموقف.. إلا قيادة

مدفعية الجيش فكان العميد أبوغزالة يأتى بنفسه، وكنا نقول له أرسل لنا أى أحد غيرك.. وأقول له يا أفندم لا تأتى بنفسك.. أنا سآتى إليك.. أنت عميد وأنا مقدم، فكان يقول:".. يا عبدالمنعم لا تفرق.. اقعد يا بنى.. المهم الشغل".

تواضع، أشياء صغيرة وبسيطة لكنها مازالت عالقة فى الذهن، ورغم مرور ما يقرب من الأربعين عاماً.. فإن شخصية المشير أبوغزالة نادراً ما نجدها ثانية..

أعترف بأن اقترابنا من بعضنا البعض فى هذه المرحلة زاد من تعارفنا وارتباطنا، وجعلنا نعرف كيف نفكر ونعمل كفريق عمل متوافق وهو ما أدى إلى زيادة روابط الصداقة بيننا وقواها.. بعد ذلك انتقل لقيادة مدفعية الجيش الثانى حتى حرب أكتوبر٧٣ وقام بدور هائل فى عملية إدارة نيران مدفعية الجيش ككل، وأثناء عملية الثغرة قام بتعبئة عشرات الكتايب من المدفعية والصواريخ أرض - أرض، من أجل تدمير العدو الذى اخترق من عند الدفرسوار، وكان له دور رائع فى هذه المرحلة الحاسمة..

وقبل أن ننهى هذا الفصل نسجل شهادة أحد رجال الصاعقة والذى يتحدث عن المشير أبوغزالة بكل فخر ويشير إلى إحدى العمليات التى نفذت، وكانت رداً على استشهاد الفريق عبد المنعم رياض وكان لمدفعية الجيش والعميد أبوغزالة دور كبير فيها ويقول الربان/ وسام عباس حافظ كبير مرشدين ممتاز بهيئة قناة السويس، والذى يقول: "كنت أعمل منذ فبراير ١٩٦٨ ضمن مجموعة القوات الخاصة البحرية.

"فى ١٩ أبريل ١٩٦٩ قامت مجموعة القوات الخاصة البحرية بقيادة المقدم أ. ح/ إبراهيم الرفاعى بعملية إغارة هجومية على موقع لسان التمساح بالإسماعيلية، واشترك معنا فى نفس العملية عناصر كتايب صاعقة، تابعة لوحدات القوات الخاصة بالقوات المسلحة، وكان ذلك انتقاما لاستشهاد الفريق عبدالمنعم رياض رئيس أركان القوات المسلحة.. وكان المشير أبوغزالة فى ذلك الوقت برتبة العميد، وكان قائدا لمدفعية الجيش الثانى الميدانى.

وكانت خطة الهجوم تعتمد على تحضيرات المدفعية التى استمرت أكثر من سبعة أيام ليلا ونهارا قبل موعد الهجوم، حيث تم استخدام مناورات القذف

بالمدفعية على موقع لسان التمساح والمواقع الإسرائيلية الحصينة شمال وشرق وجنوب الموقع المستهدف، بحيث لم يشعر العدو الإسرائيلى بنية الهجوم.

يوم ١٩ أبريل ١٩٦٩ استمر قذف المدفعية على موقع لسان التمساح والمواقع المجاورة شمالا وجنوبا، وفى تمام الساعة السابعة مساء يوم ١٩ أبريل ١٩٦٩، تحرك عدد ١٥ قارب زودياك كوماندوز ماركة ٥، وكل قارب كان يحمل ١٢ فرداً من القوات الخاصة البحرية والقوات الخاصة المنضمة على المجموعة من كتائب الصاعقة، وكان التحرك فى اتجاة ٥٠٠ متر جنوب الموقع الإسرائيلى الحصين الواقع فى شمال لسان التمساح، وكان ضرب المدفعية على موقع لسان التمساح يساعد على تحديد اتجاة التحرك نحو الهدف بدقة، ولما وصلت مجموعات القوات الخاصة على شاطئ لسان التمساح أثناء ضرب المدفعية، استمر تقدم القوات نحو الموقع الإسرائيلى الحصين سيرا على الأقدام حتى أصبحت المسافة من الموقع الحصين نحو ٥٠ مترا، وكانت دقة ضرب المدفعية متناهية، حيث كانت كل القذائف تسقط على الموقع الحصين بمنتهى الدقة، مما أجبر جنود العدو على الاحتماء داخل الدشم الحصينة ولم يخطر ببالهم الهجوم المنتظر.

ولما صدرت إشارة وقف ضرب المدفعية المصرية، بدأ الهجوم الخاطف على الدشم، وتم إجبار الجنود الإسرائيلين على الخروج من الدشم، وذلك بإلقاء القنابل اليدوية والقنابل الحارقة التى أجبرت الإسرائيليين على الخروج خارج الدشم، حيث تم القضاء عليهم جميعا، وكان الانتقام لاستشهاد الفريق عبدالمنعم رياض".

ونترك مرحلة الاستنزاف وشهادة هؤلاء الرجال على الدور الذى قامت به مدفعيتنا المصرية الرائعة، والعميد أبوغزالة قائد مدفعية الجيش، ونأتى لمرحلة مهمة بتسلسل الزمن والأحداث .. أكتوبر ٧٣.

الفصل الخامس



أبوغزالة.. بطل من أبطال أكتوبر

- دور العميد أبوغزالة وسلاح المدفعية فى هذه الحرب
- العميد أبوغزالة ضارب آلة كاتبة ممتاز
- كيف أخفى العميد أبوغزالة موعد الحرب عن أعوانه وأقرب المقربين إليه
- سير عمليات القتال
- كيف كان الموقف بعد ٧ و٨ أكتوبر ١٩٧٣ ..؟!
- معركة الطالية
- المناورة بنيران المدفعية من الشرق.. على قوات العدو بالثغرة
- الثغرة والبطولات التى قام بها ضباطنا، خاصة المشير أبوغزالة
- المعركة الصينية ودور المقدم حسين طنطاوى فيها.. (المشير حسين طنطاوى وزير الدفاع والإنتاج الحربى الحالى)

(إن قواتى تعرضت طوال تقدمها من بالوظة، وحتى قيامى بالهجوم المضاد فى قطاع الفردان، لقصف مؤثر من المدفعية أدى إلى تدمير أكثر من ٧٠٪ من مشاتنا الميكانيكية، ولقد تصورت أن دقة نيران المدفعية وتأثيرها الشديد لا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان هناك ضابط مدفعية مصرى يقف على برج دبابته ويصحح النيران على قواته!!).

من أقوال العقيد عساف ياجورى فى نجاح المدفعية المصرية

حرب أكتوبر كانت البداية الفعلية والاختبار الحقيقى للجندى المصرى والذى بدأ فى حرب الاستنزاف، فى هذه الحرب ظهرت شخصية العميد أبوغزالة القائد والمقاتل الشرس الذى كان يهابه الجنود الإسرائيليون، وكما ظهر فى كتاباتهم.. أشاد الجميع به وبكل قادة مدفعية الجيشين.. إنجازات كثيرة حققها رجالنا البواسل، رجال القوات المسلحة، وبالتلاحم مع باقى أبناء الشعب المصرى.. إنجاز وثأر ورد كرامة وبطولة توارثتها الأجيال، وكانت أكبر رد على الظلم الذى لحق بنا والعار الذى غطانا ظلماً وقهراً، ولم يظهر حقيقة المقاتل المصرى الأصيل وذلك بعد نكسة يونيو..

ونأتى للمرحلة الأخيرة من مراحل الإعداد للحرب وهى مرحلة التحرير والتى شارك فيها العميد أبوغزالة بكل بسالة، حتى أنه استحق أن يكون أبا المدفعية، كما أطلق عليه اللواء محسن حمدى..

المرحلة الرابعة وهى مرحلة الإعداد للحرب.. (تخطيط وإدارة العملية الهجومية). وعن تخطيط استخدام المدفعية ودور أبوغزالة، يقول اللواء عباس منصور: بعد نجاح قواتنا المسلحة فى إعادة بناء نفسها، وشن حرب استنزاف ناجحة، أدارت رأس العدو الإسرائيلى، وأفقدته اتزانه، بدأ الإعداد للتحول العظيم.. التحول من استراتيجية الدفاع إلى استراتيجية الهجوم، ويواصل حديثه قائلاً:"تخرجت فى الدورة "٢٤" كلية القادة والأركان فى أول أكتوبر ١٩٧١، وكان لى الشرف الكبير أن أعين بقيادة مدفعية الجيش الثانى الميدانى بقيادة قائدها العظيم العميد أ.ح / محمد عبدالحليم أبوغزالة، حيث تم خلال عامين قبل الحرب من أول أكتوبر ٧١ حتى أول أكتوبر ٧٣،

إجراء عدة مشروعات"، وكانت هذه المشروعات مشابهة تماماً لما سيتم فى العمليات، فكان نعم المعلم لى ولضباط القيادة، كما قامت إدارة المدفعية بإجراء مشروع إدارة نيران داخلى لمدفعية الجيش الثانى الميدانى يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٣م.

كما كان لى شرف الاشتراك معه فى إعداد خطة الاستخدام القتالى لمدفعية الجيش الثانى الميدانى فى العملية الهجومية.

فبراير عام ١٩٧٣.. وكنا ثلاثة: العميد أركان حرب أبوغزالة، والعقيد أركان حرب نبيل مرسى ، وأنا- وكنا نعمل فى سرية تامة، ويمدنا بالمعلومات عن العدو شرق القناة المقدم أركان حرب رشيد يوسف، رئيس استطلاع مدفعية الجيش، وهنا عرفت أن العميد أركان حرب أبوغزالة ضارب آلة كاتبة ممتاز، فكل وثائق الخطة كتبها بنفسه على الآلة الكاتبة فى سرية تامة، كما أنه كان يساعدنا فى الرسم على الخريطة بنفسه.

كانت هناك مجموعة من العوامل التى روعيت فى وضع خطة الاستخدام القتالى لمدفعية الجيش الثانى الميدانى للعملية الهجومية أهمها:

١- ضرورة الحصول على السيادة النيرانية فى مسرح العمليات، أو بتعبير أدق تحقيق التفوق على مدفعية العدو فى كل محور.

٢- ضرورة تركيز الجزء الأكبر من المدفعية فى اتجاه المجهود الرئيسى .

٣- تحقيق كثافة فى المدفعية بمختلف أنواعها للدبابات وخاصة مدفعية الميدان المدفعية الميدان والمدفعية المضادة بما يحقق إمكانية معاونة القوات على تحقيق معدلات عالية للتقدم والعبور وصد الهجمات والضربات المضادة.

٤- تحقيق الاتزان والثبات لجميع رءوس الكبارى.

٥- الاحتفاظ باحتياطيات قوية وكافية، حتى يمكن مواجهة أى تطور للموقف خلال أيام القتال.

وطبقاً لهذه الأسس تم وضع خطة الاستخدام القتالى التفصيلية لمدفعية الجيش الثانى الميدانى ووزع الدعم على الفرق توزيعاً نوعياً، أى بالعيار المناسب، وتوزيعاً كمياً، أى بالحجم المناسب، لضمان إمكانية التعامل مع

النقط الحصينة، ومع مدفعية العدو وغير ذلك من المهام، وكان التمهيد النيرانى للهجوم.

كما كلف العميد، أبوغزالة الرائد مصطفى زهدى، مساعد رئيس استطلاع مدفعية الجيش بمهمة دراسة مدى الرؤيا فى الليالى القمرية من الشاطئ الغربى لقناة السويس فى اتجاه العدو بالعين المجردة، وباستخدام الأجهزة البصرية المختلفة خلال ثلاث ليال لاكتمال القمر والليالى الثلاثة السابقة واللاحقة على ذلك.. على أن يتم الرِّصد من آخر ضوء حتى شروق الشمس فى اليوم التالى..

إدارة العملية الهجومية

ونأتى لإدارة العملية الهجومية ونتساءل: كيف أخفى العميد أ. ح أبوغزالة توقيت بدء الهجوم عن أقرب معاونيه والذى اشترك معه فى مرحلة التخطيط وفى إعداد خطة الاستخدام القتالى لمدفعية الجيش الثانى الميدانى للعملية الهجومية؟!.

يقول اللواء عباس منصور.. "لم أكن أتصور مطلقاً أن يخفى علىَّ العميد أبوغزالة موعد الحرب، وأنها خلال أيام، وخاصة بعد اشتراكى معه فى التخطيط لفترة طويلة، ورغم وجودى معه فى خندق واحد، أنا والمقدم أ. ح رشيد يوسف رئيس استطلاع مدفعية الجيش بمركز القيادة المتقدم للجيش الثانى الميدانى وتعليماته لنا بعدم مغادرة مركز القيادة لأى سبب، والحقيقة أنه أخفى علينا تماماً أن الحرب قادمة خلال أيام قليلة معدودة، أذكر أنه "يوم الأحد ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣ م، كنت أتناول طعام الإفطار "رابع يوم رمضانٍ" مع العميد أبوغزالة، قائد مدفعية الجيش، الذى بادرنى سائلاً: "هل تناولت طعام الإفطار مع أولادك هذا العام يا عباس؟ فأجبت بالنفى.. فقال لى: انزل باكر افطر مع أولادك..

وفعلاً نزلت فى صباح يوم الاثنين أول أكتوبر ١٩٧٣ إلى القاهرة، وقبل أن أنتهى من تناول طعام الإفطار، إذا بجرس الباب يدق، ففتحت وفوجئت بالعريف عبدالحكيم الذى يعمل معى بفرع العمليات، يقول لى: إن قائد

مدفعية الجيش يبلغنى أن أعود باكر الثلاثاء ٢ أكتوبر ١٩٧٣م.. وفعلاً عدت صباح الثلاثاء ٢ أكتوبر إلى القيادة، وقابلت مساعد فرع عمليات المساعد عبدالمنعم سعد الذى كان فى انتظارى، وعلمت منه أنه قد تم رفع حالة استعداد قيادة الجيش الثانى الميدانى، وتحركت لفتح مركز القيادة المتقدم للجيش، وأيضاً مركز القيادة الرئيسى للجيش، وسلمنى مظروفا كبيرا طلب منه العميد أبوغزالة أن يسلمه لى فور حضورى، وكانت به بعض التعليمات التنظيمية للمشروع (الذى كنا نقوم به) الذى سيبدأ من يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣، وتحركت أنا والمساعد عبد المنعم إلى مركز القيادة المتقدم، ومعى خرائط ووثائق المشروع، وتم الانضمام على مركز القيادة المتقدم لمدفعية الجيش مع القائد العميد أ. ح/ أبو غزلة، وكان معه المقدم أ. ح/رشيد يوسف رئيس فرع استطلاع مدفعية الجيش..

تواجد العميد أبوغزالة بمركز القيادة المتقدم بقيادة السيد اللواء أ. ح/سعد مأمون قائد الجيش الثانى، ومركز القيادة الرئيسى بقيادة اللواء أ٠ح/تيسير العقاد رئيس أركان الجيش، وصحبه من المدفعية العميد/ فهمى جمعة رئيس أركان مدفعية الجيش الثانى الميدانى وسائر عناصر القيادة.

يوم الأربعاء ٣ أكتوبر مر فى هدوء وجرى الإعداد والتجهيز للمشروع [1] من خرائط ووثائق وجدول سير الحوادث والذى سيبدأ خلال يومين..

بعد ظهر يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣.. أصدر قائد مدفعية الجيش العميد أبوغزالة تعليماته لإبلاغها إلى قادة مدفعيات الفرق: «٢١ مدرعة»، «٢٣ مشاة ميكانيكى» والفرقة الثالثة مشاة ميكانيكا، الأنساق الثانية بخصوص احتلال ألوية مدفعية الفرق الثلاث مرابض نيرانها الرئيسية غرب القناة مساء اليوم، والإبلاغ عن حاضر سعت ٢١٠٠"التاسعة مساء" الليلة، وفعلاً احتلت الثلاثة ألوية مدفعية مرابض نيرانها الرئيسية وبلغت عن حاضر فى الوقت المحدد.

وأتذكر أنه سألنى "تفتكر إذا قامت الحرب بيننا وبين إسرائيل تكون الساعة كام؟.. فأجبته: " كما درسنا بكلية القادة والأركان تكون قبل آخر ضوء

---

١) ذكر هذا المشروع وهذه السرية وهذا التمويه فى كتاب اللواء حسن الجريلى (ذكريات ضابط مصرى للكاتبة).

فى الوقت الذى يسمح لطائراتنا بتوجيه الضربة الجوية المركزة والعودة فى وضح النهار، إن احتلال ألوية مدفعية فرق الأنساق الثانية للجيشٍ لمرابضها الرئيسية معناه أن الحرب ستكون خلال ٤٨ ساعة، وهذا ما تم فعلاً..

صباح يوم الجمعة ٥ أكتوبر تم دفع جميع وحدات الدعم المكلفة، وكذا وحدات المدفعية الثقيلة، وأيضاً الصواريخ أرض/ أرض، وبذلك تم اكتمال التجميع النهائى لوحدات مدفعية الجيش الثانى للعملية الهجومية..

يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ استدعى قائد الجيش الثانى الميدانى القادة، ومنهم قائد مدفعية الجيش العميد أ. ح / أبوغزالة ليبلغهم عن سعت "س"، وكانت تعليماته تنص على أن يبدأ تبليغ قادة اللواءات بها فى الساعة التاسعة من صباح ٦ أكتوبر؛ حيث بدأ تسلسل وصول التوقيت إلى القادة على التوالى فى سرية تامة إلى أن يبلغ للجنود الساعة ١٢٠٠ وليس قبل ذلك.. وقد تم تنفيذ تعليمات قائد الجيش بكل دقة، حيث جُمع القادة عند قائد مدفعية الجيش وسلمهم مظروفا كاكيا صغيرا سعت ١٣٠٠(الواحدة ظهراً) بعد ظهر يوم الجمعة ٥ أكتوبر على أن يفتح المظروف سعت ٩٠٠ صباح ٦ أكتوبر ١٩٧٣..

سير القتال

وننتقل إلى سير القتال.. يقول اللواء عباس منصور:"يوم السبت ٦ أكتوبر عندما أشارت عقارب الساعة إلى سعت ١٣٠٠ أى الساعة الواحدة ظهراً.. يوم ٦ أكتوبر.. كانت مراكز الملاحظة على مختلف المستويات قد اتخذت أماكنها فى سرية تامة ولم يلحظ العدو الإسرئيلى أى تغيير فى أوضاع القوات.

فى الفترة من سعت ١٣٠٠ وحتى سعت ١٤٠٠ قامت مراكز ملاحظة المدفعية بتأكيد أهداف المدفعية، كما صدرت الأوامر بالتدمير لنحو ألفى مدفع على مستوى الجبهة بالكامل منها نحو ١٤٥٠ مدفعا من مدفعية الجيش الثانى الميدانى، فى الساعة ١٤٠٠ أخذت البلاغات تتوالى عن استعداد القوات فقام قائد مدفعية الجيش الثانى بإبلاغ قائد الجيش الثانى الميدانى "النيل"(اسم رمزى لمدفعية الجيش الثانى) حاضر لتنفيذ مأمون "الاسم الرمزى للقصفة الأولى من التمهيد النيرانى "ووصل أمر قائد الجيش "كل شىء فى ميعاده"..

تنفيذ التمهيد النيرانى

كانت عقارب الساعة تشير إلى الساعة ١٤٠٤"الثانية وأربع دقائق" من بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر عندما مرقت الطائرات المصرية فوق بحيرة التمساح متجهة نحو أهدافها شرق القناة، وقد شاهدتها بنفسى - مازال الحديث للواء عباس منصور، أكثر من عايش المشير أبوغزالة فى هذه الفترة، وكان شاهداً على هذه الأحداث.. يقول : " فى لحظة لن أنساها طوال عمرى.. وفى الساعة ١٤٠٥ أصدر قائد مدفعية الجيش الثانى الميدانى العميد أبوغزالة الأمر "نيل اضرب".. فانطلقت آلاف المدافع تهدر وتصب حممها على النقط الحصينة لخط بارليف و بطاريات مدفعية العدو ومراكز قياداته وأماكن تمركز احتياطيه.. كان التمهيد النيرانى للمدفعية من القوة لدرجة أن معظم بطاريات مدفعية العدو (أكثر من ٩٠٪ منها) أسكتت منذ اللحظة الاولى، ولم تتمكن من إنتاج أى نيران مؤثرة على قواتنا، وكان ذلك أول بادرة للنصر الذى حققه جيش مصر الباسل.

وطبقاً لتخطيط العميد أ.ح/ أبوغزالة بدأت مساعدات المدفعية للهجوم فى نطاق الجيش الثانى الميدانى بالاستيلاء على مصاطب الدبابات، وبعد نحو ٥ ساعات دفع العدو باحتياطاته المحلية لمقابلة الهجوم لقواتنا، وكان يعتقد أنه سينجح فى تدميرها وردها على أعقابها، وهنا حدثت المفاجأة، فقد واجهته الصواريخ مقذوفات مدفعية مضادة للدبابات "فهد" فدمرت معظم هذه الاحتياطات، وإن تمكنت بعض الدبابات الفردية من الاختراق والوصول إلى الشاطئ، ولكن سرعان ما تمكنت قوات العبور الرئيسية من تدميرها وبذلك فشل الهجوم المضاد المحلى..

وفى أقل من ٦ ساعات وعلى وجه التحديد حوالى الساعة ١٩٣٠ (السابعة والنصف) كانت قواتنا قد استولت على أكثر من نصف نقاط العدو الحصينة، وعزلت الباقى منها، وبدأت القوات فى تصفيتها، واستعدت لتطوير الهجوم فى العمق..

مدفعية الجيش الثانى تصد الضربات المضادة بقيادة العميد أ. ح/ محمد عبدالحليم أبوغزالة:

ويذكر اللواء عباس منصور بعض الأمثلة المهمة لدور مدفعية الجيش الثانى الميدانى فى معاونة قواتنا فى صد الهجمات المضادة للعدو والتمسك برءوس الكبارى.. ابتداءً من يوم ٧ أكتوبر قائلاً:

"قبل بزوغ فجر يوم ٧ أكتوبر كانت قواتنا قد وصلت إلى عمق من ٥-٦ كيلو مترات، وعبرت أعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية، وخلال نهار السابع من أكتوبر بدأت قواتنا فى تطوير هجومها شرقاً ووصلت إلى عمق من ٨-١٠ كيلو مترات، حيث بدأت تستعد لصد الهجمات المضادة المتوقعة للعدو"..

ولكن "كيف حشد العميد أ. ح/ أبوغزالة نيران ٢٢ كتيبة مدفعية على العدو؟

يقول اللواء عباس منصور:"فى فجر يوم ٨ أكتوبر أبلغ أحد مراكز ملاحظة المدفعية الذى تم دفعه فى العمق ليلة ٦-٧ أكتوبر عن وجود لواء مشاة ميكانيكى للعدو، مدعماً بعدد كبير من الدبابات على الطريق الأوسط يعيد الملء بين الفرقة الثانية والسادسة عشرة مشاة، وبسرعة تم تقدير الموقف واتضح أنه فى مرمى نحو ٢٢ كتيبة مدفعية على هذا اللواء، واشترك فى هذا الحشد مدفعية الفرقة الثانية مشاة، ومدفعية الفرقة ١٦ مشاة، مجموعتا مدفعية الجيش الثانى الميدانى فرعية رقما ١-٢، وكم كانت سعادة الجميع عندما وصل بلاغ من مجموعة استطلاع مؤخرة العدو كانت قد دفعتها قيادة الجيش فى العمق يؤكد أن النيران كانت مؤثرة وأن الحرائق تشتعل فى كل مكان، وأن هذا اللواء تعرض لخسائر جسيمة جعلته غير قادر على دخول المعركة لفترة طويلة، وأن الكثيرين منه قد فروا من الجحيم.. وأكدت نتائج استطلاع اللاسلكى هذا البلاغ عندما التقطت استغاثات قائد اللواء وبلاغاته عن خسائره الجسيمة..

وفى قطاع الفرقة ١٨ مشاة قامت مدفعية الجيش الثانى بحشد نيران ١٠ كتائب مدفعية على لواء مدرع حاول التقدم من بالوظة فى اتجاه القنطرة لتوجيه ضربة مضادة ضد قوات الفرقة ١٨ مشاة، واشترك فى هذا الحشد مدفعية الفرقة ١٨ مشاة وجزء من مجموعات مدفعية الجيش الثانى الميدانى، وكانت النيران مؤثرة وناجحة، وارتد على إثرها اللواء المعادى مذعوراً دون أن يوجه هجمته المضادة وكان هذا نجاحاً باهراً لرجال المدفعية شهد به قائد الفرقة ١٨ مشاة ورجالها الأبطال..

وكم كانت سعادة العميد أ. ح/ أبوغزالة عندما اتصل به أحد قادة مدفعيات الألوية من الفرقة ١٨ المشاة ليبلغه أن قائد اللواء المشاة يثنى على رجال المدفعية الذين منعوا العدو من الوصول إلى الحد الأمامى لدفاعات قواته، وأنه زاد اقتناعه بأن نيران المدفعية تدمر ما يزيد على ٣٠٪ من دبابات العدو و هو المعدل العالمى المعروف..

وهنا أذكر أننى قمت بحساب زمن السبقٍ وكان متبقياً دقيقة واحدة على أمر الضرب فأمرنى العميد أبوغزالة قائلاً:

اضرب.. فقلت له باقى دقيقة.. فأمرنى بصوت عالٍ.. بأقولك اضرب"

وعلى الفور قلت اضرب.. وإذا بالرائد يسرى محمد حسن قائد كتيبة المدفعية/لواء المدفعية المضادة /الفرقة ١٨ مشاة الذى يدير النيران يبلغنى "كرر"لأن الضرب طبعاً مؤثر على العدو، فقال لى سيادة العميد أبوغزالة.. مش قلت لك.. مش قلت لك.. وكررها مرتين وكان فى غاية السعادة.

فى ٩ أكتوبر تم أسر عساف ياجورى.. فى قطاع الفرقة الثانية مشاة

فى التاسع من أكتوبر كان موقف القوات الإسرائيلية سيئاً، فقد نجحت القوات المصرية فى توسيع رءوس الكبارى إلى عمق ١٥ كيلو متراً، وفشلت الهجمات والضربات المضادة التى شنتها القوات المدرعة الإسرائيلية بحشود كبيرة ووقع فى الأسر الكولونيل عساف ياجورى، الذى قام لواؤه بتوجيه ضربة مضادة فى اتجاه الفردان، وتصدت لها نيران مقذوفات موجهة مضادة للدبابات كتيبة فهد من وحدات المظلات بقيادة الشهيد الرائد صلاح حواش، ونيران كثيفة من نيران مدفعية الرمى غير المباشر وبواسطة قوات الفرقة الثانية مشاة، بالتعاون مع احتياطى مدفعية م د الجيش تم تدمير اللواء المدرع وأسر قائده..

معركة الطالية

لقد نفذت المدفعية فى معركة «الفرقة ١٦ مشاة» مهامها -كما هو الحال على طول المواجهة- وأدت دوراً كبيراً فى نجاح صد هذه الهجمات والضربات المضادة، وكانت إدارة النيران على مستوى عالٍ من الكفاءة؛ الأمر الذى أمكن

من حشد نيران عدد كبير من كتائب المدفعية وصل فى بعض الحالات إلى "١٧" كتيبة مدفعية على هجمة مضادة للواء مدرع إسرائيلى كان من نتيجتها أن دمرت لهذا اللواء ٢٢ دبابة، وارتد اللواء مذعوراً دون أن ينفذ هجمته المضادة..

ودمرت صواريخ مقذوفات المدفعية المضادة للدبابات.. اللواء المدرع المعادى الذى تابع تقدمه وتم تدميره فيما عدا ٤ دبابات من هذا اللواء نجحت فى الوصول إلى تبة الطالية، فقام رجال الفهد بالتعاون مع رجال المشاة بالقواذف «ر. ب. ج» بتدميرها، لقد ظهر فى رصد هذا الهجوم التعاون الوثيق الممتاز بين المدفعية والمشاة فكانت سيمفونية رائعة لم تشهد الحروب لها مثيلاً..

صائدو الدبابات الرقيب عبدالعاطى ورفاقه يدمرون أكثر من ٧٠ دبابة للعدو

أما رجال الفهد من الكتيبة فهد /فرقة ١٦ مشاة قيادة الرائد عبدالجابر أحمد على [1] أحد أبطال حرب أكتوبر، فالحديث عنهم يحتاج إلى كتاب خاص، رجال ضربوا المثل فى البطولة والتضحية، ولقد سمعنا الكثير عن صائدى الدبابات وعلى رأسهم الرقيب عبدالعاطى صائد الدبابات الذى دمر بمفرده ٢٣ دبابة إسرائيلية، وزملاؤه بالكتيبة الأبطال إبراهيم حسن الذى دمر ١٨ دبابة، والبطل إبراهيم عبدالعال الذى دمر ١٧ دبابة، والبطل بكر العادلى الذى دمر ١٤ دبابة، وأبطال آخرون..

لقد كانت حرب أكتوبر أول اختبار فعلى لهذا السلاح القاتل للدبابة، ولهذا تتهافت الدول على مصر لتعرف خبرتها فى استخدام هذا السلاح، وكيف استخدم، وكيف أمكن تدريب عمال التوجيه.. وما هى معدلات الخسائر الناجمة عن استخدامه.. وكيف يمكن مقاومة هذا السلاح الجديد؟!..

● ١٥-١٦ أكتوبر.. معركة المزارع الصينية:

من المعروف استراتيجياً وتعبوياً أن أضعف نقط فى أى دفاع هى نقط الاتصال بين القوات، كما أن البحيرات المرة الكبرى تعتبر مانعاً طبيعياً ضد أى عمليات عبور بقوات كبيرة، وتعتبر أيضاً عنصر تأمين لجانب أى قوات تتقدم شمالاً بحذاها متمركزة بجانبها الأيسر على هذه البحيرات..

---

(١) كانت لنا معه مقابلة وتسجيل بعض الذكريات..

وفى الخامسة مساء يوم الاثنين ١٥ أكتوبر قام لواء مدرع إسرائيلى يتمركز شمال طريق الطاسة - البحيرات بتوجيه هجوم مضاد فى اتجاه الغرب، أى فى اتجاه الإسماعيلية، وكان هجوماً خداعياً لجذب انتباه قواتنا بعيداً عن نقطة العبور، ولقد قوبل بمقاومة عنيفة من القوة الرئيسية للفرقة ١٦ مشاة مع قوات (الفرقة ٢١ المدرعة).

بعد ذلك بساعة تحرك اللواء المدرع الثانى للعدو جنوباً، وفى جنح الظلام انحرف غرباً تجاه البحيرات.. وبوصوله إلى الطريق اتجه شمالاً تؤمنه البحيرات المرة الكبرى من الجانب الأيسر.. وتم تقسيم القوات إلى ثلاثة أقسام وبدء الهجوم المضاد.

ولم تتحقق أهداف العملية، فحتى فجر يوم ١٦ أكتوبر لم يكن كوبرى العدو قد أنشىء، بل لم تتمكن القوات الإسرائيلية من تأمين الطرق المؤدية إلى المعبر، وتعرض الهجوم الذى شنه اللواء المدرع الإسرائيلى شمالاً لمقاومة شديدة من قوات لواء ١٦ مشاة ووقع تحت نيران كثيفة من المدفعية المصرية، وبدأ يظهر أن الأمر سيستغرق يومى قتال آخرين..

فى ليلة ١٦ أكتوبر، شنت كتيبة مشاة هجوماً مضاداً ودارت معركة عنيفة فى المزرعة الصينية "قرية الجلاء"، وكاد هذا الهجوم المدعم بالقوات الجوية يقضى على قوة العبور الإسرائيلية وعزلها عن باقى القوات، ولم ينقذ الموقف إلا وصول قوات مدرعة إسرائيلية جديدة بقيادة برن، وتمكن جزء منها من العبور وتأمين رأس الكوبرى فى الدفرسوار..

يوم ١٧ أكتوبر ونيران الإيقاف الصندوقية فى مواجهة وعلى أجناب إحدى كتائب اللواء ١٦ مشاة قيادة المقدم أ.ح/ حسين طنطاوى (فى ذلك الوقت) تمكنت من إيقاع أكبر الخسائر بقوات العدو الإسرائيلى وتمسكت بمواقعها الدفاعية.

اختراقات دفاعات اللواء ١٦ مشاة

يقول اللواء عباس منصور: بعد فشل معركة اللواء المدرع الإسرائيلى المدعم بالمدفعية مع كتيبة المشاة عاودت القيادة الإسرائيلية تنفيذ الهجوم مرة أخرى، وفعلاً سعت ٥٠٠ يوم ١٧أكتوبر دفعت لواء بالكامل عدا كتيبة ، حيث هاجمت من الجانب الأيمن للكتيبة المدافعة نفسها، وظلت الدبابات الإسرائيلية فى

مواجهة الجانب الأيمن تطلق نيرانها على المواقع الدفاعية للكتيبة من مسافة ١٠٠٠ متر.. ووجهت القيادة الإسرائيلية هجوماً آخر فى نفس الوقت بكتيبة دبابات على الجانب الأيسر لكتيبة المشاة، وصدرت أوامر قائد مدفعية الجيش الثانى الميدانى العميد/ أبوغزالة بتخطيط نيران إيقاف صندوقية على الجانبين، وفى مواجهة كتيبة المشاة، تم تكرار القصف، حيث كانت نيران المدفعية مؤثرة مما نتج عنها إيقاف الهجوم وصمود دفاعات كتيبة مشاة.. ومع أول ضوء بدأت المدفعية المصرية تقذف المزرعة الصينية، وعلى الشاطئ الشرقى كان اللواءان المدرعان الإسرائيليان اللذان بدآ العملية يوم الاثنين مازالا يقاتلان معركة غاية فى الشراسة، وبكل المقاييس العسكرية المعروفة كانت محاولة إريل شارون إنشاء رأس كوبرى مأساة ومخاطرة، ورغم أنه بدأ هجومه بقوة فرقة مدرعة، فإنه لم يتمكن خلال معركة مدتها ١٦ ساعة إلا من عبور ما لا يزيد عن كتيبة مدعمة بعدد محدود من الدبابات، ولم يكن هناك كوبرى قد أنشئ، ونتيجة قصف المدفعية المصرية فقد فشل المهندسون عدة مرات فى إنشاء الكوبرى وتأخر إنشاؤه أكثر من ١٢ ساعة.. واذا نظرنا إلى كمية النيران التى ألقتها مدفعية الجيش الثانى الميدانى بقيادة العميد أبوغزالة على مثلث الطاسة -البحيرات- الإسماعيلية فإن الموقف لم يكن يعطى أى بادرة أمل فى نجاح الجانب الإسرائيلي..

ضرب المعبر.. وطلب القائد الإسرائيلى إيقاف عملية العبور أكثر من مرة

ويستكمل اللواء عباس منصور ويقول: نتيجة استطلاع اللاسلكى على مستوى القيادة العامة أبلغتنا إدارة المدفعية بإحداثى المعبر وطلبت فتح النيران عليه، وكانت النتائج باهرة، حيث أبلغنا العميد أبوغزالة بسعادة مدير المدفعية، حيث إن نتائج استطلاع لاسلكى تؤكد أن الضرب كان مؤثراً جداً على قوات العدو، وأن قائد القوة القائمة بالعبور يبلّغ أنه يواجه مقاومة شديدة من نيران المدفعية، وأحدثت به خسائر جسيمة، ويطلب إيقاف عملية العبور، وقد تكررت هذه العملية، ولقد التقطت عدة محادثات بين القائد الإسرائيلى والقيادة العليا يطلب فيها إلغاء العملية لجسامة الخسائر التى تكبدها، وتحدثت إليه القيادة العليا ترجوه الثبات، وتقول له إن مستقبل إسرائيل متوقف على نجاح هذه المغامرة..

المناورة بنيران المدفعية من الشرق.. على قوات العدو بالثغرة

وينهى اللواء منصور ذكرياته قائلاً: لابد أن أشيد بنيران من وحدات المدفعية بالشرق وبالتحديد لواء مدفعية/الفرقة الثانية مشاة من محور شمال الإسماعيلية شرقاً على قوات العدو الموجودة بالثغرة بالغرب على محور جنوب الإسماعيلية مع تغيير وضع المدافع ١٨٠ درجة لتحقيق هذه المهمة بالتعاون الوثيق مع وحدات المدفعية الموجودة بالضفة الغربية حول الثغرة.

لقد كانت كفاءة وحدات مدفعية الجيش الثانى وقواتها مفاجأة للعدو، كما أن نجاح رجال المدفعية فى استخدام الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات (المالوتيكا) كان مذهلاً للعدو وجعل دباباته حطاماً.

الفصل السادس



حرب أكتوبر فى عيون رجالها ..

- مقابلات وأرشيف صحفى للمشير أبو غزالة وعدد من القادة
- « المشير أبو غزالة يتذكر هذه الفترة الرائعة ويتحدث عن ساعة الصفر وأسعد لحظات حياته ويذكر أبطالاً وبطولات كثيرة حدثت فى ميدان المعركة»
- المشير حسين طنطاوى يسترجع ذكرياته عن المعركة الصينية
- المشير الجمسى وكيف كان يرى هذا النصر..؟

حرب أكتوبر كانت بالفعل أداءً
وإنجازاً من أروع وأشرف وأعظم ما
يكون..
حرب أكتوبر كانت عدة معارك
مذهلة، وليس معنى أننا خسرنا
معركة مثل معركة الثغرة، أننا
خسرنا الحرب، إطلاقاً.. فمصر بكل
المقاييس كسبت هذه الحرب، وحرب
أكتوبر - كما هى غايات الحروب -
غيرت الموقف الاستراتيجى
والسياسى فى كل المنطقة..

من كلمات المشير أبو غزالة

حرب اكتوبر كما يتذكرها المشير ابوغزالة

يتذكر المشير أبوغزالة يوم السادس من أكتوبر[1] ومن أرشيفه الصحفى يقول: "كنت فى ذلك اليوم قائداً لمدفعية الجيش الثانى أقود ٢٢٢٢ مدفعاً.. وكان لى شرف أن تكون أول أسلحة التعامل مع العدو فى اللحظة نفسها التى كانت فيها طائراتنا قد عبرت القناة وبدأت تتعامل مع أهدافه، فالتنسيق كان رائعاً فى هذا اليوم بين وصول طائراتنا إلى أهدافها وصب قنابلها وصواريخها فوقها وانطلاق الـ ٢٢٢٢ مدفعاً فى لحظة واحدة، إن الطائرات عبرت القناة فوق رءوسنا فى تمام الساعة ١٤٠٤ بلغة العسكريين، أى الثانية وأربع دقائق، كانت الطائرات قد بلغت أهدافها وكانت مدفعيتنا تفتح فوهتها لتصب طلقاتها فوق أهداف تختلف أعماقها من كيلو متر واحد إلى ٢٧ كيلو متراً".

● وعن أكثر اللحظات سعادة فى أكتوبر يقول:

«فى الواقع كانت هناك أكثر من لحظة سعادة، ومن المؤكد أن من أسعد هذه اللحظات عندما أعطيت الأمر لمدفعية الجيش الثانى ببدء التمهيد النيرانى، هذه فى رأيى كانت أسعد لحظة لى فى هذه الحرب.. ومن ثم فإننى أتذكرها ليس بالساعة فقط، بل بالدقيقة.. كانت الساعة الثانية وأربع دقائق ونصف الدقيقة بعد ظهر السبت ٦ أكتوبر ٧٣، كان قد مر فوقنا بنصف دقيقة آخر

---

(١) مجلة اكتوبر مايو ١٩٨٣. صبرى ابوالمجد

فوج من أفواج الهجوم الجوى، وبدأنا انسجاماً وتنسيقاً معه نطلق مدافعنا..

كان لدى فى مدفعية الجيش الثاني ٢٢٣٨ قطعة مدفعية اشتركت جميعها فى الضرب فيما عدا عدداً قليلاً جداً (١٦ قطعة) .

اللحظة السعيدة الأخرى التى أتذكرها كانت يوم ١٩ أكتوبر عندما زاد الضغط على الفرقة ١٦ مشاة لأنها تعرضت لاختراق من جانب إسرائيل بما نسميه عسكرياً رأس كوبرى، كان بينى وبين قائد مدفعية هذه الفرقة.. اللواء عبد العزيز الجوهرى.. (مدير المدفعية فيما بعد).. اتصال لاسلكى مفتوح استطاع من خلاله أن يحدد لى وصفاً للاقتحام الإسرائيلى الذى كان يتم بدبابات عددها كبير، وكان على قائد هذه الفرقة أن يحدد لى لحظة إطلاقى النيران على هذه الدبابات..

وفجأة انقطع الاتصال بينى وبين قائد الفرقة ١٦مشاة، يمكن دقيقة أو أكثر مرت علىّ مثل سنة، أو كأنها الدهر كله، خيل إلىَّ أن الموقع سقط وانتهى وأن كل الذين فيه ماتوا، طبعاً لم أكن أرى الموقع، وبالتالى كانت عملية إطلاق نيران مدفعيتى مغامرة كبيرة؛ إذ كان هناك احتمال أن تسقط هذه النيران على قواتنا، ولكن مع مرور الثوانى البطيئة الطويلة جداً دون أن أسمع أى صوت عبر الاتصال اللاسلكى قررت المغامرة وأصدرت الأمر إلى ٢٥٠ مدفعاً كانت تحت قيادتى أن توجه طلقاتها إلى موقع لا يتجاوز عرضه ٦ كيلومترات..

ويسترجع الأحداث قائلاً:

فى لحظة إطلاق النار سمعت صوت عبدالعزيز الجوهرى فى اللاسلكى يصرخ قائلاً: اضرب يا أفندم.. اضرب يا أفندم.. ويضيف أبوغزالة: إن هذا الصوت مسجل لديه حتى لحظة هذا الحديث.. ويواصل روايته قائلا: قلت له: بسرعة الطلقات فى طريقها إليك.. الجملة طلعت دون أن أعرف سبباً لقولى هذه الكلمات لأنه فى العلم العسكرى ليس لدينا بلاغ بهذا المعنى ولكن بالفعل هذا ما حدث.. وقبل أن أستعيد تفكيرى فيما قلته سمعت صوتاً يهتف عبر جهاز اللاسلكى "الله أكبر.. الله أكبر "وكانت العبارة أقوى من أى وصف لأن الذى حدث أن النيران نزلت تماماً فوق الدبابات الإسرائيلية ودمرت عدداً محترماً.. أتذكر أنه إما ٢٢ أو ٢٤ دبابة وبقية اللواء الذى كان مشتركاً

فى الهجوم الإسرائيلى ارتد فى ذعر ويأس وتحول الموقف من موقف بائس إلى موقف انتصار[1].

ويسترجع الأحداث ويكمل قائلاً:

ربما لم يكن هناك متر من تلك المنطقة لم تسقط فيه قذيفة، ورغم ذلك لم يرتد جندى مصرى منهم إلى الخلف.. لقد تصورت أن المصريين ربطوا الجنود بسلاسل فى الأرض، ولكن كانت المفاجأة عندما نجحت دبابة أو اثنتان فى اختراق ذلك الخط، كنت تجد ذلك الجندى المصرى يستدير لكى يدمرها بقذيفة «آر. بى. جى» أو مقذوف مدفعية مضادة للدبابات[2]..

المشير أبوغزالة لم ينس جنوده وضباطه، ودائماً كان يفخر بما أنجزوه من بطولات وأعمال فى غاية الروعة.. ومن بعض نماذج البطولات يقول المشير أبوغزالة [3].

مثلاً بطولات إحدى كتائب الفرقة ١٦مشاة، هذه الكتيبة كانت فى يمين الجيش الثانى وقد تحملت ضغط القوات الإسرائيلية التى كانت تعمل من أجل وقوع الثغرة وظلت هذه الكتيبة تقاوم ببسالة ثلاثة أيام كاملة.

وكذلك كتيبة الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات التى دفعت لرأس كوبرى الفرقة الثانية مشاة لكى تتقدم فى اتجاه منطقة عرام، وكذلك الأداء البطولى للرائد صلاح حواش الذى استشهد -يرحمه الله- هذا بالإضافة إلى من أطلق عليهم قناصو الدبابات مثل عبدالعاطى ومصطفى فى كتيبة صلاح حواش، والملازم ثان أحمد شرف الذى لم تكن معه سوى ثمانى قطع صواريخ موجهة، ووصل عندنا وكانت الثغرة فى بدايتها، وقد كلفته بأن يذهب ويحتل منطقة جنوب ترعة الإسماعيلية، وقد استطاع هذا الضابط وحده بدون دبابات أو مشاة سوى بالعناصر القليلة التى كانت معه أن يقاتل بشجاعة وأن يصمد وأن يحول دون احتلال الإسرائيليين للإسماعيلية، وكذلك مجموعة الصاعقة التى دخلت منطقة أبو جاموس، وبدأت تعمل عند جبل مريم، وعين غوصين وقد قاتلت تلك المجموعة لواء مشاة إسرائيلى كاملاً، وأوقفته.. والبطولات كثيرة تبعث على الفخر والاعتزاز.

وكما تحدثنا عن البطولات، وجب أن نشير إلى الأحداث والثغرة، ورغم عدم

---

(١)، (٢) ، (٣) حديث فى مجلة أكتوبر مايو ١٩٨٣. صبرى أبو المجد.

أهميتها، فإننا لا نستطيع أن نتحدث عن حرب أكتوبر دون المرور عليها، خاصة أن البعض يقلل من انتصار أكتوبر بسبب حدوثها.. المشير أبوغزالة كان له رأى فيها وسنعرفه فى الصفحات التالية..

رأى المشير فى الثغرة

المشير أبوغزالة أكد على وجود أخطاء لا ننكرها.. ويجسدها فى خطأين أساسيين والباقى أخطاء يمكن أن تحدث فى كل جيوش العالم.. بمعنى أنه فى كل الجيوش يجوز مثلاً قائد سرية أو سرية لم تقاوم كما يجب؛ فهذه لا تعتبر أخطاء وإنما ظروف.. ومن أهم هذه الأخطاء في رأيه [1]:

أنه بعد الثغرة كانت الجيوش الميدانية قد دفعت احتياطاتها الموجودة فى الشاطئ الغربى للقناة بأوامر من القيادة العامة للتخفيف من الضغط الذى كانت تواجهه سوريا فى ذلك الوقت.. وعن رأيه فى موضوع دفع هذه القوات للتخفيف عن سوريا يقول: كان من الممكن تلافيه، وكان من الممكن الاحتفاظ بهذه القوات القوية المدرعة غرب القناة، ولم تكن تحدث الثغرة إطلاقاً، لأن نجاح هذه الثغرة كان يقتضى أولاً نزولاً للقوات الإسرائيلية فى مكان على الشاطئ الغربى لا وجود للقوات المصرية فيه، وهذا ما كشفته لهم طائرات وأقمار الاستطلاع بخلو المنطقة التى نزلوا فيها من أية مقاومة مصرية والوثائق الإسرائيلية التى نشرت تقول معلوماتها إن المنطقة التى اختاروها بعمق ٤٠ كيلو متراً خالية من القوات المصرية..

ويضيف قائلاً: مع هذا أمكن للقوات المسلحة، وهذا إحقاقاً للحق وللقيادة العامة أن تتلافى بعد ذلك ما حدث فى خلال ٤٨ ساعة التى مضت بأن بدأت محاصرة الثغرة.

ربما كان من أخطائنا أيضاً احترامنا قرار وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر وتصورنا أن الآخرين سيحترمونه، الثغرة كانت فى ذلك الوقت صغيرة ولم تكن وصلت لمؤخرة الفرقة السابعة والفرقة الـ١٩ مشاة ولكنهم بكل أسف استغلوا قرار وقف إطلاق النار فى توسعة الثغرة بسرعة شديدة..

● لا توجد حرب بلا أخطاء.. ولكنها أخطاء لا تقلل من النصر الكبير الذى تحقق فى أكتوبر.

---

(١) صلاح منتصر. مجلة أكتوبر فى أكتوبر١٩٨٢ .

أبوغزالة يؤكد أنه لولا خروج الخبراء الروس من مصر. ما تحقق النصر

فى أحد الأحاديث الصحفية سُئل المشير أبوغزالة: هل لو بقى الخبراء السوفييت فى الجيش المصرى كانت حرب أكتوبر ستنتهى بالنتائج التى انتهت إليها[1]..

وأجاب قائلاً:..

- لو كانت وقعت هذه الحرب والخبراء السوفييت فى القوات المصرية لكان أول ما سيقال إن هؤلاء الخبراء هم الذين قادوا الحرب.. وكانوا هم سينالون أية انتصارات تتحقق، بينما القيادات المصرية وحدها كانت هى التى ستتحمل كل ما يقع من أخطاء، ولكننى أشك أن الحرب كانت ستتم أصلاً لو لم ينه الرئيس السادات مهمة السوفييت، ربما لأن وجودهم فى القوات المصرية كان يملى عليهم تقدير أن وقوع أى حرب قد يؤدى إلى صدامهم مع أمريكا، على اعتبار أنها القوة العظمى التى تساند إسرائيل، وهذا طبعاً يؤثر كثيراً على أى قرار يتخذونه.. هذا بالإضافة إلى شكهم فى نجاحنا فى العبور وقد سمعنا هذا منهم وقد سمعته بنفسى من جنرال سوفييتى كان يعمل معى اسمه (سيرجى) ومن عدد آخر من خبرائهم، فعندما كنا نحلم بالعبور أمامهم كانوا يحذروننا من أننا لو فكرنا فى مثل هذا، فإن اللون الأزرق لمياه القناة سوف يتحول إلى لون أحمر من كثرة دماء المصريين الذين سوف يلقون نهايتهم فى هذه المياه، وكانوا يقولون لنا: إذا عبرتم فستواجهون بمشكلة أكبر من أن تحلوها لأن الساتر الذى أمامكم رهيب جداً وأنتم فى حاجة لأسلحة نووية حتى تستطيعوا اجتيازه.

وسئل سؤالاً آخر عن خطة العبور، وهل لم يبدأ وضعها إلا بعد خروج الخبراء السوفييت.. فأجاب قائلاً[2]:

فى وجودهم وضعت خطط، لكنها لم تكن هجومية بالمعنى الشامل لكل القوات، وإنما كانت خطط الهجوم التى وضعت فى أيامهم لعمليات إغارة محدودة، تدخل فى إطار حرب الاستنزاف، ومع الخبراء السوفييت أجرينا مشروعات تدريبية على أعمال هجومية كانت كلها محدودة، أما خطة الهجوم الاستراتيجى الشاملة لكل القوات المسلحة فلم يتم وضعها إلا بعد خروج السوفييت، والذين وضعوا هذه الخطة كلهم من المصريين..

(١) (٢) صلاح منتصر. مجلة أكتوبر فى أكتوبر١٩٨٢

نترك كلمات المشير الراحل البطل أبوغزالة، ونتجه لقادة آخرين سُجلت كلماتهم فى لقاءات إعلامية وكتابات وأوراق كتبت عن حرب أكتوبر، نختار منها:

● **كلمات للمشير محمد حسين طنطاوى، القائد العام للقوات المسلحة وزير الدفاع والإنتاج الحربى الحالى الذى يقول فى حوار تليفزيونى مع الصحفى مفيد فوزى أذيع خلال احتفالات أكتوبر ١٩٩٤:**

" كانت المزرعة الصينية فى اتجاه المحور الرئيسى الذى ركز فيه الإسرائيليون هجومهم للعبور فى اتجاه غرب القناة، وقد دارت معارك كبرى ليس على مستوى كتيبة المشاة فقط، ولكن على مستوى الفرقة ١٦ مشاة، كانت معارك على أعلى مستوى"[(١)(٢)]..

مع أول ضوء للنهار كانت أصوات الطائرات تملأ المكان، عندما علمت -أنا قائد كتيبة المشاة- التى كانت تعمل فى النسق الأول بوجود أفراد قوات من العدو (من لواء المظلات الإسرائيلى) تتقدم فى اتجاه الكتيبة ومع أول طلقة إشارة ضوئية من سلاحى الخاص، اندلعت نيران كل أسلحة الكتيبة على العدو والمجموعات التى كانت تقاتل قاتلت كما يجب أن يكون القتال".

وأضاف قائلاً: "استغرقت المعركة نحو ساعتين ونصف الساعة، ومن حسن حظ القوات الإسرائيلية أن الضباب جعل تركيز النيران عليهم فى الصباح ليس بالكفاءة الكافية.. مما أمكنهم من سحب خسائرهم، وبعض من تبقى على قيد الحياة.. كان كل همى فى هذه المعركة ألا يرجع أى فرد إسرائيلى جاء للموقع.. والحقيقة -كما ذكرت- أن المجموعات التى كانت تقاتل قاتلت كما يجب أن يكون القتال"..

---

(١) المقدم محمد حسين طنطاوى قائد كتيبة مشاة فى حرب اكتوبر / نقلاً عن اللواء عباس منصور.
(٢) حرب أكتوبر ١٩٧٣ مذكرات محمد عبد الغنى الجمسى ـ الطبعة الثانية عام ١٩٩٨.

ونتجه لشهادة أخرى وهى لرئيس أركان الحرب السابق وأحد رجال أكتوبر..

يقول لواء محمد عبدالغنى الجمسى، رئيس هيئة العمليات بحرب أكتوبر ١٩٧٣ فى مذكراته : فى الوقت نفسه الذى كانت قواتنا الجوية تهاجم أهدافها فى عمق سيناء، كان هناك أكثر من ٢٠٠٠ مدفع على طول جبهة القناة من مختلف الأعيرة ومجموعة من الصواريخ التكتيكية أرض - أرض تفتح نيرانها ضد الأهداف الإسرائيلية فى حصون بارليف، وما خلف هذا الخط من مواقع دفاعية ومواقع المدفعية، واستمر القصف لمدة ٥٣ دقيقة وكان معدل قصف النيران شديداً، بحيث سقط على المواقع الإسرائيلية فى الدقيقة الأولى ١٠٥٠٠ دانة مدفعية بمعدل ١٧٥ دانة فى الثانية الواحدة ".

ننتقل لشهادة أخرى للمدفعية وسجلها الحافل وهى شهادة للمؤرخ العسكرى المصرى جمال حماد والذى يقول: " فى الساعة الثانية وخمس دقائق بدأت ٢٠٠٠ قطعة مدفعية وهاون ولواء صواريخ تكتيكية أرض - أرض التمهيد النيرانى الذى يعد واحداً من كبرى عمليات التمهيد النيرانى فى التاريخ، وقد قام بالتخطيط له اللواء محمد سعيد الماحى مديرالمدفعية، واشتركت فيه ١٣٥ كتيبة مدفعية وعدة مئات من مدافع الضرب المباشر، كانت تتبع العميد محمد عبدالحليم أبوغزالة قائد مدفعية الجيش الثانى، والعميد منير شاش قائد مدفعية الجيش الثالث.. وفى الساعة الثانية وعشرين دقيقة كانت المدفعية المصرية قد أتمت القصفة الأولى من التمهيد النيرانى التى استغرقت ١٥ دقيقة والتى تركزت على جميع الأهداف المعادية التى على الشاطىء الشرقى للقناة إلى عمق يتراوح بين كيلومتر واحد وكيلو متر ونصف الكيلو متر فى اتجاه الشرق وفى اللحظة التى تم فيها رفع نيران المدفعية لتبدأ القصفة الثانية لمدة ٢٢ دقيقة على الأهداف المعادية إلى عمق يتروح ما بين ١,٥ و ٣ كيلومترات من الشاطىء الشرقى للقناة، فى هذه اللحظة بدأ عبور الموجات الأولى فى القوارب الخشبية والمطاطية ".

ويقول كل من اللواء حسن البدرى، وطه المجدوب وعميد أركان حرب ضياء الدين زهدى فى كتابهم حرب رمضان [1][2] : " وتوالت البلاغات عن مدى تأثير النيران، والخسائر التى أحدثتها بالعدو، وعن نجاح المدفعية فى فتح جميع الثغرات المخططة فى موانع الأسلاك الشائكة والألغام، على الميل الأمامى للساتر الترابى وحول النقط القوية والحصون والقلاع المعادية..

فى الساعة ١٤٢٠ بدأت الموجة الأولى لقواتنا فى عبور القناة، ومعها أسلحتها الخفيفة.. ورافق المشاة فى اقتحامها ضباط ملاحظة المدفعية ووحدات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات وفى اللحظة نفسها كانت صواريخنا التكتيكية تشق عنان السماء بأمر فورى من مدير المدفعية لتصيب أهدافها فى عمق سيناء وتحيلها إلى دمار.. وكانت تلك أول ضربة بالصواريخ التكتيكية فى تاريخ الشرق الأوسط..

لقد نفذ التمهيد النيرانى كما خطط له بالضبط.. وكانت نتائجه أكثر مما نأمل.. إلى درجة أنه لم تتمكن دبابة معادية واحدة من صعود الساتر الترابى واحتلال المصاطب المجهزة به لتوقف عبور قواتنا، واستمرت نيران المدفعية تزحف أمام القوات الأخرى التى تابعت توسيع رءوس الكبارى، وذلك بفضل ضباط ملاحظة المدفعية الذين عبروا مع الموجات الأولى لقواتنا، وكذا جماعات ملاحظة المدفعية التى كانت تعمل خلف خطوط العدو والتى انتشرت مع بداية المعركة على طول مواجهة وعمق العدو، لإدارة نيران المدفعية على أبعد مدى ممكن".

فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ وفى مناظرة أجراها التليفزيون البريطانى B.B.C مع الجنرال إيريل شارون عن معركة المزرعة الصينية قال: "إننى لن أنسى قتال الجنود المصريين فى الفرقة ١٦ مشاة فى منطقة المزرعة الصينية.. شرق القناة، لقد استخدمت القوات الإسرائيلية جميع وسائل النيران المتيسرة لديها، حتى حولنا هذه المنطقة إلى جحيم.

---

(١) كتاب حرب رمضان.. الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة لكل من اللواء حسن البدرى، وطه المجدوب والعميد أركان حرب ضياء الدين زهدى ـ طبعة عام ١٩٧٤.

(٢) سعيت أكثر من مرة لمقابلة اللواء ضياء الدين زهدى ، لأنه الوحيد الذى على قيد الحياة ممن كتبوا هذا الكتاب، ولأنى أعرف أنه كان صديقاً للمشير أبوغزالة وزميلاً له فى الدراسة بروسيا، وقام بتأليف عدد من الكتب ، ولكنى للأسف لم أتمكن من ذلك نظراً لمرضه .

شهادات حية ومقابلات لأبطال شاركوا فى صنع النصر

شهادات من رجال القوات المسلحة وأبناء مصر الأبرار سجلتها بكل أمانة ودقة.. نبدؤها برئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق.. **الفريق عبد رب النبى حافظ.. قائد الفرقة الـ ١٦ مشاة خلال حرب أكتوبر يقول:**" حرب أكتوبر من الفترات الحاسمة فى تاريخ القوات المسلحة خاصة، وتاريخ مصر عامة، ومن المواقف التى لا تُنسى، يوم ١٠ أكتوبر كان تركيز العدو على الفرقة الـ ١٦ بعد هجوم يوم ٩ أكتوبر الذى كان يهدف إلى الوصول إلى القناة وبعد نجاح الفرقة فى صد الضربة المضادة بالاحتياطى التعبوى. وحضر إلينا العميد أبوغزالة وتولى بنفسه إدارة النيران من مركز القيادة المتقدم يوم ١٠ أكتوبر مساءً، وحتى يوم ١١ أكتوبر صباحاً يدير نيران مدفعية الجيش الثانى من مركز ملاحظة الفرقة الـ ١٦ " .

يقول اللواء محسن حمدى، رئيس جهازالاستطلاع سابقا :"كنت أسمع عن العميد أبوغزالة وهو قائد لمدفعية الجيش الثانى الميدانى.. وفى حرب ٧٣ لقبته بأبى المدفعية.

التحضير النيرانى قبل العبور ليس له مثيل فى التاريخ، ٢٠٠٠ مدفع تقريبا تضرب فى لحظة واحدة، تصب جحيم النيران على سيناء قبل العبور.. ضرب غير عشوائى، حسابات.. تدقيق وتخطيط وأهداف ومسافات وكمية ذخيرة.. نوع الذخيرة.. ضرب على خرسانة أو موقع وتوجيه وضرب رادار ودراسة موقف أى اتجاه يتم قصفه..

خطة المدفعية كانت بارعة وهى أساس العبور.. جندى المشاة لا أستطيع أن أطلب منه دخول سيناء والعدو أمامه كان لابد من تثبيت العدو أمامه.. وبالتالى المدفعية ثبتت كل شىء.. تثبيتا نيرانيا.. ولذا أعتبره ملك المدفعية فى الحرب"..

اللواء حسنى سليمان، مدير المدفعية الأسبق ورئيس أركان مدفعية الفرقة الثانية، والذى عمل طويلاً مع البطل أبوغزالة يقول: "أثناء قيادة العميد أبوغزالة لمدفعية الجيش، لم أكن معه، ولكنى أعرف أنه اشترك فى التخطيط لعمليات ١٩٧٣.. وكان ضمن المجموعة التى كانت خططت للعملية والتى نفذت فى الحرب.. كانت هذه المجموعة برئاسة اللواء الجمسى رئيس هيئة

العمليات، واللواء الماحى مدير إدارة المدفعية وعدد من القيادات، واختاروا مجموعة من الضباط فى الجيوش والقيادة لمشاركتهم فى التخطيط، وتم اختيار مجموعة منتقاة، للحفاظ على عامل السرية، وكان العميد أبوغزالة من هؤلاء الضباط المختارين.. العميد أبوغزالة كان له نشاط غير عادى فى الجيش.. فى عمليات الإعداد والتخطيط قام بدور كبير وفى عملية تجهيز المواقع للضرب المباشر وتدريب الوحدات وتجهيزها للحرب.. **وينتقل بنا الحديث لمواقف أخرى وذكريات عطرة مع اللواء عبد المنعم خليل الذى تولى قيادة الجيش الثانى فى اعقاب حدوث الثغرة، يقول:**

"عندما عُينت قائداً للجيش الثانى الميدانى فى يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣.. كان أبوغزالة قائداً لمدفعية الجيش الثانى، وأول يوم وصلت فيه ذهبت مباشرة إلى غرفة عمليات الجيش وجدته -أبوغزالة - يتابع الموقف بنفسه وأخذته بالأحضان وكان لقاءً رائعاً -كعشرة قديمة - ولكن فى يوم صعب للغاية.. الثغرة كانت من الأيام العصيبة علىّ وعلى كل أفراد القوات المسلحة والجيش الثانى، خاصة بعد تطور الأمور وزيارة الفريق الشاذلى للقوات فى الجيش الثانى، ويوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ قابلتنا متاعب كثيرة جداً فى الجيش الثانى.. فقد قام الإسرائيليون بتركيز الطيران وضرب منطقة الإسماعيلية ودمروا الكبارى على الترعة الحلوة.. وتوقعت أنهم سيقومون بهجوم لاقتحام الإسماعيلية من عدة اتجاهات وطلبت من محمد أبوغزالة أن يركز المدفعية على هذه المناطق، وطلبت منه أيضاً أن يطلع حتى الكوبرى العلوى الموجود جنوب الإسماعيلية والذى كان بمثابة المفتاح الذى يرغب الإسرائيليون فى الوصول إليه، ومن خلاله يتمكنون من إحداث كوارث وخسائر كثيرة لنا.. وفعلاً ذهب هناك وعمل نقاط ملاحظة وبدأ يضرب بالمدفعية واتصل بى، وفى تلك اللحظات كان العدو فعلاً بدأ الهجوم، ولولا وجود قوات الصاعقة التى وضعناها وقيامها بتدمير القوات القادمة للعدو لحدثت خسائر فادحة.. وأخذ أبوغزالة يركز فى ضرب القوات الإسرائيلية المتقدمة التى سوف تأتى بعد ذلك، وفعلاً قام بذلك وركز المدفعية ولم يستطيعوا الاقتراب..

عند حدوث الثغرة أخذت أذكر أبوغزالة عندما كنا فى منطقة الدفرسوار ومناطق تجمع الإسرائيليين والتى ينامون فيها واستنتجنا تواجدهم بها أيضاً

فى هذا الوقت، وقلت له اضربهم وركز عليهم، وفعلاً قام بضرب هذه الأماكن وحققنا إنجازاً رائعاً رغم أننا لم نكن نشاهدهم ولم توجد نقاط ملاحظة لدينا ولكنه استنتاج ومعرفة سابقة للمنطقة ولما سوف يفعله العدو ويختبأ فيه"..

وأشهد للتاريخ، أنه لولا المدفعية ودور العميد أبوغزالة فى صد الهجمات المضادة التى قام بها الإسرائيليون على قواتنا فى الثغرة لكانت نسبة الخسائر لنا فادحة.. وننتقل لشهادة أخرى..

يقول اللواء على هيكل، قائد إحدى كتائب الصاعقة خلال حرب أكتوبر:

"بدأت معرفتى بالمشير أبوغزالة فى ميدان القتال، أثناء حرب أكتوبر جمعنا مركز قيادة واحد، كان هو قائد مدفعية الجيش الثانى وأنا قائد لمجموعة الصاعقة التى كانت تتشكل من أربع كتائب ، تقوم بالعمل من بورسعيد حتى الدفرسوار وفى العمق حتى خمسين كيلومتراً، خلال عمليات معينة ما بعد عبور قوات إسرائيلية لغرب القناة.. أبوغزالة كان دارساً على مستوى عالٍ فى العلوم العسكرية الاستراتيجية، وأيضاً على المستوى السياسى كان على خبرة جيدة بالجيش الثانى، لأنه خدم فى منطقة جنوب الإسماعيلية عندما كان قائداً فى الفرقة الثالثة ومدفعية الجيش، و"مذاكراً" جيداً لقطاع الجيش الرئيسى "الفرقة الـ ١٦ والفرقة الثانية".. فى الوقت نفسه كان يعرف الأرض جيداً ومن السهل جداً التعامل مع أى هدف أثناء التخطيط أو أثناء القتال الفعلى..

عندما نتكلم عن قائد مدفعية الجيش الثانى نجد أن كل أسلحة الضرب المباشر هو الذى يخطط لها، أى أن كل مدفع يضرب مباشرة الهدف أمامه حتى ولو دبابة أعدت لضرب هدف غير مباشر أو صاروخ مضاد للدبابات أو مدفعية مضادة للدبابات.. علاوة على ذلك يخطط لجميع المدفعيات للضرب غير المباشر وكنت أراه وهو فى القيادة يستخدم ١٢ كتيبة مدفعية فى وقت واحد وهذا رقم مهول، ليس موجودا عند الإسرائيليين أنفسهم ولا يمكن أن يتوفر عندهم فى قطاع واحد مثل الذى كان فيه.. وأشهد أنه برغم كونه قائد مدفعية الجيش، فإنه فى كثير من الأوقات كنا نجده فى الحد الأمامى من

الجيش، كنت أزور الفرقة الـ ١٦ لمتابعة دوريات خاصة لنا فى العمق ولتنسيق أعمال هناك.. ورأيته يضرب أهدافا ويبلغ بنفسه شخصياً مدفعيات قياداته بجوار قائد الفرقة الـ ١٦ العميد عبدرب النبى حافظ، وكنت أشاهده بنفسه يطلب المدفعية..

مازلنا مع اللواء هيكل والذى يقول:"من أغرب ما لمسته فى شخصية المشير أبوغزالة.. قدرته العظيمة على حفظ الأرقام، كنت أشاهده يضرب أهدافا لها أرقام معينة على الخريطة، ويتذكرها جيداً وأيضاً عندما كنت أطلب أى رقم تليفون يعطينى إياه دون تفكير.. أبوغزالة كان ينزل للخط الأمامى بشجاعة ودون خوف.. على الرغم من أن كثيرا من القادة يلتزم بوجوده فى مركز القيادة"..

أذكر أن العميد أبو غزالة قائد مدفعية الجيش الثانى الميدانى يوم ١١ أكتوبر كان يزور الفرقة الـ١٦ والفرقة الـ١٨فى يوم واحد وشاهد وأعطى ملاحظاته على الواقع..

عندما بدأ العدو فى اختراق منطقة الدفرسوار، قدم إلينا الفريق سعد الدين الشاذلى ليقود أعمال الجيش الثانى الميدانى فى هذه الفترة الصعبة، أتذكر أنه تقريباً يوم ١٨ أكتوبر جمعنا رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى الإسماعيلية لسماع تقارير الرؤساء وأفكارهم لمواجهة الموقف.. وقدم العميد أبوغزالة كلمة بوصفه قائداً لمدفعية الجيش، وأذكر أنه طبقاً لدراساته وخبرته وضع أفكاراً على مستوى تعبوى.. واقترح ألا ندفع بقوات صغيرة فى مواجهة عدو لا نعرف قوته وواضح أنه يستطيع هزيمة هذه القوات الصغيرة..

كان العدو له مدرعات مؤثرة، ولديه تفوق جوى كاسح، فكان يستطيع أن يهزم هذه القوات الصغيرة، كان يقول عند حدوث أى هجوم لابد أن نوقف العدو، ويوم ١٨، قال إنه من وجهة نظره حتى نوقف تقدمهم لابد أن نوقفهم فى منطقتين «حيويتين» هما عند تقاطع أبو سلطان طريق المعاهدة ثم تقاطع سرابيوم طريق المعاهدة، ولو تمكنا من ذلك سيكون العدو تحت أيدينا، هو فى

الموقع الأسفل ونحن فى الموقع الأعلى.. ما يخصنى معه، كان عندى حوالى كتيبة ونصف الكتيبة فى أبو سلطان، كنا نقاتل يوم ١٧ أكتوبر، وفى يوم ١٨ أكتوبر بدأت قوات العدو فى الضغط بقوة على الكتيبة الموجودة فى المنطقة، وكان لى كتيبة أخرى فى سرابيوم، قائد الكتيبة طلب فى أوقات كثيرة معاونته بالمدفعية لضغط العدو عليه وخسائره التى تتزايد، وكنت أطلب المدفعية مباشرة من أبوغزالة فكان يقول: " حاضر يا هيكل حدد لى المكان.. " وقد كان جهاز اتصالى مع قائد الكتيبة مباشرة وعندما يزيد الطلب منى كنت أوصل الجهاز لقائد الكتيبة يشرح له الموقف ويحدد الهدف الذى يريد ضربه، بعد ذلك أطلب قائد الكتيبة علاء الصاوى، فيقول تمام قدرنا نوقفهم، وبعد انتهاء الضرب يطلب مدفعية أخرى وأطلب أبوغزالة فيقول لى: "يا هيكل نحن اليوم نضرب فى مواجهة جيش كامل، الذخيرة فى تناقص"، فأعده بأنها آخر مرة ولكن ليس أمامى أى فرصة ولا أستطيع سحب القوات فى النهار وأعده بأننى سأسحبها فى الليل، ويقول لى آخر مرة يا هيكل.. ورغم ذلك لو طلبت مرة أخرى لا يتأخر.. والواقع أن مدفعية الجيش كانت مؤثرة جداً.. وأؤكد أن العميد أبوغزالة لم يرفض أبداً فى أى فترة من الفترات مساعدتنا، لقد كان يقدر جيداً وحداتنا الموجودة فى المنطقة..

أؤكد أيضاً أن أكبر خسائر للعدو كانت فى منطقة الدفرسوار من ضربات المدفعية، يعنى شاهدت كتيبة صواريخ كاتيوشا واقفة مابين بلدة سرابيوم وعين غوصين، وكانت تطلق نيران الكتيبة الواحدة تضرب ٤٠٠ متر فى العمق.. وهذه أيضاً كانت تتبع مدفعيات الجيش وكما كان يقال يطلق عليهم نار جهنم..

فى بداية تفكير العدو لعمل الثغرة كانت خسائره كبيرة، وأعتقد أن كبرى خسائره كانت تأتيه من ضرب المدفعية والصواريخ.. دخول الفرقة الأولى بقيادة شارون كان عملية مكلفة، فى منطقة الدفرسوار فقط بداخل الوحدة الصحية وأبو سلطان ضربنا أكثر من ٢٦ قطعة مدرعة منها ١٢ دبابة، كل هذه العمليات جعلتهم يفكرون فى إلغاء العملية كلها.. والذى حدث هو استخدام فرقة أخرى بقيادة "إبراهام آدان"ودخلت فى اتجاه مطار فايد أو تتجه للجيش الثالث.. وكانت عنده الفرصة لاستخدامها بنظام الحشد،

وأوقات كثيرة كان يستخدم مدفعيات الفرق الموجودة فى الضفة الشرقية من أجل ضرب العدو الذى يخترق، كان عندهم نار جهنم.. يوم ١٨ أكتوبر فى سرابيوم بعض الجنود قالوا لى: "إحنا يا أفندم فى وسط نار جهنم.. مدفعياتنا تضرب الإسرائيليين أيضاً والطيران المصرى والإسرائيلى.. السما كلها مولعة، الضرب فى كل مكان.. العملية ليست سهلة.. فالواقع أن ١٨و١٩ أكتوبر كانت نار جهنم على العدو.

وننتقل لشهادة أخرى للواء عبد الجابر أحمد عبدالكريم والذى يقول:"وأنا برتبة رائد توليت قيادة مدفعية صواريخ مضادة للدبابات .. تابعة لمدفعية الجيش الثانى التى كان يرأسها اللواء عمر الموجى والعميد أبوغزالة رئيس أركانها.. وبعد ذلك تولى قيادة مدفعية الجيش.. ميزته أنه يعرف الوحدات التى يمكن أن يقع عليها عبء فى الحرب، وكانت الصواريخ المضادة للدبابات من الجيل الأول مالوتيكا الروسى، لكن كان عليها عبء كبير جداً فى الحرب، إذا حدثت مشكلة أثناء العبور.. كان الجنود يعبرون بقوارب ستقابل دبابات من غير كبارى من ست إلى ثمانى ساعات، فكان لابد من وجود سلاح يردع الدبابات حتى تستمر مسيرتنا شرق القناة.. كان أبوغزالة يهتم بالكتيبة بمعسكر المأمون بفايد ولا يمر أسبوعان إلا ويمر علينا ويلعب كرة مع الموجهين والكتيبة ويسأل عنهم ويعرف كل فرد بالاسم عبدالعاطى ومرسى والضباط حسين السوسى ومحمد السيد وغيرهم.. وفعلاً هو قائد قائد.

استمرت التدريبات، واستمر اهتمامه بالكتائب بطريقة كبيرة، إلى أن قامت الحرب وأقول لك وأنا مسئول عن هذا الكلام.. كتيبة المشاة بالمزرعة الصينية هى التى حملت لواء الدفاع عن شرف مصر..

الإسرائيليون فى الأيام الأولى للمعركة يكفى أنهم فى أحد كتبهم قال شارون.. نحن دفعنا بأفضل مدرعاتنا حتى نصد المصريين بعد عبورهم إلا أنهم نتفوا ريشنا .. تعبير قاس، وقال: إن يوم الاثنين ٨ أكتوبر سيظل عالقاً بذهنى ولن أنساه مدى الدهرً.. وبعد ذلك قال: إن الموقف الذى رآه.. أن

قواته مع الفرقة الـ ١٦ وهم يعبرون الغرب أمرضه وسيظل يمرضه لآخر يوم فى حياته..

أثناء الحرب وبعد الأعمال الرائعة التى قامت بها الصواريخ، قامت الفرقة الـ١٦بمجموعة عمليات ضخمة من ناحية البحيرات وأتى إلينا أبو عزالة ولم يتركنا لحظة، وقام بدور رائع هو وكل طاقم المدفعية.. وهذا كان يوم ١٥ أكتوبر تقريباً..

باختصار أبوغزالة كان يتغلب على أى مشكلة.. كان ضابط مدفعية رائعاً وذكياً..

كان شخصية علمية فذة، أذكر مرة أنهم أحضروا لنا آلة تقدير مسافة من الأسلحة القديمة فى الجيش، وكنا لا نعرف كيف نستخدمها ولم نتدرب عليها وعلم هو بذلك، ووجدته يتصل بى ويخبرنى بأنه سيأتى وعلىّ أن أحضر له الآلة.. وقَدِم وافترش على الأرض وأحضر معه صف ضابط وطلب أن نتركهما.. وبدأ يكتب مواصفات الآلة وكيف تستخدم وفيمَ تستخدم وغيره وكتب عدة صفحات دقيقة عن الآلة وبدأنا فعلاً فى استخدامها كأنه هو الذى صنعها.. باختصار لم يكن يعوقه شىء»..

اللواء مسعد ششتاوى، وكان يعمل بفرع عمليات الجيش الثالث خلال حرب أكتوبر ٧٣ يقول: عندما كنا نقوم بعمل تنظيم تعاون لحرب أكتوبر، وأنا رئيس فرع تخطيط الجيش الثالث، كان مركز القيادة فى الجيش الثالث ، والجيش الثانى كان يقوم بعمل تنظيم تعاون أيضاً، وكان يحضر منه مندوبون مثلما يحضر منا أيضاً مندوبون معهم أثناء عملهم لتنظيم التعاون.. وحضر رئيس فرع تخطيط عمليات الجيش الثانى وقائد مدفعية الجيش الثانى العميد أبوغزالة، وكان قائد مدفعية الجيش الثالث هو العميد منير شاش، وعلى تختة الرمل حدث سجال بين ثلاثة أفراد العميد أبوغزالة، والعميد منير شاش ورئيس فرع تخطيط عمليات الجيش الثالث الذى كنت أمثله، وكان الرأى الراجح فى أحد المواقف التى فرضت للعميد أبوغزالة.. حيث كنا نفرض مواقف ونعرض لكيفية حلها وكيف يحدث تعاون بين الجيشين ونقط الاتصال بينهما، خاصة وجود مسافة كبيرة تفصلها شريحة كبريت فى الشرق.. وكان يظهر التعاون على أصوله.. نحن

لنا طلبات وهم أيضاً.. دوريات. قوات قد تتحرك من الجيش الثانى والثالث وهكذا.. وكان ذلك يتطلب منا ساعات كثيرة وبالطبع كان يتخللها فترة راحة.. وأثناء الاستراحة فى ميس الجيش لتناول الغداء.. دردشنا وحدث موقف لطيف وأخذ يتحدث عن المدفعية والجيش الثانى والمشاة والأسلحة بالكامل وجرت مناظرة بين ضباط المدفعية والمشاة بأسلوب يميل أكثر إلى الهزل..

وكنا نقول المشاة سادة المعارك.. ووجدنا أبوغزالة يرد قائلاً والمدفعية فى كل مكان..

فرددت عليه قائلاً :" وللخلف ما أمكن!!..

فقفز من مكانه وجرى خلفى بالعصا وهو يضحك.. وهذا يدل على مرحه وبساطته وإنسانيته..

بعد الثغرة يوم ١٧ أكتوبر دفعنا لواءً مدرعًا من الشرق لكى يتجه ناحية الجيش الثانى ليسد الثغرة أو ليشتبك بالتعاون مع الجيش الثانى فى سد الثغرة فى منطقة الدفرسوار.. ووجدنا منه معاونات كثيرة وضخمة، وطلبنا من الجيش الثانى ممثلاً فى العميد أبوغزالة أن يشتبك فى تأمين دفع اللواء من عندنا.. من الشرق للشرق شمالاً، وكان له الفضل الكبير فى قيام اللواء بأداء بعض المهام التى كلف بها وارتد مرة أخرى تحت ستر نيران مدفعية الجيش التى كان يديرها العميد أبوغزالة ومنير شاش فى اتجاه كبريت.. بعد أن أدى الدور على قدر الإمكان من أجل سد الثغرة، رغم أنه لم يوفق ١٠٠٪، لكن الدور الذى قامت به المدفعية فى الجيشين كان له أكبر الأثر فى إحداث خسائر لا يتصورها بشر فى الجانب الإسرائيلى».

ونختم هذه الشهادات بكلمات الخبير الاستراتيجى وأحد أبطال أكتوبر اللواء عبد المنعم كاطو، والذى يؤكد على ظهور شخصية أبوغزالة القائد والمقاتل خلال حرب أكتوبر ويواصل كلماته قائلاً:"الحقيقة أنه لم تنطلق طلقة مدفعية واحدة إلا وقائد مدفعية الجيش العميد أبوغزالة موجود فى نقط الملاحظة.. بكل بساطة كان موجوداً فى كل مكان فى الجيش.. تراه فى الفرقة الثانية ثم السادسة عشرة وغيرهما من أماكن الجيش الشاسعة والمتفرقة..

العميد أبوغزالة كان يفكر فى كيفية إيجاد طريقة مبتكرة لإدارة نيران المدفعية.. والواقع أنه لأول مرة يتم عمل تخطيط لإدارة ست عشرة كتيبة مدفعية على منطقة واحدة يوم ١٤ أكتوبر وهذا جهد غير عادى وقد نجح العميد أبوغزالة فيه.. وأيضاً كان يدير بنفسه كل شىء..

أتذكر أنه من تحركاته الكثيرة تعرض مرة أو أكثر للإصابة، وعندما اصطدمت سيارته بلغم وأصيب هو ومات من كانوا معه، رفض هو الذهاب إلى المستشفى وفضل الطبيب الموجود بالقيادة.. وقال إنها إصابة بسيطة..

العميد أبوغزالة ظهرت عبقريته فى التخطيط والإدارة والقيادة منذ بدايته.. ونصر أكتوبر كان الدافع لظهور قائد ينبئ بأنه سيكون وزيراً للدفاع فيما بعد..

وننتقل لأحد رجال المدفعية البطل محمد المصرى، أحد صائدى الدبابات فى حرب أكتوبر وعن دور المدفعية وتنفيذاً لتعليمات قائد مدفعية الجيش الثانى العميد أبوغزالة يقول[1]: "أما الدبابة رقم ٢٧ فى عدد الدبابات الإسرائيلية التى دمرتها فكانت بعشرة جنيهات.. فقد انتقلنا إلى منطقة أبو سلطان تنفيذا لأوامر العميد (محمد عبدالحليم أبوغزالة) قائد مدفعية الجيش الثانى، ثم انتقلنا مرة أخرى إلى منطقة الجفرة بالجيش الثالث الميدانى وتجمعت كتائب لواء مظلات والذى أعتبر نفسى أحد أبنائه ومن صلب تشكيله وكان هناك ٣ دبابات إسرائيلية مستترة خلف إحدى التبات وتطلق طلقات طائشة فى أى وقت وصدرت إلينا الأوامر من اللواء (عبدالمنعم واصل) قائد الجيش الثالث الميدانى بجمع موجهى الصواريخ و أختيار ٣ من موجهى الصواريخ وتم اختيارى مع زميلين، وأنا من طبعى أقوم بدراسة الموقف جيدا ولذلك كنت الضارب الثالث.

.. ففى البداية قام زميلى بإطلاق صاروخه على الدبابة فأصابها، وقام زميلى الثانى بإطلاق صاروخه على الدبابة الثانية ففرت هاربة، وبقيت الدبابة الثالثة من نصيبى، ولم يظهر منها إلا جزء من فوهة الماسورة فظللت أراقبها لمدة ٣٦ ساعة دونما طعام أو شراب وبمجرد ظهور جزء من الماسورة أطلقت صاروخى على فوهة الماسورة فانفجرت الدبابة وبعد نصف ساعة

---

(١) محمد المصرى فى حوار مع إبراهيم خليل فى جريدة الشرق ١٩٩٩.

حضر إلى الموقع البطل (عبدالمنعم واصل) وهنأنى وأعطانى عشرة جنيهات وقال: والله يابطل ما فى جيبى غيرها.

ويواصل ذكرياته ويقول: بفضل الله تعالى دمرت ٢٧ دبابة إسرائيلية بـ ٣٠ صاروخاً وهو رقم قياسى عالمى لم يسجله أى جندى على مستوى العالم، فهناك جندى روسى دمر فى الحرب العالمية الثانية ٧ دبابات وأقيم له تمثال بالميدان الأحمر بموسكو[1].

نعود مرة أخرى إلى الفريق عبدرب النبى الذى يقول: "حرب أكتوبر من الفترات الحاسمة فى تاريخ القوات المسلحة، خاصة وتاريخ مصر عامة، ومن المواقف التى لا تُنسى، يوم ١٠ أكتوبر كان كل تركيز ضرب العدو على الفرقة الـ١٦ بعد هجوم يوم ٩ أكتوبر الذى كان يهدف إلى الوصول إلى القناة، وبعد نجاح الفرقة فى صد الضربة المضادة بالاحتياطى التعبوى، وحضر إلينا العميد أبوغزالة تولى بنفسه إدارة النيران من مركز القيادة المتقدم يوم ١٠ أكتوبر مساءً وحتى يوم ١١ أكتوبر صباحاً كان يدير نيران مدفعية الجيش الثانى من مركز ملاحظة الفرقة الـ ١٦".

محمد رفعت على عيد.. محارب قديم شاهد عيان على عصره.. يقول :
"كانت الرياضة البدنية أحد الطوابير اليومية المنتظمة التى يحرص عليها قائد الكتيبة الرائد ماجد قنديل، ويشجع دائمًا ضباط وجنود وحدته على ممارستها بانتظام أثناء مرحلة الاستنزاف قبل أن تلتهب مواجهات القصف المدفعى المتبادل بين بطاريات العدو وبطاريات مدفعيتنا، التى كان لها السبق دائمًا فى معرض البراعة فى ديناميكية احتلال مواقع النيران وإخلائها فى زمن قياسى مدهش، وكذلك سرعة تلبية النيران والدقة فى إصابة الأهداف مهما يتضاءل محيطها، وهذا ما أجمع عليه خبراء وأساتذة أشهر الأكاديميات العسكرية فى عالمنا المعاصر، تحددت مباراة كرة قدم بناء على مخطط البرنامج الرياضى للوحدة، وفوجئنا بقائد مدفعية الفرقة أتانا ضيفًا، ليمارس لعبته الأثيرة ورأس الفريق الأحمر الذى كنت جناحه الأيسر، بدأت المباراة وانهمك الفريقان فى اللعب وحمى وطيسه وتعالى الحماس، لكن الشباك ظلت عذراء لم تهتز حتى ملكت الكرة وحانت لحظة الانتصار،

---

(١) محمد المصرى فى حوار مع إبراهيم خليل فى جريدة الشرق ١٩٩٩.

وتقدمت نحو مرمى الفريق الأزرق فإذا بالقائد أبوغزالة يشير بيده لأمرر الكرة إليه.. وفعلت فاندفع بها الرجل برشاقة ومهارة وأسكنها شباك الخصم كقذيفة لا تخطئ، ولم تنته المباراة إلا بهزيمة الفريق الأزرق بأربعة أهداف للاشىء، أحرز بطلنا الهمام ثلاثة منها.

ومن الرياضة إلى طابور التدريب العملى لمناورة اشتباك مدفعى مع العدو انهمكت كل عناصر الكتيبة فى تنفيذ مراحلها، بدا القائد أبوغزالة راضيًا عن آلية العمل الدائر، فالرائد ماجد عرفت عنه البراعة التى تصل إلى حد العبقرية فى إدارة نيران المدفعية بأساليب غير نمطية، فهو تكفيه فواصل أصابع قبضة يده ليحدد بها زاوية أى هدف يراد قصفه، كما أذيع عنه عدم حاجته إلى أكثر من دانة واحدة، ليحدد بها ذلك الهدف بدقة متناهية، ثم يدمره بعد لحظة وجيزة تدميرًا شاملاً بنيران مدافعه كلها، لذا ارتسمت على شفتى مايسترو المدفعية ابتسامة عريضة كلها ثقة وإعجاب، وهو يجلس على مقعده «النقال» الذى يطويه ويحمله دائمًا فى جولاته التفتيشية التى لا تنقطع.

وجوده الحاضر بين الجند وقربه بثَّا فى أفئدتهم تلك الحماسة، التى تجسدت جلية فى ملامحهم المصرية التى تؤكد إصرارهم العنيد على تحقيق نصر مؤكد على عدو لئيم وهزيمة أسطورة تفوقه الغبية واستعلائه العرقى الكاذب.

وبعد يومين أقيم مؤتمر عام لضباط وصف وجنود مدفعية الفرقة، وفوجئنا بقائدنا الحبيب يعتلى المنصة خطيبًا مفوهًا، فيأسر العقول بثقافته العسكرية وبلاغته الرائعة ثم حول المؤتمر قبل ختامه بدبلوماسية فائقة الذكاء إلى منتدى حر للأدب والشعر، واستهله بقصيدة أجاد نظمها، ونالت الإعجاب والاستحسان وتقاطر بعده كل صاحب موهبة من الجند، وكذا الضباط وضباط الصف يقدم كل منهم ما عَنَّ له من الأدب والشعر والزجل، مما جعل المنتدى يزخر بتلاحم الرتب والدرجات الأخرى من مقاتلى المدفعية فى عناق حميم مع قائدهم الذى يؤكد أصالة المصرى وعظمته منذ القدم.

والرجل لم يكن فظًا يرهبه مرءوسوه أو يتحاشى أغلبهم لقاءه خشية تجهمه وغضبه، ولم يكن كذلك بيروقراطيًا جامدًا لا أمل لهم فى عرض مطالبهم

عليه طمعًا فى تحقيقها، لقد كان أبوغزالة فى الحقيقة نعم القائد المهيب الذى ترفع يدك لتحيته عسكريًا، وقلبك يخفق مبتهجًا قد انتابه سرور لا نعرف له ترجمة فورية، وكان خير أب يمكن لجندى بسيط أن يقف أمامه غير وجل، فينقل إليه شكواه فى انسيابية رائعة.

ونختم هذه الشهادات بكلمات لقادة إسرائيليين، تناقلتها كتبهم ووكالات الأنباء، تؤكد الدور الكبير والهائل الذى قامت به مدفعيتنا المصرية..

هناك رأى مأثور مؤداه أن أحسن من يحكم على القائد العسكرى هو خصمه فى ساحة المعركة، ويذكر أنه عندما التقى وزيرا الدفاع المصرى والإسرائيلى فى واشنطن خلال عام ١٩٧٩، حضر اللقاء الملحق العسكرى المصرى فى واشنطن اللواء أبوغزالة، وأشار عيزرا وايزمان إليه مخاطباً إحدى مساعديه قائلاً: " لقد كان الجنرال أبوغزالة قائداً لمدفعية الجيش الثانى خلال حرب أكتوبر، ونظر إليه الجنرال الإسرائيلى الذى خاطبه وايزمان والذى تبين أنه كان يتولى قيادة المدفعية الإسرائيلية فى سيناء خلال حرب أكتوبر، نظر إليه طويلاً قبل أن يقول: مسرور للقائك.. لكن وايزمان بادره ضاحكاً.. ماذا، هل كان إنجازه حسناً خلال الحرب؟! فرد الجنرال الإسرائيلى قائلاً: نعم.. لقد كان إنجازه حسناً إلى حد اللعن (١) .

المدفعية فى عيون القادة الإسرائيليين.. اعترافات اسرائيلية

أكد أحد قادة الإسرائيليين الذى كان مسئولاً عن خط بارليف لمجلة شيتون الألمانية الغربية "أن المدفعية المصرية صبت على هذا الخط كمية غزيرة من النيران بصورة لم يشهدها من قبل -على الإطلاق- وأضاف يقول :"إننى أعتقد أن الجندى الإسرائيلى قد أذهلته المفاجأة ولم يفهم حقيقة ما حدث!" .. (بى. بى. سى، ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣).

قال الجنرال شمويل جونين، قائد الجبهة الجنوبية "إنه يبدو أن حجم القوات ضخم، وعملية الهجوم ضخمة، والعتاد ضخم، والمدفعية المضادة للدبابات ضخمة" .. (بى. بى. سى ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣).

بعث الضابط آموشى برسالة إلى زوجته جاء فيها: "إذا كانت قد كتبت لى

(١) الأهرام ٥ يونيو ١٩٨٠.

النجاة فى تلك الليلة ليلة ١٨ أكتوبر ١٩٧٣" فإن ما حدث كان معجزة، ذلك أن قذائف المدفعية المصرية لم تكف عن تدمير تجمعاتنا ومواقعنا طوال الليل، إننى لا أستطيع أن أفهم كيف نجوت مع بعض الجنود من هذا الجحيم.. **(من كتاب حرب كيبور).**

"برهن المصريون على مقدرة جنودهم على القتال، وقدرة ضباطهم على القيادة، وقدرتهم على استخدام أحدث الأسلحة، **(صحيفة التايمز البريطانية ١٦ أكتوبر ١٩٧٣).**

وتنتهى جولتنا مع حرب أكتوبر ودور المدفعية الجبار، وبراعة العميد أبوغزالة وكل قيادات المدفعية المصرية فى الجيشين الثانى والثالث فى إدارتها.

وننهى هذا الفصل بكلمات القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الجمهورية الراحل محمد أنور السادات بعد انتهاء حرب أكتوبر وفى تحية المدفعية قائلاً:

" لقد أدت المدفعية المصرية دورها فى حرب العاشر من رمضان.. وكما أدته فى جميع المعارك التى خاضتها فى ماضيها وحاضرها على أكمل ما يكون الأداء، وكما سوف تؤديه فى مستقبلها..

إن المهام التى حققتها المدفعية خلال مراحل المعركة المختلفة منذ عام ١٩٦٧ فى مرحلة الصمود والردع والاستنزاف واقتحام القناة والاستيلاء على رءوس الكبارى، كانت مهمة خطيرة، وبدأت المعركة بتمهيدها النيرانى وفرضت إرادتها كاملة على أرض القتال، ومكّنت مشاتنا ومدرعاتنا من تحقيق أهدافها، وكان للمدفعية اليد الطولى ولا تزال فى ردع العدو فى عمق أعماقه..

لقد تدافع رجال المدفعية لتأدية واجبهم، واستشهد منهم من استشهد وهو يقاتل على مدفعه، لم يتركه قط حتى ذاق الممات يحدوهم فى ذلك تقاليدهم وأصالتهم..

إننا نحييهم رجالاً آمنوا بوطنهم وبثورتهم وبحقهم فى حياة حرة كريمة..

الرئيس الراحل /محمد أنور السادات

الفصل السابع



مناصب مهمة يختتمها بتوليه رئاسة أركان القوات المسلحة قبل اعتلائه قيادتها

- بعد أكتوبر.. ترقيته لرتبة اللواء.. وتعيينه رئيساً لأركان مدفعية القوات المسلحة
- ذكريات ومواقف يرويها قادة تعاملوا معه خلال توليه هذا المنصب
- اللواء أبوغزالة.. ملحقاً عسكرياً لمصر بالولايات المتحدة الأمريكية
- أحداث مهمة يشارك فيها وأعمال عظيمة يقوم بها خلال فترة عمله ملحقا حربيا
- ذكريات ومواقف كثيرة يتذكرها أحباؤه أثناء عمله فى أمريكا
- اللواء أبوغزالة مديراً لإدارة المخابرات الحربية لأيام قليلة
- اللواء أبوغزالة يمنح رتبة الفريق ويعين رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة
- ذكريات مهمة يرويها صحفيون وعسكريون عنه خلال عمله برئاسة أركان حرب القوات المسلحة

"النجاح فى الحرب هو الذى يخلق خط وخيط التفاوض، وكلما كانت لدينا الخبرة والقوة المساندة لهذا التفاوض كنا أقوى فى إقناع الطرف الآخر، حقيقة كان هذا درساً لدول المنطقة بما فيها إسرائيل ولكن هذا الدرس بدأ عام ١٩٧٤، وأثمر نتائجه عام ١٩٧٩ بعد اتفاقية كامب ديفيـد ".

"ليس هناك وفاق استراتيجى بين إسرائيل والدول العربية فى الوقت الذى تصر فيه إسرائيل على عدم قبول إقامة وطن للفلسطينيين وحقهم فى تقرير المصير".

من أقوال المشير أبو غزالة

وتنتهى حرب أكتوبر المجيدة ويكرم الضباط ويمنحون أوسمة ونياشين القتال، ومنهم العميد أبوغزالة، الذى يحصل على نجمة الشرف ولهذه النجمة قصة سنرويها بعد قليل- ثم يرقى العميد أركان حرب أبوغزالة إلى رتبة اللواء ويعين رئيساً لأركان مدفعية القوات المسلحة..

يقول الفريق عبدرب النبى: بعد حرب أكتوبر افترقنا مرة أخرى، وعين اللواء أبوغزالة رئيساً لأركان سلاح المدفعية عام ١٩٧٤، وأنا عينت سكرتيراً عاماً لوزارة الحربية (أمين عام وزارة الدفاع الآن)، وكان التعاون قائما بيننا كعادتنا، واستمر الاتصال .. وأى موضوعات تختص بالمدفعية كان يتصل بى ويبلغنى بها أو يستفسر منى عنها..

يقول اللواء حسنى سليمان[1]: "كان اللواء أبوغزالة رئيس أركان المدفعية.. وكان يقوم - كعادته - بنشاط غير عادى، كنت رئيس فرع البحوث، واللواء أبوغزالة كان مسئولا عن أعمال كثيرة ويقوم بها مثل الرياضة وإعداد الكتب والمراجع والإشراف عليها وعلى مكتبة المدفعية، بالإضافة لتجهيز معمل المدفعية، وكان يذهب بنفسه لمعرض الكتاب وينتقى الكتب التى لها علاقة بالاستراتيجية والتاريخ العسكرى والقتال والمدفعية وكل ما يفيد الضباط ويحضرها إلى المكتبة، مما جعلها من أحسن المكتبات الموجودة فى القوات المسلحة بفضله فى تلك الفترة.. فى تلك الأثناء كان يخدم مع اللواء يوسف صبرى أبو طالب، مدير المدفعية، وكانوا يبذلون جهدا غير عادى فى تدريب

---

(١) مساعد السيد وزير الدفاع سابقاً.

وحدات المدفعية سواء مدفعية الرئاسة العامة أو الجيوش وإعداد كل ضباط المدفعية".

وتمر الأيام ويختار لوظيفة ملحق عسكرى بالولايات المتحدة الأمريكية ولهذه الوظيفة قصة..

.. أبوغزالة ملحقًا عسكريًا

فى ١٩٧٦ يعين اللواء عبدالحليم أبوغزالة ملحقاً حربياً بالولايات المتحدة الأمريكية.. **وعن هذا المنصب يقول اللواء منير شاش، والذى كان يشغل فى ذلك الوقت قائد مدفعية الجيش الثالث الميدانى..** "أخبرنى أبوغزالة أنه أرسل خطاباً إلى المشير الجمسى، يطلب منه الالتحاق بوظيفة ملحق دفاع.. والحقيقة أنه فى قرارة نفسى كنت أتمنى أن ألتحق بوظيفة ملحق دفاع أيضاً.. ولكنى عندما وجدت رغبته لم أتكلم وصمت.. ولكنى تمنيت له كل الخير.. وعين ملحقاً عسكرياً بواشنطن ولم تنقطع صلتى به لحظة، واستمرت علاقتنا كما كانت، وأذكر أننى ذهبت إليه فى أمريكا - ذات مرة - ومكثت فى منزله الخاص لمدة شهرين كانا من أمتع أيام حياتى.. وأجزم بأن الله أراد لمصر وللقوات المسلحة الخير والصالح عندما اختير أبوغزالة لهذا المنصب.

وبكل أمانة وبعد كل ما حققه أبوغزالة فى منصبه كملحق عسكرى فى أمريكا.. فإننى أحمد الله على أنه هو الذى اختير لهذا المنصب وليس أنا لأننى لو كنت مكانه ما استطعت أن أحقق ما حققه هناك.. وهذا ما ساعده على تولى إدارة المخابرات بعد ذلك، خاصة عندما شاهده الرئيس السادات ولمس ما يقوم به من دور كبير فى التسليح والمفاوضات والتعامل مع الأمريكان، فالمعروف أن العلاقات معهم كانت غير جيدة ومتوقفة بعض الشىء.. وقام هو بتنشيطها عن طريق عمل ندوات ومحاضرات كان لها تأثير جيد وتوضيح وتحسين صورة مصر للشعب الأمريكى"، بالإضافة طبعا للمجهود الذى قام به الرئيس السادات فى تحسين العلاقات بين مصر وأمريكا..

وعن ذكريات رجل آخر تعامل معه خلال هذه الفترة.. اللواء بحرى محسن

حمدى، أحد أعضاء فريق التفاوض المصرى خلال مباحثات السلام المصرية - الإسرائيلية والذى يقول:

"عندما كان اللواء عبدالحليم أبوغزالة ملحقاً عسكرياً فى الولايات المتحدة الأمريكية.. كنا نقوم بمباحثات السلام.. كان يحضر معنا المباحثات التمهيدية والرسمية التى كانت تدار بيننا وبين إسرائيل، وتشاركنا فيها أمريكا.. كان دائم الحضور إلينا فى فندق «الميدسون»، خاصة فى جناح الفريق كمال حسن على.. وكثيراً ما كان يجلس معنا، ونتحاور فى كل مناحى الحياة.. كان إنساناً رائعاً، وشخصية مرحة وبسيطة ومفكرة ومقنعة وجذابة..

كان اللواء أبوغزالة نظيفاً ونزيهاً وعنده العمل عمل والمجاملات في العمل ليس ليس لها مجال.. أذكر أنه تميز بأخلاقه الريفية الأصيلة،إذ كان شهماً، مخلصاً، كريماً، صريحاً، شفافاً.. ثرياً فى فكره وعمله.

ويضيف موقفا آخر عنه قائلاً: "من كرمه أنه أثناء المباحثات فى واشنطن كان يوجه دعوات غداء وعشاء لكل أعضاء الوفد المصرى الذى كان يتكون من عسكريين وسياسيين وسكرتارية وأمن ومخابرات وسائقين وغيره، يعنى أكثر من خمسين فردا أعضاء الوفد.. بالرغم من التكلفة المرتفعة.. كنا نقيم فى فندق «الميدسون» فى الدور التاسع وإسرائيل تستخدم الدور العاشر بالكامل.. سبعين يوماً كنا نتباحث فيها ونتفاوض صباحًا ومساءً ولم نغادر الفندق لحظة.. تخللها بعض التوقفات وسرعان ما عدنا لها مرة أخرى.. وتكررت دعواته للغداء والعشاء..

مازلنا مع اللواء محسن حمدى، والذى ينتقل لذكريات أخرى ويقول: " فى هذه الفترة بدأت أقترب أكثر من اللواء أبوغزالة.. وكان شخصاً متعاوناً لأقصى الحدود.. أثناء المباحثات شعر اللواء لبيب شراب، مدير المخابرات الحربية والذى كان ضمن الوفد ببعض الآلام.. وقام اللواء

أبوغزالة بسرعة فائقة بالاتصال بفرع الملحقين العسكريين فى أمريكا، وحجز له فى أفضل مستشفى هناك "ووترليد" وعمل كل الفحوصات المطلوبة.. وأذكر أن اللواء أبوغزالة قال لى: لماذا لا تذهب وتعمل أنت أيضًا فحوصات؟!.. وبالفعل ذهبت إلى هناك وكانت ترافقنى مرافقة أمريكية برتبة مقدم، وأدخلتنى كل العيادات وعملت تقريرا بحالتى الصحية واطمأننت على نفسى.. خلاصة القول إن اللواء أبوغزالة كان يذلل كثيراً من العقبات التى تواجهنا أثناء المباحثات، ولأن عمله كان مع العسكريين، فإنه كان يعرف كيف يتعامل معهم.. أثناء التفاوض كان يوجد جنرال أمريكى اسمه لورانس يعرف اللغة العربية نظراً لخدمته فى السعودية وكان يتناقش فى فرقة مشاة أمريكية وعندما لم يعجبنا رأيه أو ما يريده الجانب الآخر.. كان يأتى دور أبوغزالة ويقول إن التسليح عندنا يكون كذا والفرقة كذا، ويوضح له كثيراً من الأمور التى يعرفها ببراعة وهو ما يزيد الإقناع ويساعدنا على اجتياز هذه العقبة والتفوق على الآخر والانتصار لصالحنا"..

وعن كيفية نجاحه فى علاقاته مع الأمريكان.. يقول اللواء محسن حمدى: كل المواصفات التى ذكرتها سابقاً عنه، بالإضافة لما كان يتمتع به من ذكاء اجتماعى ومهارة فى التعامل مع الجميع.. وهو ما أهله لأن يصدقه الأمريكان، ويسعوا لعمل علاقات عمل معه.. خاصه أنه كان يتعامل بطبيعته والأمريكان معروف أنهم صعب أن يندمجوا مع أى أحد بسهولة.. بكل صراحة أقول رغم أننى كنت أجيد التعامل معهم ومع الإسرائيليين فإننى لم أكن أستطيع أن أفعل مثله.. وأستطيع أن أقول أيضاً إنه درس الأمريكان جيداً وفهمهم وفهم كيفية التعامل معهم"..

نترك اللواء محسن ونتجه لشهادة الدبلوماسى دكتور بطرس غالى الأمين العام للأمم المتحدة الأسبق وفى كتابه «طريق مصر إلى القدس»، وعن مباحثات السلام يقول: "مر علينا العيد الأضحى أثناء المباحثات وقام الملحق العسكرى المصرى عبدالحليم أبوغزالة بتوجيه دعوة لأعضاء الوفد كله فى منزله احتفالاً بعيد الأضحى وقد كان احتفالاً يسوده الدفء الأسرى"..

وعن الخدمات الأخرى التى قدمها فى منصبه للجميع وليس للعسكريين فقط، يقول الوزير توفيق عبده إسماعيل، زميل الكلية الحربية وزير الطيران والسياحة الأسبق: "فى يونيه ١٩٧٨.. زرت واشنطن ضمن وفد مصرى برئاسة المرحوم سيد مرعى رئيس مجلس الشعب ولما علم اللواء أبوغزالة بوجودى اتصل بى فى الفندق وتقابلنا وعرض مساعداته وخدماته وهو الشىء الذى تعودناه منه دائماً، وبالفعل ساعدنا فى إنجاح زيارتنا، وكانت اتصالاته فورية وقوية ومتعددة.. كما عرض المساعدة فى أى مطلب شخصى وخاص.. وهذه لفتة جميلة قلما نجدها فى الغربة.

وعن تقييم هذه الفترة عسكرياً يقول الفريق صفى الدين أبوشناف.. رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقاً:

وجود أبوغزالة فى هذه الفترة ملحقاً عسكرياً فى واشنطن كان نتيجة اختياره من الضباط المتميزين لغة وفهما وقراءة.. وامتيازه بتخيل وبعد سياسى وعسكرى كبير، كان لديه قدرة مذهلة على جعل الناس يلتفّون حوله، عندما كان ملحقاً عسكرياً كوّن صداقات كثيرة مع الأمريكان، وكان يلقى محاضرات وجميع الرتب سعت لمعرفته وساعدت معاملته الجيدة معهم على عقد علاقات جيدة مع كثير من أعضاء الكونجرس أيضاً، وساعده ذلك فى التسليح والمساهمة فى أسقاط كثير من الديون عن مصر وحل مشاكل كثيرة أثناء مباحثات السلام، وأيضاً فى إرسال بعثات وعلاج كثير من الضباط المصريين فى أمريكا.. فالواقع أن الأمريكان كانوا يحترمونه وكما هو معروف أنهم لا يحترمون إلا من يجدونه وطنيا وفاهما وواقعيا ومنطقيا وصادقا.

● أبوغزالة.. وبعض من أدواره مع الأمريكان..

يقول اللواء حسنى سليمان، مدير سلاح المدفعية ومساعد الوزير سابقاً:
"خلال توليه هذا المنصب، وأثناء مباحثات كامب ديفيد كان له دور رائع أثناء عملية تحرير الرهائن فى إيران.. أتذكر قيام الأمريكان بعمل تحليل لأسباب فشل عملية تحريرالرهائن فى كلية الحرب العليا الأمريكية، واختاروا اللواء أبوغزالة للحضور فى هذا التحليل الذى لم يوجد فيه غير القادة وكان هو الشخصية الوحيدة الأجنبية الموجودة وطبعاً اختياره لم يأت من فراغ..

اللواء أبوغزالة كان مدرساً فى كلية الحرب العليا الأمريكية، وكوّن صداقات

كثيرة بأعضاء الكونجرس الأمريكى وغيرهم من القيادات الأمريكية وكثيراً ما كانوا يزورونه عندما يأتون لمصر..

أتذكر أنه أخبرنى مرة أن أحد أعضاء الكونجرس زار مصر ـ بعد تقاعده ـ وأثناء وجود هذا الضيف بالفندق شعر ببعض الآلام والقيء فلم يتصل بالسفير الأمريكى ولكنه قام بالاتصال بالمشير أبوغزالة لإنقاذه وبسرعة ذهب إليه هو وزوج ابنته الطبيب وأسعفاه ولم يتركاه إلا بعد الاطمئنان عليه"..

يقول كبير المحررين العسكريين الراحل جمال كمال:

"أبوغزالة تعلم، عندما كان ملحقاً عسكرياً فى أمريكا، كيفية الإدارة العسكرية بالأسلوب الأمريكى.. والإعلام كان أحد مصادر القوة وهو ما يوجد حتى الآن"..

اللواء حسام خيرت، مساعد وزير الدفاع للتسليح سابقاً، يقول :"عندما عين اللواء أبوغزالة ملحقاً حربياً فى أمريكا، كنت أزوره فى كل إجازة له فى القاهرة، وكان يخبرنى بكل جديد شاهده هناك ونتناقش فى أى تطوير أو ابتكار جديد نستطيع أن نضيفه للتسليح فى مصر"

يقول اللواء عبدالمنعم سعيد.. رئيس هيئة العمليات الأسبق:

"أثناء عمله كملحق عسكرى فى واشنطن كان يدرس بالأكاديمية المصرية، وأكمل دراسته وهو فى الخارج، فكان يأخذ المراجع والكتب التى تدرس هنا ويذاكرها ويتابعها، وقبل التخرج أتى لعرض مشروع التخرج.. وهو عبارة عن دراسة أو بحث يقدم وتأتى لجنة وتقيمه وحصل به على الزمالة بتفوق.

نترك الزملاء والأصدقاء ونأتى لشهادة فرد من العائلة.. وعن علاقته بأسرته وأقاربه فى هذه الفترة، **يقول زوج ابنة شقيقته السيد مختار نوح:** "وتمر السنون وترتقى مصر بالرجل حتى يصبح ملحقاً عسكرياً فى الولايات المتحدة الأمريكية.. وكان يعود من مهمته ليوزع الدقائق بين بيوته الأربعين، فلا يجور حق أسرته على حق الرحم ولا ينسيه الاشتياق إلى أبنائه حق الوفاء لغيرهم..

ويعود اللواء أبوغزالة من رحلته إلى أمريكا ليكون مديراً للمخابرات الحربية أياما قليلة ثم نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للدفاع، ولم يغب عن ذهنى أنه لم

يملك سيارة فى حياته حتى تخطى رتبة اللواء وربما كان أعلى من ذلك حين تملكها، وإن كنت لا أذكر ماركة السيارة ولا سنة صنعها، إلا أننى أذكر يوم دخولها من ميناء بورسعيد وهى تسدد كامل جمركها بالقرب من عام ١٩٨٠.

من هذه الكلمات نعرف إلى أى مدى كان رجلاً نزيهاً عصامياً بسيطاً لم يتربح من المناصب التى تولاها سابقاً ولم تعقه ظروفه المادية البسيطة عن الوفاء بحق بلاده وخدمه كل من طلبوا منه المساعدة، وكذلك لم يستغل عمله كملحق عسكرى فى الخارج بعمل أى شىء يحقق من وراءه مكاسب أو أموالا بأى صورة وتحت أى مسمى..

فترة تعيينه مديراً للمخابرات

يقول اللواء محسن حمدى: «اللواء أبوغزالة مكث فى منصب مدير المخابرات الحربية أياماً قليلة.. أى أنه لم يخدم فى هذا المنصب وسرعان ما عين رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة»..

يقول الفريق صفى الدين أبوشناف : "بعد الحرب عُينت رئيساً للجنة المصرية العسكرية، وعين هو لفترة بسيطة مديراً للمخابرات الحربية، وكانت تربطنا علاقة طيبة.. فى هذا المنصب لم يمارس دوره إلا قليلاً، وسرعان ما سلم القيادة إلى اللواء لبيب شراب، الذى كان أيضاً ضابطاً كفئا وكان له دور مميز فى التجهيز لمباحثات السلام المصرية - الإسرائيلية، أتذكر عندما عينت رئيساً للجنة العسكرية المصرية، قال لى اللواء أبوغزالة فى تلك الفترة: " أنا سعيد يا صفى بتوليك هذا المنصب فأنت ضابط كفء، حاربت كل الحروب وخدمت فى الاستطلاع، وتفهم العدو جيداً، وأجدت دورك فى الحرب وهذه الخلفية تعطى لك قوة عند الجانب الآخر أثناء مباحثات السلام"[1].

وأذكر موقفاً آخر له وللواء لبيب شراب حيث اتفقا على تزويدى ببعض الكتب المتنوعة لقراءتها والاستفادة منها فى معرفة العدو الإسرائيلى، ونصحنى اللواء أبوغزالة بالتعمق فى الناحية الاجتماعية وأمدونى بنحو ١٨

---

(١) يقول الفريق صفى الدين أبوشناف، وللتوضيح فإن مهمة ضابط الاستطلاع هى فهم العدو وتسليحه واقتصاده وتكنيكه ويكون فاهماً للأرض ومسرح العمليات جيداً.. باختصار شارب العدو - كما يقال.

كتاباً فى هذا المجال وكانت بالفعل كتباً منتقاة، استفدت منها كثيراً وخدمتى أثناء التعامل مع الإسرائيليين .. وأثناء المباحثات كان فيه استلام الأرض ومشاكل وتصوير وتليفزيون وغيره، وكثيراً ما كان يتصل بى ويوجهنى ويتابع ويراقب الموقف ويسعد لأى إنجاز نحققه.

وسرعان ما اختاره الرئيس السادات رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة، خاصة لما لمسه فيه من جدية وعقلية رائعة وعمل دءوب خلال مقابلته له أثناء مباحثات كامب ديفيد فى أمريكا.. ويكون المنصب التالى والذى يثبت فيه كفاءته المعهودة..

فترة تعيينه رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة

يصدر الرئيس محمد أنور السادات قراراً جمهورياً بتعيين اللواء محمد عبدالحليم أبوغزالة رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة وذلك عام ١٩٨٠ مع ترقيته إلى رتبة الفريق اعتباراً من تسلم المنصب.. ومن خلال هذا المنصب كانت له أدوار كثيرة.. وساعد فى إنجاح كثير من المهام التى كان لها دور فى إبراز قوة القوات المسلحة..

وكتبت الصحف المصرية تقول: "بدأ صباح أمس- ١٧مايو ١٩٨٠ -الفريق محمد عبدالحليم أبوغزالة رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى مباشرة مهام منصبه الجديد.. وكان الفريق أبوغزالة قد وصل إلى القاهرة مساء الخميس الماضى قادماً من واشنطن، حيث كان يرأس مكتبنا العسكرى هناك[١]".

يقول الفريق عبدرب النبى حافظ الذى خدم معه بعد ذلك رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة مدة لا بأس بها وحقق معه إنجازات كبيرة فى صفوف القوات المسلحة:

"عُيِّن أبوغزالة رئيساً للأركان وكنت وقتها رئيساً لهيئة العمليات وبدأت العلاقات تزداد من جديد، فرئيس العمليات يعتبر نائباً لرئيس الأركان، وبالتالى كان الاتصال بيننا يومياً حتى مكاتبنا كانت متلاصقة ".

(١) جريدة الأهرام المصرية ١٨ مايو ١٩٨٠

ونتنقل لشهادة أخرى يقول اللواء محسن حمدى، رئيس جهاز الاتصال، وأحد أعضاء فريق مباحثات السلام فى واشنطن: "فى فترة تعيينه رئيساً للأركان كنت أتعامل معه أكثر وأعرض عليه شروط المعاهدة وأخبره بما تم أثناء المباحثات وما بدر من الإسرائيليين من أجل الانسحاب، وأعرض عليه أهم المواقف وآخذ رأيه.. فقد كنت أقوم بعمل تقارير تعرض أولاً على مدير المخابرات، ثم رئيس الأركان ثم وزير الدفاع.. هذا طبعاً بجانب ما يعرضه الجانب السياسى، وكان يستمع لكل كلمة بتمعن تام، ويثق فى كل كلامنا ويشكرنا على الدور الذى نقوم به.

ونسجل شهادة أخرى وعن هذه الفترة يقول اللواء أحمد فخر، مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا سابقاً.. الفريق أبوغزالة "كان متواضعاً جداً، أثناء رئاسته أركان حرب القوات المسلحة.. عندما كنت أزوره فى منزله صباحاً.. أجده يرتدى الجلابية ويتناول إفطاره الذى تعده له زوجته الفاضلة الحاجة أشجان، والذى يتكون من ثلاث بيضات وملح وفلفل وقطعة جبنة اسطنبولى وقطعة عيش.. بكل سعادة ولذة.. رئيس أركان حرب القوات المسلحة الذى يقول كلاما يهز العالم.. هذا هو إفطاره.. وبعدها يقول: " الحمد لله".. كان بسيطاً ولم يكن نهماً أو شرها فى أى شىء"..

يقول اللواء عبدالمنعم سعيد: "عندما تولى أبوغزالة رئاسة الأركان كنت أدرس بالأكاديمية، كان الفريق أحمد بدوى هو وزير الدفاع فى ذلك الوقت.. وهو الذى وعدنى أنه لو حصلت على المركز الأول سأسافر لأمريكا للدراسة هناك.. وكان الفريق أبوغزالة يعلم موضوعى وسفرى ونجحت وحصلت على المركز الأول وحدث موقف محزن من الولايات المتحدة.. فكان من شروطهم عدم قبول ضباط من دول سنوياً ونحن حصلنا على ثلاث دورات متتالية.

ودورتى كانت الرابعة، ورفضوا فى البداية وتضايقت جداً.. اللواء لبيب شراب مدير إدارة المخابرات، اقترح سفرى إلى فرنسا أو إنجلترا.. لكن الفريق أبوغزالة رفض وأصر على سفرى لأمريكا.. فى هذه الفترة كان رئيس هيئة أركان حرب الولايات المتحدة فى زيارة إلى مصر، وأبلغنى الفريق أبوغزالة أنه أبلغه بالموضوع.. ثم أخبرنى بما قاله له بالنص قائلاً: " إننى أخبرته أنكم ستستفيدون من هذا الضابط أكثر من استفادته هو منكم.. ولو رفضتموه سيكون لنا موقف آخر معكم"..

شكرته.. وبعد سفر رئيس الأركان الأمريكى، أرسل فورا التصديق لى بالسفر والدراسة.. وسافرت فى ١٩٨١ لمدة عام ونصف العام وعدت إلى الأكاديمية"..

يقول اللواء عبدالمنعم كاطو.. الخبير الاستراتيجى : "كنت عميداً فى هذه الفترة، وكان يحضر عندنا فى الجيش الثانى لمتابعة مناورة أو مشروع، وبمجرد أن يلمحنا، نجده يرحب بنا ويسلم علينا بحفاوة وترحيب شديدين وبالاسم، كان ودوداً ولا ينسى من عمل معه بل يقدره ويعتز به.. وكما ذكرت سابقاً أننى عملت معه فترة من أمتع الفترات فى حياتى رغم قسوتها وهى فترة الاستنزاف والحرب"..

كبير المحررين العسكريين (الراحل) جمال كمال يقول : " أول احتكاكى به أثناء رئاسته أركان حرب القوات المسلحة واقتربت منه.. كان تعامله مع الصحافة والإعلام يجرى بشكل مختلف عمن سبقوه.. كان رجلاً واثقاً من نفسه"..

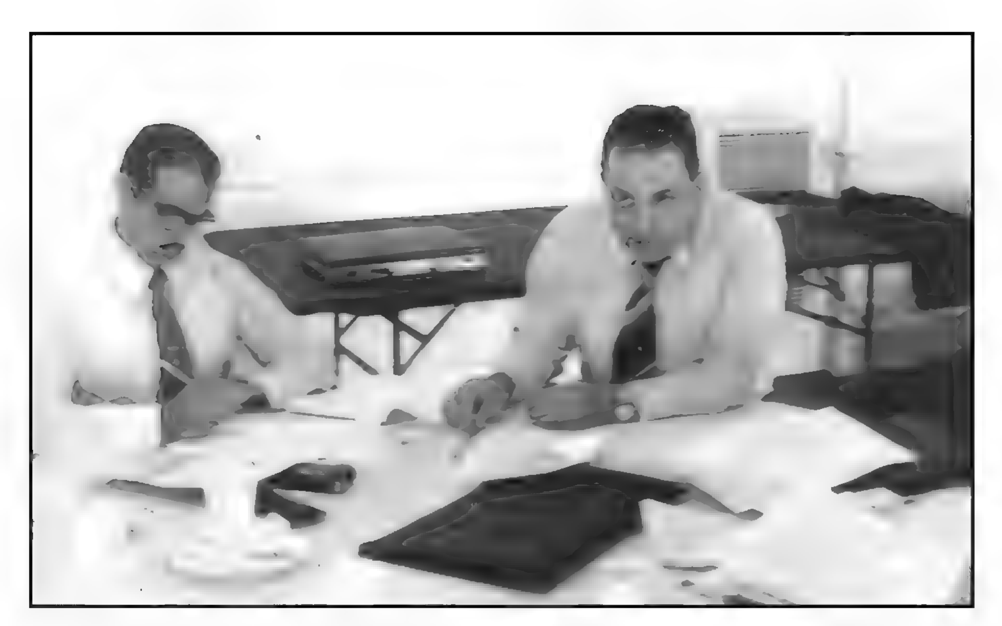
ونأتى لحدث فى غاية الحزن راح على إثره العديد من خيرة رجال القوات المسلحة، إثر تحطم طائرة عسكرية كان على متنها وزير الدفاع المصرى الفريق أحمد بدوى وعدد من قادة ورؤساء ومديرى القوات المسلحة.. وتوفى الوزير بدوى والقادة.. ومن كان غير الفريق أبوغزالة مؤهلاً لهذا المنصب.. ولقد وقع عليه الاختيار لقيادة القوات المسلحة فى مرحلة من أصعب ما يمكن.. مرحلة البناء والتعمير والتغيير.. وكعادته أثبت كفاءة وبعمل بجد وإخلاص وتأن، وكان له مواقف وأحداث كثيرة لن ينساها له الجيش والشعب المصرى والعالم العربى والغربى.. وتكون الوظيفة التالية..



أعضاء الوفد العسكرى فى مفاوضات السلام بواشنطن برئاسة الفريق أول كمال حسن على ود. بطرس غالى واللواء المجدوب واللواء أبو غزالة واللواء محسن حمدى



اللواء أبو غزالة الملحق العسكرى فى واشنطن يحضر أول اللقاءات بين الوفدين المصرى والإسرائيلى .. اجتماع تمهيدى فى جناح الفريق كمال حسن على .. أكتوبر ١٩٨٧



دراسة وتحضير لجلسات التفاوض (واشنطن ١٩٧٩) فى بلير هاوس دار الضيافة للبيت الأبيض ومشاركة اللواء أبو غزالة الملحق الحربى فيها .. الذي يظهر فى الصورة ومعه اللواء محسن حمدى



دعوة على الغداء على شرف وفد مصر الرسمى للمفاوضات بمقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) فى وجود الفريق كمال حسن على والسفير أشرف غربال واللواء أبو غزالة واللواء لبيب شراب وشخصيات عسكرية وسياسية مصرية وأمريكية

الفصل الثامن

الفريق محمد عبد الحليم أبو غزالة قائداً عاما للقوات المسلحة



- أهم الأعمال التى قدمت فى القوات المسلحة للضباط والجنود
- أهم المشروعات التى أنجزت فى عهده
- أهم الأحاديث التى أدلى بها للإعلام المصرى والعربى خلال تلك الفترة

الفريق محمد عبدالحليم أبوغزالة، وزير الدفاع والإنتاج الحربى والقائد العام للقوات المسلحة.. أدى اليمين القانونية أمام الرئيس أنور السادات، حضر أداء اليمين السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية، والدكتور فؤاد محيى الدين رئيس الوزراء ومنصور حسن وزير الدولة لرئاسة الجمهورية والثقافة والإعلام، واللواء عزالدين مختار أمين أول رئاسة الجمهورية، واللواء حسن علام كبير الياوران.. أعقب حلف اليمين اجتماع مع الرئيس السادات حضره السيد حسنى مبارك.. أعطى الرئيس السادات توجيهاته للفريق أبوغزالة وزير الدفاع، والفريق عبدرب النبى حافظ رئيس أركان حرب القوات المسلحة فيما يتعلق بمستوى الإعداد والتدريب والتسليح للقوات المسلحة.. كما أعطى الرئيس توجيهاته بأن تتولى القوات المسلحة رعاية أبناء وبنات الشهيد المشير أحمد بدوى ورفاقه الشهداء..

٨ مارس ١٩٨١

جميع وسائل الإعلام المصرية

لم يكن أحد يعلم أن الطفل ثروت الذى أنقذه ابن عمه عبدالعظيم من الغرق فى ترعة الحاجر، سيصبح فيما بعد المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة، ذلك الرجل الذى أحبه الجميع، وظل حتى وفاته بطلاً شعبياً فى عيون المصريين..

إنجازات كثيرة تحققت فى عهده داخل صفوف القوات المسلحة والتى أسهمت بتوجيه منه فى التنمية الشاملة للدولة ومساعدتها للدول العربية والإسلامية.. مشروعات كثيرة لا تحصى، اخترت بعضاً منها فى هذا الفصل.

وعن هذه الفترة يقول الفريق عبدرب النبى حافظ: "فى مارس ١٩٨١ وقع حادث مؤسف.. كان تحطم الطائرة الذى راح ضحيته الفريق أحمد بدوى وعدد من كبار قادة القوات المسلحة، وتولى أبوغزالة قيادة القوات المسلحة، وعينت رئيساً لأركانها وكان التعاون وثيقا ومثمرا، كالعادة عملت معه بأقصى طاقتى لمدة تقرب من العامين ونصف العام، حققنا خلالها إنجازات كثيرة للقوات المسلحة وكان التفاهم بيننا واضحاً، كلانا كان يفهم الآخر وطبيعة عمله واختصاصه.. خلت هذه الفترة من الصعوبات والتعقيدات بيننا، وأسلوب التعامل كان واضحاً وصريحاً".

الواقع أن المشير أبوغزالة.. سعى جاهداً لتطوير وتحديث الجيش المصرى جنوداً وسلاحاً، كان يضع فى الاعتبار طيلة الوقت ما يخدم الأمن القومى المصرى.. اهتم بالتصنيع الحربى، فأنشأ مصانع وزارة الدفاع، ومنها مصنع ٢٠٠ ومصنع ٩٩ المتقدم، وأثناء الحرب العراقية - الإيرانية والغزو السوفييتى لأفغانستان، ازدهر الإنتاج الحربى لمصر فى عهده لتتعدى صادرات مصر

العسكرية مبالغ كبيرة عام ١٩٨٤، كما كان دائماً يسافر للعراق يتابع مع القادة العراقيين ما يحدث بحربهم مع إيران، وكان صاحب أفكار قوية جداً فى هذه الحرب ضد إيران..

ذلك على مستوى التسليح، أما فى مجال التنمية الشاملة للدولة والخدمة الوطنية وغيرهما فقدم الكثير والكثير، هذا طبعا غير ما قدمه من تطوير داخلى كبير فى القوات المسلحة واهتمامه بالضباط والجنود والعمل على كل ما يرفع روحهم المعنوية، ويخدمهم، وذلك حتى يكون العطاء والانتماء هدفيهم الأول والأخير».

المشير أبوغزالة خدم معه ثلاثة رؤساء أركان حرب من أفضل ما يمكن.. قادة شاركوا من قبل فى حروب مصر المعاصرة، وأبلوا بلاءً حسناً فى حرب أكتوبر وهم صديقه ودفعته الفريق عبدرب النبى حافظ، والفريق إبراهيم العرابى زميل ورفيق الميدان والحرب.. والفريق صفى الدين أبوشناف صديقه وزميل الميدان، واستطاع بالتعاون معهم أن ينجز أعمالا فى غاية الأهمية والروعة.. وقد غلب التناغم والوفاق على كل الفترات فلم يحدث خلاف أو تعارض بينه وبين أى منهم، فهو منذ البداية يحدد الاختصاصات والواجبات ويطلق الحرية لكل منهم فى إنجاز مهمته دون تدخل منه طالما فى إطار ما تنص عليه اختصاصات وصلاحيات المنصب..

يقول الفريق صفى الدين أبوشناف: "الفترة التى قضيتها فى العمل معه فى رئاسة الأركان كانت فترة مهمة، امتازت كلها بالعمل والمجهود الشاق.. مرحلة بناء وتحولات كثيرة فى الجيش المصرى ومصر كلها.. وبرغم وجود صداقة قوية بيننا فإنها لم تؤثر على سير العمل، فكل منا كان له دور للقيام به، لكنها فترة ساعدت على زيادة التفاهم وإتقان العمل.. فى البداية كنت أخشى حدوث احتكاك أو تضارب فى الاختصاصات بينى وبينه، وأتذكر أنه قال لى حتى يزيل هذا الإحساس:

"خذ كل اختصاصاتك كما يقول قانون الخدمة بالقوات المسلحة".. وبدأنا ننطلق فى العمل.. المشير أبوغزالة كان رجلاً متعلماً وقائداً عظيماً، لديه رؤية استراتيجية عميقة وقدرة على اتخاذ القرار الصائب فى وقت قصير.. إنساناً بمعنى الكلمة.. فمن المواقف التى أتذكرها له من الناحية الإنسانية،

أنه لم يرفض مطلباً إنسانياً أبداً، خاصة فى موضوع المرض والعلاج، فكثيراً ما كان يحتاج بعض الضباط للعلاج بالخارج وبدون تفكير يذلل لهم كل العقبات من (وقت وروتين وغيره)، ويأمر بسفر الواحد منهم وعلاجه فوراً على نفقة القوات المسلحة، وكثيراً ما حظى الجنود وصف ضباط بجانب كبيرمن هذا الاهتمام.. فعندما اهتم بالقوات المسلحة لم يفرق بين قائد وضابط وجندى وصف ضابط، ولذا فإنه قدم جميع الخدمات ليستفيد منها الجميع تبعاً للرتبة ومدة الخدمة فى صفوف القوات المسلحة.. فقدم لهم (المساكن، دور ونوادى الأسلحة والعلاج.. إلخ)..

● كان دائم المرور على كل القوات المسلحة والأسلحة ليشاهد كل شىء بنفسه، عندما فكر فى إنشاء دور لجميع أسلحة الجيش كان هدفه التيسير على الضابط الذى لا يقدر على الذهاب هو وأسرته للغداء أو عمل فرح أو الترفيه فى الخارج أو بالنوادى باهظة التكاليف، ففكر فى إنشاء مكان يتواجد فيه هو وأسرته ويكون بأسعار مناسبة ويحقق له شيئا من الخصوصية.. فى الوقت نفسه أسس المدن العسكرية، القوات المسلحة كانت موجودة داخل المدن.. أرض المعسكرات السابقة بدأ يبيعها وبثمنها أقام مدنا عسكرية مثل الهايكستيب، والحمام بالمنطقة الشمالية وفى دهشور وغيرها.. مدنا مشرفة تستوعب أعداداً كبيرة من الضباط وصف ضباط وشرفيين"..

ويقول الفريق عبدرب النبى رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقاً :

"من أهم المشروعات والإنجازات التى تحققت خلال هذه الفترة وكنت مشاركاً فيها أو عاصرتها، مشروع إسكان القوات المسلحة، وأنا شخصياً كنت مسئولاً عنه، ويعتبر من أكبر المشروعات التى قامت بها القوات المسلحة وحققت هدفا نفسيا كبيرا، نبعت فكرة هذا المشروع أثناء زياراتنا للوحدات والتشكيلات وشكوى كثير من الضباط "الرتب الصغيرة " من عدم توفر مسكن، لهم وعدم تمكنهم من الزواج لظروفهم الاقتصادية الصعبة ومشاكل كثيرة جعلتنا نبحث الموضوع وندرسه بعناية، وفعلاً استطعنا حل هذه الأزمة بفكر سليم وإمكانيات لا بأس بها.. ووجود الأجهزة التى عاونتنا مثل الهيئة الهندسية فى عمل التصميمات والتخطيط والمتابعة والإشراف، وتم إنجاز المشروع بنجاح.. فى البداية كان المشروع مبنياً أساساً على منح كل ضابط

يريد أن يتزوج شقة وبعد ذلك (وحتى الآن تطور المشروع وكبر وأصبح من حق كل ضابط الحصول على شقة)، ولم يكن المشروع مقصوراً على الضباط فقط، بل كان يشمل طلبة الكليات العسكرية منذ التحاقهم بالكلية، حيث يقوم الواحد منهم بدفع مبلغ معين كل عام وفى فترة معينة وبرتبة معينة يحصل على الشقة مع سداد أقساط بسيطة على عدد من السنوات تخصم من مرتبه.. ولم يقتصر المشروع على الضباط فقط، بل اشتمل صف ضباط وشرفيين.. وتم التوسع فى هذا الموضوع وثبت نجاح القوات المسلحة فى هذا المشروع ويعود الفضل الأول للمشير أبوغزالة ومن تولى رعاية المشروع من بعده».

ومن أرشيفه الصحفى، يقول المشير أبوغزالة: "على مستوى الخدمات سعينا كى لا نترك الفرد فى القوات المسلحة لسوق العرض والطلب، اقتحمنا مجالات الإسكان بإنشاء مجمعات مدن عسكرية متكاملة لكى نؤمن له المسكن الملائم وبسعر مناسب.. ونحن نسعى لكى نوفر لأفراد القوات المسلحة السلع الغذائية الأساسية بطريقة كريمة، كما أننا نرتفع بمستوى الخدمة الطبية للجميع ضباطاً وجنوداً.. وليعلم الجميع أننى لا أعطى أفراد القوات المسلحة مسكناً أو خدمة بأقل من تكاليفها، فالقوات المسلحة ليست مؤسسة متميزة فى مصر، ولكنى أعتقد أن من حق أفرادها أن يستفيدوا من قدرتها على التنظيم والاقتصاد والتنفيذ والمتابعة دون وسطاء، وإن أسعار القوات المسلحة فى مجال التشييد والبناء تقل عن سعر السوق المحلية بمتوسط يصل إلى ١٨٪ فى بعض الأعمال بمتوسط يصل إلى ٣٠٪، لأن التنفيذ يتم بأسلوب علمى واقتصادى، كما تتسم الإدارة بالإيجابية والسرعة فى التغلب على مشاكل الروتين، وأعتقد أن من حق الضابط والجندى أن يستفيد من ذلك"..

عملية تسكين الوحدات

نعود مرة أخرى للفريق عبدرب النبى حافظ والذى يقول: "بعد الحرب، كانت الوحدات العسكرية تسكن الصحراء، وبعد توقيع معاهدة السلام فى ١٩٧٩كان من الضرورى إيواء أفراد تشكيلات القوات المسلحة داخل المعسكرات، فنصفها تقريباً دمر فى القتال، بالإضافة لزيادة حجم القوات المسلحة بنحو ثلاثة أضعاف، وكان من الضرورى إنشاء معسكرات جديدة

وكانت عملية صعبة ومكلفة جداً، وانتهينا لإصدار قرار جمهورى بإنشاء جهاز بيع الأراضى يتبع القوات المسلحة ونستطيع أن ننشئ من خلاله المدن العسكرية، وفعلاً تم البدء فى المشروع عام ١٩٨٢/١٩٨٣ ومن هذه المدن سيدى برانى والهايكستيب والحمام وغيرها من المدن"..

وعن نقل المعسكرات خارج المدينة، يقول المشير أبوغزالة: عندما بحثنا إقامة مدن عسكرية، أو كما نطلق عليه «إيواء عسكرى» كتوزيع استراتيجى للقوات المسلحة لمواجهه التهديدات بسرعة، فأى دولة إن لم تكن قواتها موزعة توزيعاً سليماً فلن تنجح فى درء هذه التهديدات، ورسمنا خطة معينة لهذا التوزيع الاستراتيجى، وجدنا أنها ستكلفنا ٢٥٠٠ مليون جنيه وميزانية الدولة لا تسمح، فرأينا أنه من الأفضل أن نبدأ فى بيع الأراضى الموجودة داخل نطاق المدن ثم نبنى بثمنها هذه المدن، بحيث نغطى ثلثى التكلفة المطلوبة ويتوقف إخلاء كل المعسكرات الموجودة بالمدينة على سرعة وقدرة عمل قطاع الإنشاءات.. وأتمنى أن تنتهى هذه العملية خلال السنوات الخمس القادمة [١] .

ونعود إلى الفريق عبدرب النبى حافظ والذى يكمل حديثه قائلا: " مشروع آخر يذكر له وهو مشروع العربات ونجحنا فيه بحوالى ثمانية آلاف جنيه فقط يستطيع الضابط الحصول على سيارة على الزيرو، ووجدت مشروعات الأمن الغذائى والتوسع فيها والهدف منها هو تدبير احتياجات القوات المسلحة بواسطة إمكانياتها من أجل عدم سحب احتياجتنا من السوق المحلى، وبدأنا بمشروعات الدواجن واللحوم والبيض والخضراوات وتربية العجول.. إلخ، وكانت تغطى احتياجات الكليات العسكرية والمستشفيات وفى نهاية المرحلة صار إنتاجنا متاحا للبيع خارج القوات المسلحة [٢] .

دور القوات المسلحة بدأنا فى إنشائها عام ١٩٨١، وتم تحديد الأماكن والأراضى وذلك حتى تكون موجودة بجانب إدارة النوادى بالقوات المسلحة، وكنا نريد الارتقاء بهذه العملية وبدأنا بإدارة المشاة والمدرعات والمدفعية والدفاع الجوى والقوات الجوية إلى أن اكتملت كل الدور وغطت جميع

---

(١)مكرم محمد أحمد، حمدى لطفى، يوليو ١٩٨٢، مجلة المصور المصرية.
(٢) نفس الإنجازات والمشروعات ذكرها الفريق صفى الدين أبوشناف.

الأسلحة بعد ذلك، والمشروع كان ضخماً وناجحاً، وأفاد جميع الضباط وأسرهم وكذلك المدنيون والدور كانت متنفسًا لكثير من الضباط والمدنيين وساعدت على توفير قاعات لإقامة الحفلات والأفراح بأسعار مناسبة تقل كثيراً عن خارج القوات المسلحة .

فى هذه الفترة، وبرغم قلة الإمكانيات وعدم توفرها بصورة كبيرة وبرغم خروجنا من الحرب بسنين قليلة فإننا استطعنا عمل مشروعات كبيرة وناجحة..

فى اعتقادى أن أهم مشروع تم أثناء توليه الوزارة هو جهاز مشروعات الخدمة الوطنية..

وللأمانة فإن المشير أحمد بدوى بدأ فى وضع بذوره، وبدأنا فى العمل به معه، فقد كان أبوغزالة رئيس الأركان وأنا رئيس هيئة العمليات، ولكن فى نطاق ضيق إلى حد ما، وعندما تولى أبوغزالة وزارة الدفاع تبنى هذا المشروع، ورعاه جيداً وتوسع فيه حتى صار من أكبر الأجهزة على مستوى القوات المسلحة كلها وأيضاً أنشأ جهاز بيع الأراضى"..

وفى حديث للمشير محمد عبدالحليم أبوغزالة مع أبو بكر عمر لمجلة الإذاعة والتليفزيون، نشر فى أكتوبر ١٩٨٣قال: تردد كلام كثير حول أنه أصبح فى القوات المسلحة جهاز خدمة وطنية وأمن غذائى وخلافه وسأعطيكم بعض الأرقام.. فقبل عام ١٩٦٧ قبل النكسة كانت متوسطات المشاريع التدريبية داخل القوات المسلحة ٨٠ مشروعاً فى العام، ما بعد النكسة ومن سنة ١٩٦٩ وحتى سنة ١٩٧٣ وعندما بدأت القوات المسلحة تقف على قدميها كان العدد ٤٠٠ مشروع فى العام وقبل عام ١٩٦٧، كان أعلى مستوى كتيبة ٤٠٠ مشروع فى العام، لواء بالرماية وفرقة بدون رماية، أما فى هذا العام ١٩٨٣/ ١٩٨٤ - فجرى تنفيذ ٣٨٣ مشروعا فيها فرقة بالرماية، وانتهينا بمشروع على مستوى القوات المسلحة بين فرقتين متضادتين، وهذا لم يحدث فى تاريخ القوات المسلحة.. وهذا يوحى بأن العدد للمشروعات التدريبية يمثل تقريباً ما كان لإعداد القوات لحرب أكتوبر، وهذا يطمئن كل إنسان وكل مصرى مخلص لبلده على القوات المسلحة التى مازالت تعمل بروح أكتوبر، وأنا أقول إن الشىء المهم جدا أننا طورنا التعليم فى القوات المسلحة، ولايوجد قائد لم يحصل على أركان حرب أو ليس حاصلاً علي كلية

الحرب أو دراسات عليا فى تخصصه.. كذلك لابد من حضوره المشاريع وهناك أسلوب معين فى الترقى فلابد أن يكون القائد قد تدرج فى القيادة، وأن يكون عنده خبرة معينة وحضر عدداً معيناً من المشروعات، وبدأت الأمور تسير على أساس علمى سليم وحتى حرب أكتوبر كان لدينا الكثير من النقص وكان لدينا نقاط سلبية وضعف.

مازلنا مع الحديث عن جهاز الخدمة الوطنية.. ومن حديث له مع مجلة المصور فى يونيو ١٩٨٢، وعن فلسفة إنشاء جهاز للخدمة الوطنية داخل القوات المسلحة.. أوضح المشير أبوغزالة أن جهاز الخدمة الوطنية يوجد به فرعان رئيسيان أساسيان، مجموعة تسمى مجموعة المشروعات الغذائية والحيوانية، ومجموعة تعمل فى مشروعات الهندسة، المشروعات الغذائية والحيوانية تضم مزارع للبيض والدجاج وتربية الماشية والألبان، والهدف الرئيسى منها توفير الغذاء لأفراد القوات المسلحة لمستلزمات إعاشتها يعنى تخفيف العبء عن المجتمع، فضلاً على اقتصاد النفقات، وأشار إلى أن هذه المشروعات قد نجحت تماماً - فى هذه الفترة - فى إحداث اكتفاء ذاتى من البيض واللحوم، ووعد بأنه سيكون لدى القوات المسلحة اكتفاء ذاتى لباقى مستلزمات الطعام لاحقاً"..

وبالفعل هذا ما حدث، وبالنظر لما وصلت إليه القوات المسلحة الآن، وفى عهد المشير محمد حسين طنطاوى نرى مدى نجاح هذا المشروع وتغطيته لكل القوات المسلحة، وخدمته خارج القوات المسلحة أيضاً، ومساهمته فى توفير كثير من السلع الاستهلاكية بأسعار فى متناول الجميع وتقل كثيراً عن السوق المحلى وبجودة تفوقه.. ليس ذلك فقط، بل نجد مساهمته فى الكوارث والأزمات المحلية والعربية والإسلامية والعالمية والمعونات التى ترسل إلى كثير من الدول فى أزماتها المختلفة من زلازل وبراكين وحروب وأعاصير ومجاعة وغيرها، ومن هذه الدول السودان وأفغانستان وأثيوبيا وجزر القمر ولبنان وحتى أمريكا فى إعصارها السابق.. وغيرها من الدول.

نعود مرة أخرى لحديث المشير أبوغزالة عن الشق الآخر فى جهاز الخدمة الوطنية ويقول: أما فيما يتعلق بالمشروعات الهندسية فإنه لدينا فى القوات المسلحة طاقات هندسية، وهى غالباً ما تكون خاملة فى وقت السلم، إلا من

بعض الأنشطة المحدودة، فلدينا كتائب إنشاءات هندسية عملها إنشاء تجهيزات الحرب كالدشم والتحصينات وغيرهما، لدينا كتائب لإنشاء الطرق هى التى أنشأت كل الطرق فى مشروع الصالحية، لدينا أفواج الإشارة مهمتها أن تقوم بمدِّ الكابلات للقوات المسلحة.. فماذا يمنع أن يعمل هؤلاء كل فى مجاله وقت السلم.. سوف يوفر ذلك طاقات هائلة لمصر وفى الوقت نفسه فإن ما يفعلونه يمثل تدريباً عملياً لهم، ومرة أخرى أقول إننا لا نبتدع شيئاً جديداً.. الأمريكيون لديهم لواء مهندسين فى كل ولاية أمريكية مهمته المساعدة والنجدة فى النكبات وتنفيذ المشروعات التى لا يجد القطاع الخاص أنها سوف تدر عليه عائداً مجزياً..

والشىء نفسه نقوله هنا وهو ما آلت إليه القوات المسلحة الآن، وما تقوم به من مشروعات وإنجازات عملاقة ومساهمة فى الكوارث أيضاً والنكبات الداخلية والخارجية.. وكأن القوات المسلحة بمنظومتها الكبيرة تسعى لتأمين أمن البلد داخلياً وخارجياً وتساهم فى كل ما تقدر عليه من أجل خدمه الوطن وأبنائه.. سلسلة من العطاء والفداء يتناقلها القادة وتتوارثها الأجيال وهذه إحدى ميزات القوات المسلحة الكثيرة..

نعود مرة أخرى للأمن الغذائى وفى حديث صحفى خلال فترة توليه وزارة الدفاع.. نجده يشير إلى أن الرئيس السادات طلب من القوات المسلحة الاشتراك فى مشروعات الأمن الغذائى، لذلك تم وضع خطة متكاملة تتم على مرحلتين..

المرحلة الأولى: مرحلة الاكتفاء الذاتى للقوات المسلحة من اللحوم والدواجن والبيض والألبان.. **المرحلة الثانية:** يصل فيها إلى مرحلة توفير الإنتاج بما يفيض عن احتياجات القوات المسلحة، فقد تم إنشاء ١١ ألف وحدة إنتاج لحوم طاقتها ٣٣ ألف رأس سنوياً بالوجه البحرى والقبلى.. ويجرى إنشاء خمس وحدات أخرى.. أشار المشير أبوغزالة أيضا إلى أن القوات المسلحة تسهم فى الخدمة المدنية فهى تشارك فى تطوير وتحديث السنترالات.. وقد كلفت بإصلاح ٩٥ ألف خط تليفونى فى القاهرة والجيزة بأسعار تقل ٤٠٪ عن المناقصات العالمية..

إن هذه الحقيقة هى التى دفعت الوزير محمد عبدالحليم أبوغزالة أن

يحقق حركة الاكتفاء للضباط الشبان ليملك الضابط سيارته وشقته وكرامته فى آن واحد.. وهو ما تحدثنا عنه سابقاً.

فى حديث آخر يقول المشير أبوغزالة.. «لقد أقمنا قطاعاً للأمن الغذائى بعيداً كل البعد عن التشكيلات والوحدات، وهو فى واقع الأمر مؤسسة متكاملة، وتتيح إنشاء مزرعة بأساليب الميكنة الزراعية يعمل فيها ١٠٠ عسكرى.. هؤلاء لا يشكلون عبئاً على تدريبات القوات المسلحة، ونحن نحمل المشروع تكلفته تماماً من البداية للنهاية - فليس هناك أى تحميل على ميزانية وزارة الدفاع، فنحن نعتبرها وحدة اقتصادية متكاملة تصرف على نفسها والناتج تشترى به القوات المسلحة ما تشتريه من السوق، ونحن نتمنى أن نكون قادرين على الخروج من قطاع الاستهلاك لنوفر للمقاتلين وأسرهم الأمن الغذائى والاكتفاء للقوات المسلحة.

التسليح.. .. والبحث العلمى

يقول اللواء دكتور حسام خيرت: "بالنسبة للتصنيع الحربى أنشأنا مصانع حربية والكل يعلم ذلك فى فترة توليه قيادة القوات المسلحة، وهى مصانع لم تنشأ من قبل ويصعب إنشاؤها بعد ذلك بعد أن علم الغرب بحصول مصر عليها ولوجود حظر دولى على جميع الدول فى هذه المجالات، فرصتنا كانت جيدة فى الحصول على التسهيلات التى تمت والتمويل الذى توفر وحققنا من خلاله، قاعدة صناعية عسكرية لا يمكن استيرادها من الخارج ولا يمكن منحها سواء كانت من الروس أو الأمريكان، والحقيقة أن جميع الرؤساء ووزراء الدفاع المصريين تابعوا موضوع التسليح، وكانوا يريدون أن يساعدوا فى تطوير الأسلحة.. وكثيراً ما كنت أذهب للرئيس الراحل السادات والمشير أحمد إسماعيل والمشير أحمد بدوى والمشير أبوغزالة، والذى اعتبر آخر وزير عملت معه قبل إحالتى للتقاعد، أتذكر أننى كثيراً ما كنت أشترك فى لجنة التسليح الخاصة بالمعونة الأمريكية، وأذكر ذات مرة أننى طلبت أنواعا معينة من الأسلحة كنت أرى أنها مناسبة وتحقق توازنا بيننا وبين إسرائيل ورفض البنتاجون الموجود فى اللجنة الأمريكية، حجته كانت أنه يرى مصر دولة مسالمة، ولا يهددها أحد وإن حدث فإن أى تهديد محتمل سيكون من السودان أو ليبيا، أما إسرائيل فكان يرى أن أعداءها كثيرون سواء فى سوريا أو إيران

أو العراق وخلافه، بالإضافة لوجود معاهدة سلام بيننا وبين إسرائيل.. منذ هذا الموقف وتلك اللحظة طلب منا المشير أبوغزالة الاعتماد على أنفسنا وتطوير أسلحتنا بأنفسنا لأنهم لن يعطوا السلاح الذى يحقق اتزانا وبشكل عادل، وطبعاً كما هو معروف فإن العدو المنتظر لنا وللعرب دائماً هو العدو الإسرائيلى.. وبما أن أمريكا هى المورد الرئيسى لنا فإنه لا حل إلا بالاعتماد على أنفسنا، وقد كان ولايزال يتحقق حتى الآن.

المشير أبوغزالة كان يشجع البحث العلمى والإنجازات، وأذكر أن أى فرد كان يحقق إنجازا أو تطويرا يرصد له مكافأة.. موقف حدث معى.. "فى يوم ما أنجزنا بعض التطوير الكبير وبتوفير هائل وكانت سلطة المشير أبوغزالة لا تتجاوز مبلغا معينا، فطلب منى عمل مذكرة بالإنجازات التى حققناها للعرض على الرئيس مبارك القائد الأعلى للقوات المسلحة، لأن سلطته تعطى مكافاة أكبر وتقديرا أقوى.. وبالفعل تم عمل المذكرة وقام بعرضها على سيادة الرئيس مبارك، وحصلنا على مكافاة مادية ومعنوية وكنا أول ضباط نحصل على مكافأة مادية بشهادة تقدير من رئيس الجمهورية، نظراً لما قمنا به من إنجاز، وذلك أيضاً بإيعاز من المشير أبوغزالة الذى كان يؤكد على أن يأخذ كل فرد اشترك معى حقه طبقاً للدور الذى قام به..

من أرشيف المشير أبوغزالة الصحفى تأكد هذا الكلام وشاهدنا أنه كان يرى أن الضباط يجب أن يكونوا على درجة عالية من الحرفية، ففى القوات المسلحة يجب أن يكون الضابط بها على درجة علمية ليس فى المواد العسكرية فقط بل فى المواد الفنية بالكمبيوتر وأجهزة التوجيه بالليزر، فيجب أن يقدر على استخدامها وإصلاحها، إذا لزم الأمر، خاصة أثناء القتال لأنها إذا تعطلت فى الطريق لن ينتظر حتى يأتى مهندس يصلحها، ولكن الضابط وصف ضابط معه يصبحن قادرين على الإصلاح.. فلذلك يجب أن يرقى مستوى تعليم الضابط إلى مستوى قريب من المهندس، بمعنى أن أعطيه جودة علمية وهندسية تتناسب مع المُعدَّة التى يعمل عليها، ولو لم نطبق هذا ستفعل بنا إسرائيل ما تريده، لأنها دولة متطرفة، ولها أهداف توسعية رضينا أم لم نرض حتى مع وجود سلام، فيجب أن نستوعب الدرس من الحروب السابقة..

وكـان يقـول: إننـا عندمــا أتقنـا السـلاح فـى حـرب ٧٣ وأتقنا اسـتـخـدام الصـواريـخ الموجـهـة ضـد الطائـرات والدبابات والسـفن وهـى تسـمـى بالأسلحـة الذكيـة نجحنا.. وقبلها عندما لم نكن نتقن ولم تكن القـاعدة العلمية للضباط وصف الضبـاط مرتفعة فشلنا، إذن لابد من التطوير لمؤسسة القوات المسلحة التى أعتبرها معهداً عالياً للتعليم المحترم العسكرى والفنى والمهنى"..

يقول الفريق صفى أبوشناف.:" التسليح كان من أهم أولوياته أول مرة يتم التنوع فى شـراء الأسلحـة، كانت الدولة والرئيسـان السـادات وحسنى مبـارك يوافقانه على ذلك، خاصة أننا كنا فى مرحلة بناء ولم نكن نريد أن نقع تحت وطأة دولة بعينها.. فالتنوع والاستفادة بأكثر من نوع والتعامل مع أكثر من دولة كان بالطبع له مميزاته وفائدته، كان له طفرة كبيرة فى التسليح شملت كل أسلحـة القـوات المسلحة من دفاع جوى وقـوات جوية وبحرية ومـدفعـية وغيرها"..

وعن تنوع مصادر التسليح للجيش المصرى بعد حرب أكتوبر، وهل سـاعد ذلك على خلق عقيدة قتالية قوية رغم تنوع مصادر السـلاح.. وفى حديث مع فاطمة دياب لجريدة الوطن نشر فى أكتوبر ١٩٨٨ أجاب قائلاً: إن العقيدة العسكرية والسياسات والاستراتيجيات هى مجموعة من المبادئ الرئيسية التى وضعتها القوات المسلحة فى بلد ما لنفسها لترشدها فى أدائها، بما يحقق الأهداف القومية لها.. فما الضرر إذن فى تنويع مصادر السلاح إذا ما كان يخرجنا من دائرة سيطرة مصدر واحد علينا ولا يجعلنا نخضع باستمرار لطرف معين أمدنا بالسلاح..

بعـد مـذكـرة تفـاهم بين مـصـر وأمـريكا فى مـجـال التـسليح، قـال المشـيـر أبوغـزالة فى أحـد اللقـاءات الصحفيـة: "فى القوات المسلحـة المصرية يوجد عدد غير قليل من العلماء العسكريين الممتازين جداً، ولكن ينقصهم التدريب والعمل فى أبحاث ضخمـة مثل التى سيعملون فيها مع علماء أمريكا.. واشتراكهم فى هذه البحوث مع العلماء الأمريكيين سيؤدى بالتأكيد إلى وجود فرق عمل من علماء مصريين متخصصين فى إنتاج سلاح متكامل وهذا فى حد ذاته هدف كبير.

بالإضافة لذلك وصلت مصر إلى مستوى يشهد له الكثيرون فى الصناعات

الحربية، العالم كله يعرف أن فى مصر اليوم أساساً قوياً لصناعة حربية قوية، وأنواعاً عديدة من الأسلحة والذخيرة وقبول أمريكا "مذكرة التفاهم"والتى من بين بنودها التعاون فى مجال الأبحاث والإنتاج الحربى يجب أن نأخذه بمفهوم أن هذه شهادة كبيرة لعلمائنا ولمستوى صناعتنا، لأنه لا يمكن بدونها وصولنا للهدف، ولولا هذا المستوى ما كان يسمح لنا بتحقيق مثل هذا الامتياز الذى حصلنا عليه من أمريكا.. واعتقد أنه امتياز، لأنه يحقق لعلمائنا احتكاكاً على أعلى مستوى فى أبحاث بالغة التكلفة لا أستطيع توفيرها، ولأنه أيضاً يسمح لى ببيع بعض منتجاتى الحربية المصرية إلى أمريكا كما تشير إلى ذلك مذكرة التفاهم.. وواصل حديثه قائلاً:" القوات المسلحة بدون تطوير لأسلحتها ومعداتها تتخلف عن أداء واجبها فى حماية الوطن والمواطن والمشكلة الكبيرة التى نعيشها فى أن التطور فى مجال التسليح أصبح سريعاً ومذهلاً ومكلفاً.. الطائرة التى دخلناها فى حرب ٧٣ تعتبر اليوم متخلفة جداً بالنسبة للتطور الذى حدث فى طائرات اليوم من حيث السرعة والتسليح والأداء.وحتى تكون القوات المسلحة قادرة على تحقيق أهدافها القومية لا يمكن أن تبقى متخلفة، بل من الضرورى أن تساير التطور وتتعامل فى مختلف المجالات مع الأسلحة المتطورة.. (حديث بعد أكتوبر بـ ١٥ عاما).

فى يوم ٤ نوفمبر لعام ١٩٨٢، وكما ذكرت الصحف فى هذا التوقيت قائلة " شهد الرئيس حسنى مبارك نجاحاً جديداً حققته الإرادة المصرية وذلك عندما حلقت فى الجو أولى طائرات "الفاجيت" التى تم تجميعها وتصنيع أجزاء منها بأيد مصرية، وأعرب الرئيس مبارك عن سعادته لهذا الحدث قائلاً: لقد كنت أتمنى منذ وقت طويل أن يبدأ هذا المصنع فى العمل لأنه أنشئ بعد ثورة يوليو، ولكنه لم يصل إلى مرحلة إنتاج طائرات التدريب، أما اليوم فقد بدأ المصنع فى عملية التصنيع الجزئى والتجميع لطائرة نفاثة متقدمة، وسوف يؤدى هذا العمل إلى صناعات كثيرة جداً مكملة داخل بلدنا.. ثم طالب الرئيس مبارك بضرورة تصنيع جميع أنواع السيارات الحربية داخل مصر[1]..

---

(١) جريدة الأهرام ١٨ أبريل ١٩٨٩.. وعدد من الجرائد .

نعود للفريق صفى وموضوعات أخرى يقول فيها: " أبوغزالة أول من فكر فى أرض العوينات "شرق العوينات"وكانت فكرته أن الأمن المركزى يجند بالآلاف وفى هذه الفترة كان العدد يقدر بأكثر من ٣٥٠ ألف مجند، فاتفق مع وزير الداخلية فى ذلك الوقت (زكى بدر) أن نصف هذه القوة تقضى الخدمة العسكرية هناك وفى الوقت نفسه تقوم بالزراعة والتعمير والعمل والعيش هناك.. ولكن للأسف لم تنفذ الفكرة ولم تستوعب الفكرة فى ذلك الوقت.. عمل أيضاً على تطوير الخدمة العلاجية، المستشفيات طورها بشكل كبير.. من أطقم العاملين "أطباء وأطقم التمريض "اختيروا بعناية فائقة، وكذلك قام بتطوير الأجهزة وأدخل أحدثها وأسهم فى إنشاء المزيد من المستشفيات العسكرية وتطويرها.. من إنسانية أبوغزالة أنه كان يمر بنفسه على كل الوحدات والتشكيلات ويستمع للشكاوى ولم يتأخر عن أى مطلب ويسعى لتنفيذه ولو علم أن صف ضابط أو شرف تزوج أو أقام فرحا فى أى ناد بالقوات المسلحة، فإنه يقود سيارته بنفسه ويذهب للتهنئة دون أن يعلم أحد ويجامله.. استراحته ومكتبه كانا فى غاية البساطة لم يحب الترف والتعالى فى أى شىء.. وكان الشىء الغالب عليه هو عشقه للقراءة والكتب، كانت لديه مكتبة وسرير سفارى فى مكتبه حتى يقرأ ويستريح قليلاً لو غلبه النعاس.

حياته كانت بسيطة ولم يتملكه الغرور أو التكبر لحظة.. كل فكرة أو إنجاز جيد يريد أن يقدمه للقوات المسلحة.

وعن مساهمة القوات المسلحة فى مشروعات الدولة..

فى حديث له مع زينب الصيرفى، نشر بجريدة الأهرام فى أكتوبر ١٩٨١، كتبت فيه: إن القوات المسلحة، وعلى رأسها المشير أبوغزالة، قامت بالمشاركة فى عمل آلاف الخطوط التليفونية فى العديد من المحافظات.

بالإضافة إلى شبكة المايكرويف والأجهزة متعددة القنوات التى تقام فى الأماكن التى يصعب مد كابلات فيها، والاتصال بين البحر الأحمر والعريش، وبين القاهرة يتم بهذا النظام، وأسهمت القوات المسلحة فى إنشاء العديد من الطرق والكبارى والتى قامت بتنفيذها من ميزانيتها دون أن تتحمل الدولة أى أعباء مالية.. نترك الإنجازات ونتكلم عن ذكريات من خدموا معه فى هذه الفترة..

وعن علاقته بالقادة أثناء خدمته كوزير، يقول اللواء محسن حمدى: "بعد أن توفى الفريق أحمد بدوى، وتولى الفريق أبوغزالة منصب وزير الدفاع، تدعمت صلتى به أكثر وكذلك علاقاتى معه التى بدأت منذ أن كان ملحقاً للدفاع بواشنطن، المشير أبوغزالة شخصية محترمة واثقة من نفسها.. ويثق فى زملائه وأصدقائه ومن يتعامل معهم يمنحهم الثقة.. فمثلاً كنت أذهب إليه فيقابلنى فوراً مهما يكن مكتبه مزدحما، وبمجرد دخولى إليه كان يقول لى - بلا مبالغة - تصدَّق.. تصدَّق يا محسن.. موافق على ما تريد.. من غير أن يسمعنى وهذا لم يأت من فراغ، بل من عشرة وخبرة وثقة وتعاملات سابقة ولأنه أيضاً يعلم أننى كنت أعرض تقاريرى من قبل على مدير المخابرات ورئيس الأركان.. ولم يوجد سوابق أو تصرف فعلته وكان خاطئاً من قبل.. وكان أيضاً يعلم أننى أحقق شيئا إيجابياً ونتائج ملموسة مع الإسرائيليين، وذلك يراه من تقاريرى وما أحققه من نتائج مع الإسرائيليين.. أنا كنت أمثل وفد مصر وأسعى لعمل احترام وهيبة لها، ولدىّ إطار محدد لا أتعداه، وأعرف متى أستأنف ومتى أقوم وأنسحب.

باختصار كان يخلق الثقة فينا، ويؤكد لنا أنه يثق فيما نفعله ويشجع ويساند.. وكانت معاملته تجعل الفرد يتشجع ويعمل أكثر.. لم يكن أيضاً يتردد فى قراراته وصاحب قرار وشجاع..

على الرغم من أنه لم يسع لإيذاء أحد أو عقابه، فإن القوات المسلحة كانت منضبطة وحازمة وصارمة أثناء فتره توليه قيادتها.. حب الناس له كان يجعلهم ملتزمين ولم يوجد خطأ أوتبجح".. ونفس ما قاله اللواء محسن ذكره كل من خدموا معه وسجلت معهم شهاداتهم.

قبل أن نترك هذه الفترة، نشير لبعض إجاباته عن أسئلة حيوية ومهمة، فمثلاً سُئل عن رأيه بشأن ماذا يكون موقف مصر إذا اعتدت إسرائيل على أى دولة عربية؟

وكان جوابه قائلا:"موقفنا السياسى معروف، إننا لا نشجع العدوان وننادى بأن تعيش كل دولة فى سلام وآمنة فى حدودها، وإن أى اعتداء لابد أن تشجبه جميع القوى، ولذلك لا يمكن أن نقبل بشكل أو آخر أن تعتدى أى دولة على أخرى فى المنطقة لأننا ننادى ونريد السلام"..

وعن الوضع إذا حدث عدوان هل سيكون لمصر تدخل عسكرى مباشر؟

أجاب قائلا: «من ناحية التدخلات العسكرية فهذه سياسات عليا، واستراتيجية تمليها علينا مصالح مصر أساساً، ولا يمكن أن نتنبأ بما سيحدث، وإذا حدث فسيكون هناك رد فعل مباشر فى وقتها ولا يمكن أن نضع دائماً كلمة (لو) حتى لا نخلق جواً من التوتر قد يؤدى فعلاً إلى حدوث العدوان، ونحن نقول دائماً لا عدوان ولابد أن تكون كل دولة فى أمان، ولديها الأمن ونحن نسعى لحل القضية الفلسطينية، لأنها فى رأيى إذا حُلَّت فستحل كل مشاكل الشرق الأوسط».. ونترك كلماته وننتقل لآخر منصب رسمى يتولاه وهو منصب سياسى مهم، وقام به أيضاً بأدوار لا تقل أهمية عما قدمه سابقاً.. ويكون منصب مساعد السيد رئيس الجمهورية.. ونقلاً عما نشرته الصحف فى هذه الفترة تكون بداية الكلمات..

منصب مساعد رئيس الجمهورية

أثار قرار تعيين المشير أبوغزالة مساعداً لرئيس الجمهورية أصداء واسعة لدى المحللين السياسيين فى الخارج والداخل، وحملت وكالات الأنباء برقيات مطولة تحمل محاولات واجتهادات لتفسير أسباب هذا القرار، فالرجل لم يكن وزيراً عادياً فى الحكومة، وإنما كان وزير الدفاع، ونائب رئيس الوزراء المعروف عنه قربه الشخصى من الرئيس مبارك، الذى جمعت بينهما رفقة السلاح فى ثلاث حروب متتالية مع إسرائيل، وهو أيضاً الرجل المشهود له بالإخلاص الوطنى والكفاءة العالية والسجل الوطنى الحافل بجهده الذى ستتذكره الأجيال فى تحديث القوات المسلحة تكنولوجياً وتطوير أدائها ورفع كفاءتها.. لذلك نال خبر تعيينه مساعداً لرئيس الجمهورية اهتماماً بالغاً من الرأى العام فى مصر وفى خارج مصر.. وفى حقيقة الأمر فإن انتقال أبوغزالة من موقع وزير الدفاع إلى موقع مساعد رئيس الجمهورية لا يعدو أن يكون انتقالاً لأداء دور آخر فى العمل الوطنى تتطلبه هذه المرحلة لأن المطلوب دائماً - وفى مصر بالذات - هو إثراء المناصب المهمة بدماء جديدة باستمرار ومنصب وزير الدفاع فى مصر له أعباؤه الجسام، وقد شغله أبوغزالة لأكثر من ٨ سنوات متواصلة، شهدت تنفيذ مهام جسيمة وأعباء ثقال، ولكل مسئول طاقة للاحتمال لا يستطيع تجاوزها مهما تصدق نيته فى البذل والعطاء، ومهما يبلغ إخلاصه الوطنى ورغبته فى

خدمة بلاده.. واختيار الرئيس مبارك لأبوغزالة مساعداً له حلقة جديدة فى سلسلة المهام التى رشحه واختاره لها منذ زمن طويل، فالرئيس مبارك هو الذى رشحه للرئيس السادات ليشغل منصب رئيس الأركان ثم منصب وزير الدفاع، وهو الذى اختاره بعد أن تولى رئاسة الجمهورية نائباً لرئيس الوزراء ثم أخيراً مساعداً لرئيس الجمهورية وهو أول اختيار من جانب الرئيس مبارك لشغل هذا المنصب.

يقول الراحل جمال كمال، كبير المحررين العسكريين: "الرئيس مبارك أثناء تولى المشير أبو غزالة هذا المنصب منحه مجموعة من الوزارات كجزء من اختصاصه ومنحه مهمة تعمير سيناء وشارك فيها بكل عطاء وإخلاص.. ومنحه جزءا آخر وهو التنسيق بين وزارات الخدمات.

أكبر دورين قام بهما أثناء توليه هذا المنصب.. الدور الأول .. خلال الغزو العراقى للكويت.. وذلك عندما استضافت مصر القمة العربية الطارئة لمواجهة الغزو العراقى وكان ضمن الوفد المصرى.. ووظيفته كانت القيام بالشرح الاستراتيجى للموقف.. وتوقع ما يفكر فيه الرئيس صدام حسين والمخاطر الأمريكية المحتملة، وأدلى فى هذه الفترة بكثير من الأحاديث التلفزيونية والصحفية..

الدور الثانى: مساهمته فى إسقاط الديون العسكرية عن مصر وكانت نحو سبعة مليارات دولار.. وكان ذلك بتكليف من الرئيس مبارك له شخصياً، وقام المشير أبوغزالة بتشكيل فريق على أعلى مستوى ودرس جيداً كل شىء، واستغل علاقاته بأعضاء الكونجرس ومساعديهم ومكث معهم نحو اثنى عشر يوماً حتى نجح فى مهمته"..

قيل أيضاً بالصحف القومية أنه أثناء توليه منصبه كمساعد رئيس الجمهورية وبعد حرب تحرير الكويت ١٩٩١ وبتكليف من الرئيس مبارك، ذهب إلى واشنطن لإجراء مباحثات مع كبار المسئولين وأعضاء الكونجرس لإسقاط الديون العسكرية الأمريكية عن مصر. وبالفعل سقطت الديون العسكرية وكان هذا سبباً فى إسقاط كثير منها، بجانب كثير من الدبلوماسيين المصريين ودورهم الكبير..

وبدا مألوفاً فى هذا المنصب، أن يستقبل رؤساء وسفراء أجانب ويدير

جانباً من السياسة المصرية فى أهم الملفات الإقليمية وقتها، ويصرح لوسائل الإعلام بآرائه حول الموقف من مختلف القضايا العسكرية وغير العسكرية، ويسافر إلى الخارج لعقد مباحثات ومفاوضات مع دول العالم باسم مصر.. ويستمر فى منصبه يعمل بكل ضمير وإخلاص إلى أن بدأ يشعر بالتعب والإرهاق، وآثر أن يقدم استقالته ويتفرغ لكتاباته وترجمته.. وقدمها فى ١٩٩٣ وفضل أن ينعزل عن الحياة العامة ويعيش فى صمت بعد أن أدى مهمته وأرضى ربه وضميره..

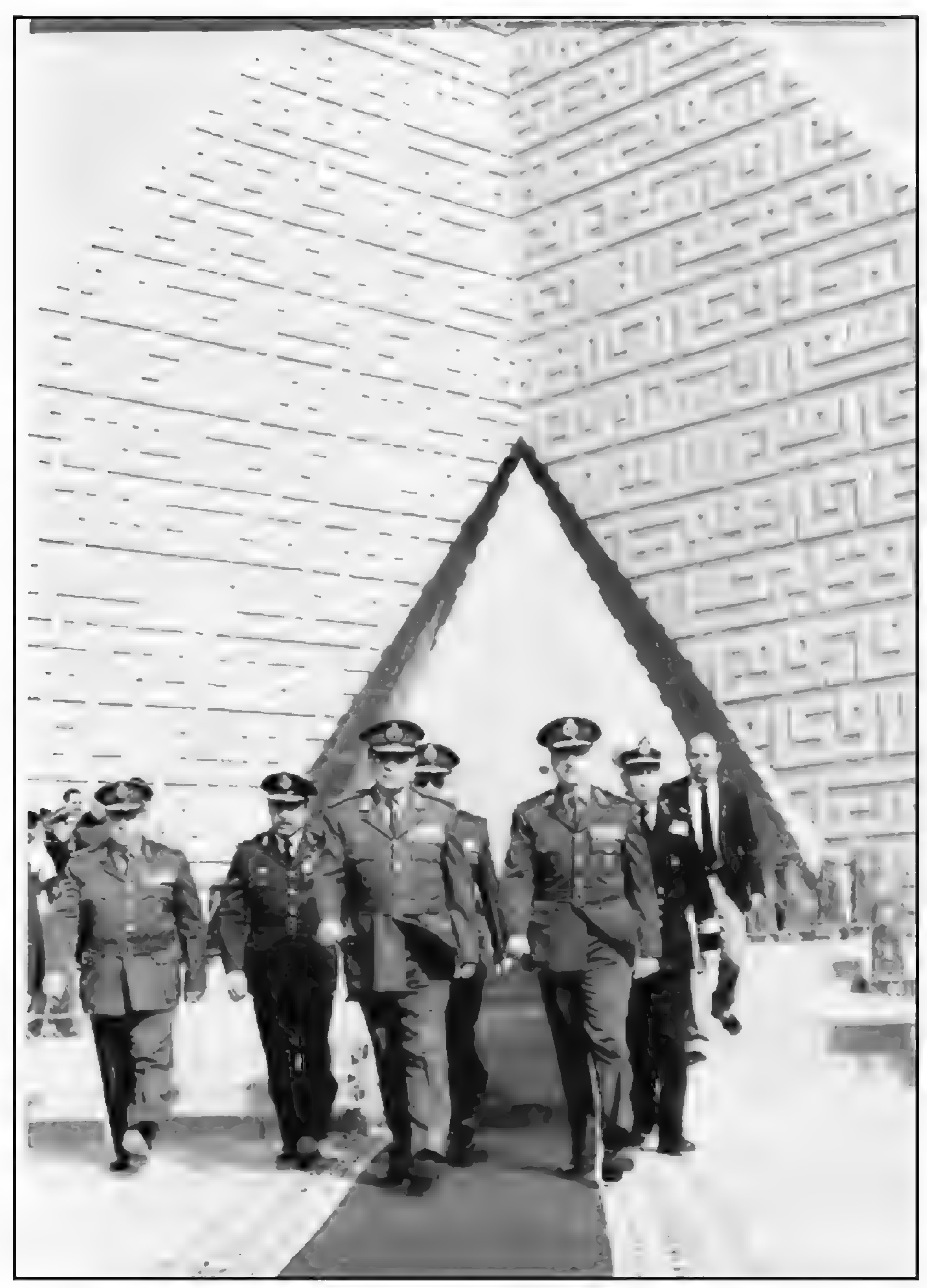
وفى نهاية الحديث عن هذه الفترة، فإن الشىء المؤكد أن المشروعات المختلفة والخدمات المتنوعة التى قدمها المشير أبوغزالة للعسكريين والمدنيين على حد سواء زادت من رصيده وشعبيته، بالإضافة إلى جاذبيته الشخصية وحضوره الطاغى، إلى جانب دهائه السياسى وعلاقته الأبوية التى أقامها فى مواقع مختلفة من الحياة المدنية والعسكرية.. ونتجه لحديث آخر عنه..



الرئيس الراحل أنور السادات يسلم على الفريق أول أبو غزالة لحظة توليه قيادة القوات المسلحة وتعيينه وزيراً للدفاع .. وفى حضور كبار رجال الدولة



الرئيس محمد أنور السادات يتوسط وزير الدفاع المشير أبو غزالة ورئيس الأركان الفريق عبد رب النبى حافظ



المشير أبو غزالة والفريق صفى أبو شناف وكبار قادة القوات المسلحة فى النصب التذكارى خلال احتفالات أكتوبر المجيد



المشير أبو غزالة يتوسط الفريق صفى أبو شناف واللواء حسنى سليمان خلال احتفالات القوات المسلحة



أبو غزالة شخصية دائما مبتسمة .. محبة للآخرين .. وهذا سر حب الآخرين له



دائما ما كانت اجتماعاته برجال القوات المسلحة تغطى كل الموضوعات التى تهمهم



حوار باسم مع وزير الدفاع ورئيس أركانه واثنين من مساعديه .. وكبار قادة القوات المسلحة



أثناء تفقده لأحد المشروعات بالقوات المسلحة



المشير أبو غزالة ينظر باهتمام إلى نماذج من الأبحاث التى قامت بها الكلية الفنية العسكرية .. يبدو فى الصورة اللواء محمد طلبة وبعض قادة القوات المسلحة



المشير أبو غزالة .. ووزير التخطيط د. الجنزورى وقائد الجيش الثانى اللواء عبد المنعم سعيد
وعدد من كبار القادة والمسئولين بالدولة .. خلال أحدى مباريات كرة القدم التى كان يعشقها



وزير الدفاع المشير أبو غزالة وقائد الجيش الثانى الميدانى اللواء عبد المنعم سعيد
خلال أحد المشاريع التكتيكية بالجيش الثانى



وزير الدفاع ورئيس أركانه يتابعان بتمعن أحد تدريبات القوات المسلحة للتأكد من كفاءة وحسن الاستعداد القتالى



المشير أبو غزالة واللواء أحمد صلاح .. وكبار قادة القوات المسلحة .. وفى أقصى اليمين اللواء عثمان الخواص خلال افتتاح تجديد مستشفى الحلمية العسكرى للعظام

الفصل التاسع



أحداث وقعت أثناء خدمته

أحداث محلية

- اغتيال الرئيس السادات
- أحداث الأمن المركزى
- تنفيذ معاهدة كامب ديفيد
- استرداد طابا والاحتفال بعودتها

أحداث عربية

- حرب الخليج الأولى.. إيران مع العراق
- انقلابات فى السودان
- حرب الخليج الثانية.. تحرير الكويت

يقول الدكتور بطرس غالى فى كتابه «طريق مصر إلى القدس»:

"بعد علمى بحادث اغتيال السادات، وعودتى للقاهرة توجهت مباشرة لوزارة الخارجية، وقابلت الوزير كمال حسن على وتعانقنا فى صمت ثم قال: " إنها خسارة لا تعوض.. لقد كانت مؤامرة عظيمة الخطر علينا".

وكان سؤالى الأول له مباشرة :" هل تسلل الأصوليون إلى صفوف الجيش؟"

ورد كمال حسن قائلاً :"إن الجيش لن يلوثه أبداً الأصوليون والشيوعيون.. إن الجيش شديد الولاء لوطنه فى المحل الأول".

أحداث كثيرة مرت بها مصر والعالم العربى والغربى خلال فترة قيادته للقوات المسلحة.. أمور كثيرة احتاجت إلى تدخل مباشر منه ومن القوات المسلحة.. وثبتت كفاءة إدارته لكل الأزمات التى تدخل فيها ومن معه وذلك بفضل الله والقيادة الرشيدة الحكيمة والتناغم الموجود بينه وبين الرئيس مبارك وبينه وبين باقى الرجال.

.. إنها فترة عصيبة.. فترة أزمات وتحولات.. بناء وتعمير.. اقتصاد ورأس مال.. فترة سلام.. وسكينة.. استرداد آخر بقعة من أرض مصرنا الحبيبة ومن أنياب العدو الغاشم.. أحداث كثيرة طفت على الساحة.. اخترت هذه الأحداث للاستشهاد بها لا أكثر.. فلا نستطيع أن نذكر شخصية المشير أبوغزالة دون التطرق إليها.. ونبدؤها بالحادث الأليم.. حادث اغتيال الرئيس محمد أنور السادات فى السادس من أكتوبر.

اغتيال الرئيس محمد أنور السادات

حينما ننظر إلى جريمة اغتيال الرئيس السادات، فسنجد أن ما حدث كان جزءاً من مخطط رهيب واسع، تتداخل فيه تنظيمات إرهابية مع هذه المجموعات التى تم تجنيدها، ومنها الملازم خالد الإسلامبولى لتنفيذ عملية الهجوم الخاطف على منصة العرض العسكرى، وبعدها الاستيلاء على الإذاعة والتليفزيون وسنترالات التليفونات وإذاعة بيانات المتآمرين وإعلان ثورة دموية، وبدون دخول فى تفاصيل يتضح عدد من الحقائق الخاصة بالقوات المسلحة وهى:

● إنه لم يوجد تنظيم عسكرى سرى لهؤلاء المتآمرين داخل القوات المسلحة المصرية، وقد تأكدت القيادة العامة من نظافة جميع الوحدات من مثل هذا التنظيم أو غيره، والقاعدة العريضة الأساسية للقوات المسلحة سليمة تماماً وخالية من الشوائب والخوارج عن الدين.

● إن الضابط المتهم خالد الإسلامبولى لم يستطع تجنيد أحد من السرية التى يخدم بها -فى سلاح المدفعية - للاشتراك معه فى العملية، ولذلك استعان بثلاثة من المجندين السابقين الذين تركوا الخدمة ولهم تاريخ سابق فى الانحراف الدينى، وهم من الجناح العسكرى للتنظيم الإرهابى، وهو جناح هزيل وعدده محدود.[١] .

● ماذا فعلت القوات المسلحة والمشير أبوغزالة فور اغتيال الرئيس السادات؟

من أرشيف المشير أبوغزالة الصحفى نتعرف على آخر جملة كانت بينه وبين الرئيس السادات قبل أن تقع مؤامرة الاغتيال والتى يقول فيها:

أثناء عرض الطائرات كانت كل أنظارنا مركزة عليها، ولذلك فالذى أذكره أن أخطر حديث جرى معه كان قبل الحادث بلحظات، وكان يدور حول ما كان يفكر فيه بالنسبة ليوم ٢٥ أبريل.. وكان تفكيره أن يقيم احتفالاً ضخماً جداً بمناسبة استعادة سيناء فى هذا اليوم طبقاً لمعاهدة السلام، وأذكر أنه طلب منى فى هذا اليوم أن أجهز له كشوفاً بأسماء كل الذين يجب أن نكافئهم فى هذه المناسبة..

هذه السعادة سببها فرحته بالعرض العسكرى، ولو تذكرت سنجد أن هذا العرض كان قد جرى فى إطار دراسة راعينا فيها عدم المبالغة، وفى الوقت نفسه عرض النوعيات الجديدة من التسليح ومستوى التدريب الراقى للمعدات الغربية التى انضمت إلى القوات المصرية قبل العرض بأسابيع قليلة جداً مثل الدبابات إم ٦٠ والطائرات الشينوك، والذى لا يعرفه الكثيرون أن آخر مجموعة دبابات تسلمناها وصلت قبل العرض بثلاثة أسابيع فقط، وكانت عمليه إشراكها فى العرض وما يحتاج ذلك من تجهيز أطقم قيادة لها

(١) نوفمبر ١٩٨١ مجلة آخر ساعة/ وعدد من الجرائد التى صدرت فى هذا التوقيت.

يعتبر عملاً خارقاً يستطيع العسكريون من كل العالم أن يعطوه حقه من التقدير[1].

وعن حادث المنصة يقول: بلا شك كان الهدف من العملية هو اغتيال الزعيم السادات والقضاء على القيادة المصرية كلها .. بدليل إطلاق الرصاص من الرشاش الذى كان يحمله الضابط والبنادق الآلية مع الآخرين بطريقة عشوائية، وبدليل آخر القنابل اليدوية الدفاعية التى القيت على المنصة واحدة انفجرت وأصابت شظاياها الجالسين فى الصفوف الأولى، والاثنتان الأخريان لم تنفجرا من لطف الله، وسقطت واحدة منهما أمام الزعيم السادات مباشرة وكان يمكن أن تنسف جميع الجالسين فى الصف الأول، أما الثانية فقد ارتطمت بوجه الفريق عبدرب النبى حافظ رئيس الأركان وأصابته بجرح غائر فى وجنته وسقطت فى حجره، وقد رأيت فيما بعد الرصاصة التى اخترقت الكاب العسكرى بفارق سنتيمتر واحد من رأسى، واكتشفت أن هناك رصاصتين أخريين اخترقتا طرف الجاكيت ناحية الصدر، ومازالت هناك شظية فى الجفن الأسفل بالعين اليسرى، وشظية أخرى فى أذنى، ولكن إرادة الله أقوى من أى تدبير.

ويؤكد أبوغزالة عدم وجود تقصير أو تراخ من جانب الحراسة، ولكن عنصر المفاجأة كان له دخل كبير فى تنفيذ الجريمة، بالإضافة إلى حدوث إطلاق الرصاص لحظة العرض الجوى المبهر لطائرات الميراج.

وعن لحظة الضرب يقول: لا أستطيع أن أتذكر، الرئيس نفسه كان عامل إيه، لأن قبل ذلك كنت أركز تجاه ضرب النار، وكل الذى أتذكره أننى رميت نفسى فوقه وبعدما سكت الضرب قام البعض بجذبه من تحتى وبدأت أنا أقوم وكل ما اتجه إلى تفكيرى هو كيفية السيطرة على القوات المسلحة من موقع مسئوليتى، وكان هناك بعض القادة قد ظهروا أعطيت لكل منهم أمراً أن يعود فوراً إلى مركز قيادته ويبلغنى بكل التفاصيل.

.. وبعد ذلك ركبت مع الفريق محمد على قائد القوات البحرية عربته وكانت خلف المنصة وطلبت منه بسرعة أن نذهب إلى غرفة العمليات بالقيادة

---

(١) صلاح منتصر، مجلة أكتوبر فى أكتوبر ١٩٨٢ .

العامة ولدرجة أنى لم أنتبه أنى كنت لحظتها بدون كاب لأن الكاب كان قد وقع من فوق رأسى، ولما وصلت مبنى القيادة طلبت من الفريق محمد على أن يذهب فوراً إلى الاسكندرية ليسيطر على القوات البحرية[١].

ويعود لحديثه عن لحظة وصوله إلى مبنى القيادة العامة فيقول:

أول شىء أعطيت تعليمات إلى قوات الدفاع الجوى وإلى القوات الجوية أن ترفع استعدادها خوفاً من تكون أن العملية أكبر من عملية اغتيال محدودة أو يكون خلفها قوة أجنبية، ولهذا كان من أهداف تعليماتى تأمين الحدود المصرية شرقاً وغرباً، وفى كل اتجاه وإعطاء أوامرى بإغلاق الأجواء المصرية وأن تكون القوات الجوية مستعدة للتعامل مع أى طائرة أجنبية تقتحم سماءنا.

وعن إصابته يقول: كنت أصبت فعلاً، والطبيب حضر إلى مكتبى هنا وأنا أصدر تعليماتى العديدة إلى القيادات المختلفة وأتلقى منها بالتليفون واللاسلكى إشارات وتقارير عن أوضاعها، وفى خلال كل ذلك خلعت بدلة الاحتفال لكى يتمكن الطبيب من فحص إصاباتى، وارتديت بدلة أخرى ولكن دون أن أتوقف عن اتصالاتى التى كنت أجريها، وربما كان السبب فى ذلك ثقتى أن إصاباتى لم تكن خطيرة والحمد لله فإنها لم تكن كذلك.. فأنا أصبت فى ذراعى وفى أذنى وعندى شظية مازالت تحت عينى وبعض الشظايا الخفيفة.

وعن معرفته بوفاة الرئيس السادات، يقول: إنه لم يعرف بوفاته إلا متأخراً لأن اهتمامه كله كان مركزاً على القوات المسلحة، وأيضاً على تأمين الأماكن الحيوية فى القاهرة، ولهذا كان هناك اتصال مستمر بينى وبين وزير الداخلية لكى أرتب معه إذا كان يريد مساعدة الشرطة العسكرية[٢].

يقول الفريق عبدرب النبى حافظ عن حادث اغتيال الرئيس السادات:

"حادث كان فى غاية السوء والأسف ومن الصعب جداً حدوثه لكنه حدث وهناك استحالة أن يتكرر مرة أخرى ولكنها مشيئة الله والقدر.. الحقيقة أن

---

(١) حديث له بمجلة آخر ساعة فى نوفمبر ١٩٨١
(٢) المصدر السابق.

القوات المسلحة استطاعت بعد هذا الحادث.. أن تستوعب الحدث بسرعة، وكانت أولى مهام الرئيس مبارك بعد توليه مهمته كرئيس للجمهورية عقد لقاء بالقوات المسلحة، وتم اللقاء فى مجمع القوات المسلحة، وتكلم الرئيس عن دورالقوات المسلحة وظروف الحادث إلى آخره وذلك بعد الحادث بأيام قليلة.. الموضوع كله كان فى القضاء العسكرى وكان جهة تحقيق كفء، وانتهى بالأحكام وتنفيذها"..

يقول اللواء منير شاش: "عندما كان أبوغزالة وزيراً للدفاع، كنت أنا مديراً لسلاح المدفعية وعن أهم الأحداث فى هذه الفترة والتى لا نستطيع أن نتحدث عن أبوغزالة دون ذكرها هى قصة اغتيال الرئيس السادات.. وعن هذا اليوم أتذكر أننا كنا فى المنصة والجميع سعداء بالعروض المقدمة من القوات الجوية والألوان التى تزين السماء وأنا عينى على طابور المدفعية.. وفجاة وجدت مدفع ١٣٠ مللى يقف أمام المنصة وبعد صدمتى الفجائية قلت فى نفسى: إيه الحظ السيىء ده.. يعنى مايعطلش إلا هنا أمام المنصة " ثم سرعان ما سار مرة أخرى ثم وجدت الإسلامبولى وكان ضابط مدفعية من عندى يقف أمام المنصة ويوجه رشاشه نحو المنصة، وأخذت أقول فى نفسى يعنى لا تأتى إلا منك ومن عندى؟؟ ولا أستطيع أن أصف مشاعرى المختلطة مهما أقل ومن صدمتى ظللت فى مكانى لحظات مرت على دهرا من الزمن.. كنت فى الصف الرابع وبعد إفاقتى من ذهولى نزلت بسرعة واتجهت ناحية الرئيس السادات وأبوغزالة، ووجدت الرئيس نائما على جنبه يسيل من فمه دم أزرق.. وأبوغزالة واقفاً مذهولاً.. وبسرعة تم نقل الرئيس إلى المستشفى، وتحرك المشير أبو غزالة إلى الوزارة لإدارة الموقف من هناك .. وتحركت أنا بعده بعربتى وأخذت المدفع الذى قام بهذه العملية الغادرة، وجمعت العساكر وسألتهم عما حدث فى القيادة.. وبعد ذلك أخبرت أبوغزالة بكل ما تم بتفاصيل القصة، وهنا أدركنا أن الرئيس السادات قد فارق الحياة فى يوم احتفاله بنصره وبين أبنائه وكانت لحظات أليمة علينا جميعاً..

وبعد ذلك اختير الرئيس حسنى مبارك رئيساً لمصر، بعد أن كان نائباً لرئيس الجمهورية وبانتخاب من مجلسى الشعب والشورى وبعدها تمت إحالتى للتقاعد وعينت محافظاً لشمال سيناء.

أزمة الأمن المركزى فبراير ١٩٨٦

فى فترة توليه وزارة الدفاع وقع كثير من الأزمات الداخلية والخارجية، والتى استطاع أن يحتويها وينجح فى مهمته بتفوق.. ومن أشهر هذه الأزمات حادث التمرد الشهير لجنود الأمن المركزى يومى ٢٥ و٢٦ فبراير عام ١٩٨٦.. والذين قاموا بتخريب الكثير من الممتلكات بالجيزة بشارع الهرم، إثر منشورات مجهولة المصدر بالتجديد لهم عاما آخر، وقد أطاح هذا الحادث بوزير الداخلية آنذاك أحمد رشدى، وطلب الرئيس مبارك من الجيش التدخل لمعالجة هذا التمرد، وقد نجح المشير أبوغزالة فى احتواء التمرد..(١)(٢).

● يقول الفريق أحمد صلاح: "عملت معه رئيساً لهيئة العمليات لمدة ثلاث سنوات وعينت مساعداً له نحو عام وأكثر، وواجهتنا عدة مواقف وحكمى عليه كمرءوس له تشهد أنه رجل عظيم.. من طباعه أنه يثق فيمن معه ويتابع العمل بطريقة جيدة وبسيطة كان ليناً بلا ضعف.. قويا بلا قسوة.. من أهم المشاكل التى واجهتنا شغب الأمن المركزى عام ١٩٨٦.

كان على مستوى المسئولية والأمانة التى وكلت إليه.. كان فيه مواقف صعبة تحتاج لقرار شجاع، وقد كان على مستوى المسئولية.. من المواقف التى لا أنساها: أن المساجين هربوا من سجن أبوزعبل، وكان لابد من قرار حاسم يوقف هؤلاء، واتخذ قراراً للتعامل معهم بشدة، كانوا داخلين على ضاحية المعادى وهى منطقة كلها أجانب ونجحنا فى ذلك..

الشىء الثانى .. سلوك القوات المسلحة كان سلوكاً حضارياً وعظيما ونبع ذلك من توجهاته وشخصيته لدرجة أن أفراد القوات المسلحة، ضباطا وجنودا، كانوا منتشرين فى القاهرة وأشاد بهم الشعب، سلوكياتهم كانت حضارية وكنا نرسل لهم وحدات استحمام فى المدارس ونعطى الوحدات الصغرى أكياس

---

(١) جريدة المصرى اليوم، الجمعة ١٤ نوفمبر ٢٠٠٨ .
(٢) الأرشيف الصحفى للمشير أبوغزالة.

قمامة حتى لا يرموا القمامة فى الشارع، وبناءً على توجيهاته كنا نصرف للجنود جنيها لكل فرد حتى لا يحتاج لأحد..

ومصداقاً لهذا الكلام بعد انتهاء الأزمة زارنا وزير الداخلية اللواء زكى بدر واثنان من مساعديه هما اللواء فاروق الحينى، واللواء عبدالكريم درويش وكانوا يتكلمون بفخر عما قدمته القوات المسلحة.

.. وأشار اللواء عبدالكريم إلى أن أداء الضباط والأفراد والنقط الموجودة على الكبارى والمناطق الحاكمة سلوك حضارى، والذين بمجرد رؤيتهم لأى فرد معه تصريح أو وظيفته تسمح له بالتحرك، حتى ولو كان هناك حظر تجول، فكانوا يتعاملون معه بلطف وطبعاً هذا يرجع للمشير أبوغزالة..

يقول اللواء عبدالمنعم سعيد: أثناء حادث الأمن المركزى نزل من عندى تشكيل بالكامل فى وسط البلد ومصر الجديدة ومدينة نصر.. فالمعروف وجود خطة وهى معاونة الجيش لجهاز الأمن الداخلى، إذا ما اقتضى الأمر، وعندما لا يستطيع السيطرة على موقف ما، ولكن بعد موافقة القائد الأعلى للقوات المسلحة..

وفعلاً نجحنا فى احتواء الأزمة، ولأن الجيش يحظى بحب الشعب له وثقته فيه فإنه نجح فى مهمته والتزم الناس بكل التعليمات ومنع التجول وبعد الانتهاء عادت الوحدات للجيش..

يقول الفريق صفى الدين أبوشناف: "بعد الحرب عينت رئيساً للجنة المصرية العسكرية، وعين هو لفترة بسيطة مديراً للمخابرات الحربية، وكانت تربطنا علاقة طيبة، ورجعت للقوات المسلحة إلى أن وصلت رئيساً لهيئة التنظيم والإدارة.. وكان هو قائداً عاماً لوزارة الدفاع.. وأكثر فترة ارتبطنا به كانت فترة شغب الأمن المركزى، وكان معه رئيس الأركان الرجل العظيم والقائد البطل الفريق إبراهيم العرابى.. فى هذه الفترة اقترحت عليه عدة اقتراحات لأن البلد كان سيضيع، وفعلاً استجاب لكثير منها، بعد ذلك عينت مساعداً لرئيس الأركان الفريق العرابى، وتوطدت العلاقة أكثر وتحولت من علاقة زمالة وعمل إلى صداقة واحترام وحب.

ونتيجة لسيطرته القوية وإنهائه للأزمة بسلام، فإن رصيد حبه وتقديره يزداد عند الرئيس محمد حسنى مبارك..

● مرحلة السلام كانت من أصعب الفترات التى مرت بها مصر..

نجح فى إدارتها فريق مصرى متكامل على أعلى مستوى.. المشير أبوغزالة تولى إحدى هذه الفترات وأثبت كفاءة بارزة، اعتمد فيها على علاقته مع الأمريكان وعلى فهمه لشخصية الطرف الآخر وفطنته وذكائه وإجادته للغة الإنجليزية.. كامب ديفيد وتنفيذها كان لها معارضون مثلما كان لها مؤيدون.. اخترت بعضاً من أقواله للرد على بعض أسئلة الإعلاميين ومن أرشيفه الصحفى..

سُئل عن اتفاقية كامب ديفيد ورأيه فيها.. فأجاب قائلا [1]:

" اتفاقية كامب ديفيد أمر واقع مهما قيل ومهما يحدث.. وكما قال الزعيم السادات أكثر من مرة إنه كان فى استطاعتنا أن نحل مشكلة سيناء فى جلسة واحدة مع الإسرائيليين، ولكن تمسكنا بحل القضية الفلسطينية هو الذى أدى إلى كامب ديفيد، والسياسة المصرية هى التى جعلت أمريكا طرفا ثالثاً فى هذه القضية، وبفضل السياسة المصرية أيضاً، تم الوصول إلى اتفاقية كامب ديفيد واتفاقية السلام فى المنطقة، وعن طريقها تمكنا من تحقيق الكثير لمصر ومما حققناه من إعادة تسليح القوات المسلحة..

ويواصل حديثه ويقول: أولاً: لقد عادت بقية سيناء إلينا دون قتال آخر واستثمارا لنتائج وانتصارات أكتوبر ومن منطلق وموقع قواتنا، وكنا من قبل نتحدث مع إسرائيل من موقع الضعف بعد نكسة ١٩٦٧.

ثانياً: أعلنت أمريكا عن استعدادها اقتصادياً وعسكرياً، وللعلم فقد كانت أمريكا إلى وقت قريب -مغلقة - بالنسبة لمصر ولم نكن نستطيع الحصول منها على أى شىء، أما الآن فقد أصبح بيننا وبينها برنامج تسليح لمدة خمس سنوات قيمته تزيد على خمسة آلاف مليون دولار.. هذا بالإضافة لاتفاقيات تسليح أخرى منها اتفاقية قيمتها تزيد على ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين مليون دولار، وهذه الاتفاقيات غير مشروطة بأى شرط أو أى تنازل عن شبر واحد من أرضنا أو عن القضية الفلسطينية..

ثالثاً: أصبح العالم الغربى كله يلبى كل طلباتنا بعدما كانت بعض دوله مثل فرنسا وإنجلترا تعرقل وتسوِّف فى عمليات تسليحنا، وكان أقصى حلمنا أن

---

(١) حديث مع زينب الصيرفى، جريدة الأهرام، أكتوبر ١٩٨١.

نحصل على طائرات "الفانتوم"، أما الآن فقد أصبح لدينا طائرات (إف ١٦) و(ميراج ٢٠٠) وغيرهما، بالإضافة إلى إدخال أحدث أنواع التكنولوجيا المتطورة فى قواتنا المسلحة..

● وعن القوة متعددة الجنسيات، وهل هناك ثمة علاقة بين هذه القوة وقوة الانتشار السريع التى تجهزها الولايات المتحدة من أجل التدخل المحتمل.. ففى حدود معلوماتنا أن القوة الأمريكية الموجودة بسيناء هى بالفعل جزء من قوة الانتشار الأمريكى، فهل ذلك يعنى شيئاً ما؟

أجاب المشير أبوغزالة قائلاً:.

أقول لك بكل وضوح كامل لا علاقة ألبتة بين القوة الأمريكية الموجودة فى سيناء وقوة الانتشار السريع.. وأقول أيضاً إن أصحاب النوايا السيئة الذين يريدون الربط بين وظيفة القوة الأمريكية فى سيناء وقوة الانتشار السريع يستندون فقط على أن هذه القوة المسلحة الأمريكية ككل، ولكن هناك ما ينبغى أن يعرفه الجميع..

١- إن جميع العناصر الموجودة فى القوة متعددة الجنسيات تخضع مباشرة لقائد القوة النرويجى الجنسية، وأن كل أعمال هذه القوة محصورة فى نطاق مراقبة الحدود، وهى تخضع بالكامل لسيطرة الدولتين المتعاقدتين طبقاً لما نصت عليه اتفاقية المعاهدة، إن قائد الكتيبة المتعددة الجنسيات فى شرم الشيخ ضمن القوة المتعددة الجنسيات يتلقى أوامره مباشرة من القائد النرويجى وليس لأى سلطة أمريكية أن تجرى اتصالاً مباشراً مع الكتيبة إلا من خلال القائد النرويجى.

٢- إن الكتيبة الأمريكية لا تحمل سوى بعض البنادق الرشاشة، فتسليحها لا يزيد على تسليح الأمن المركزى أو قوات الشرطة فى سيناء، فماذا يمكن أن تفعل كتيبة أمريكية محددة التسليح تخضع لقائد نرويجى.. إننى أقول إن الربط بين قوة الانتشار الأمريكية الموجودة فى سيناء ربط غير صادق وغير أمين وللأسف، فإن معظم الذين يطلقون هذه الأقاويل، إنما ينتمون فكراً إلى معسكر معين ولكنهم لا يكلفون أنفسهم السؤال.. لماذا وقف السوفييت ضد إرسال قوات الأمم المتحدة إلى سيناء ولكننا نجيب بأن السوفييت ما كانوا يريدون سلاما فى المنطقة، بل إنهم أعاقوا إرسال قوات الأمم المتحدة إلى المنطقة، وكانت القوات المتعددة الجنسيات هى البديل..

والآن هم يقولون إن القوة المتعددة الجنسيات تمثل وجوداً أمريكياً فى سيناء.. برغم أن هذه الكتيبة لا تمثل غير حجمها، وبرغم أنهم كانوا السبب المباشر فى تشكيل القوة المتعددة الجنسيات على هذا النحو..

سؤال: هل وافقت مصر على أية تسهيلات للجانب الأمريكى فى سيناء وهل ثمة اتفاق من أى نوع على استخدام قوة الانتشار السريع للقاعدتين الجويتين اللتين تسلمتهما إسرائيل فى شرم الشيخ وبالقرب من رفح ؟..

وأجاب قائلا: ليس للأمريكيين أية تسهيلات فى سيناء، ربما كان للأمريكيين رغبة فى ذلك ولكننا رفضنا رفضاً قاطعاً أن يكون لأى طرف أجنبى أى نوع من أنواع الوجود على أرض سيناء، وما ينبغى أن يعرفه الجميع أن التسهيلات تمنحها مصر وتلغيها مصر.. مصر هى صاحبة الكلمة الأولى فى استخدامها وليس فى وسع الأمريكيين أن يستخدموا أياً من التسهيلات المتاحة لهم دون استئذان مسبق..

وما ينبغى أن يعرفه الجميع أيضاً أن التسهيلات شىء معترف به فى جميع أنحاء العالم، بل نحن نستفيد من هذه التسهيلات المتاحة فى العالم الآن.. وللمصادفة فإن لنا اليوم مجموعة طائرات ميراج فى مطارات اليونان كانت فى «عمرة فنية» بفرنسا وفى طريق العودة طلبت تسهيلات من اليونان ومنحتها أثينا هذه التسهيلات، هل ذلك يعنى أى نوع من الاعتداء على سيادة اليونان..

لقد قبلنا التسهيلات تحت دافع واحد وهو أن هناك أخطاراً خارجية تهدد أمن المنطقة، وربما تتطلب مواجهة هذه الأخطار ما يفوق طاقة الأمة العربية فى وضعها الراهن، لقد قبلنا التسهيلات الأمريكية حماية لأمن الخليج.. من البديهى أنها مرتبطة أيضاً بموافقة الدول المعنية، بمعنى أنه إذا لم تكن دول الخليج راغبة فى وجود أمريكى على أرضها لمواجهة الخطر الخارجى الطارئ لحظة حدوثه، فمن الطبيعى أن تصبح هذه التسهيلات عملاً لا معنى له، لأنه ليس فى وسع قوة عسكرية فى العالم أن تبقى على أرض شعب دون موافقته إلا أن تكون قوة احتلال..

وتنتهى جولتنا مع ردوده وتوضيحاته لنواح كثيرة فى قضية السلام، التى كانت ومازالت تقلق كثيرا من المصريين، وفى النهاية وجدنا دوره البارز فى

إنجاح عملية السلام بشهادة الجميع.. ونأتى إلى آخر مرحلة فى عملية السلام وعودة "طابا"..

مباحثات طابا

يعود له الفضل بأنه وزير الدفاع الذى عادت فى عهده آخر قطعة مغتصبة من أرض الوطن.. وعادت طابا.. وتنهض السطور التالية بمهمة إلقاء الضوء على هذه القضية.

ما إن وقّعت إسرائيل معاهدة السلام مع مصر.. حتى بدأت فى إعداد مشروع سياحى كبير يضم فندق خمس نجوم بمنطقة طابا، وعملت على إقامة منشآت سياحية وبحرية أخرى لتحويل المنطقة إلى منتجع عالمى، وربط المنطقة بالأراضى الإسرائيلية بواسطة طريق ساحلى يربط بين طابا وإيلات.. وفى الوقت نفسه إزالة كل المعالم الأرضية التى تدل على أن هذه هى منطقة طابا داخل الأراضى المصرية.. وهى فى هذا الشأن اتبعت منطقاً غريباً فى مفاوضاتها، فهى تعترف بأن طابا أرض مصرية، ولكنها لا تعترف بأن الأرض محل النزاع هى طابا.. ولكنها جزء متاخم لها!، وكانت المعركة الثالثة بعد الحرب والتفاوض.. معركة التحكيم الدولى الشرسة..

اللواء بحرى أ.ح متقاعد محسن حمدى، الشاهد الأساسى فى محكمة جنيف لمشكلة طابا ورئيس جهاز الاتصالات المصرية بالجهات الأجنبية خلال هذه الفترة، وأحد أعضاء وفد المفاوضات المصرى، يتذكر بعض هذه المصاعب والعراقيل ويقول:

خلال الانسحاب النهائى الإسرائيلى من سيناء كلها فى عام ١٩٨٢، تفجر الصراع بين مصر وإسرائيل حول طابا، وعرضت مصر موقفها بوضوح، وهو أنه لا تنازل ولا تفريط فى أرض طابا، وأن أى خلاف بين الحدود يجب أن يحل وفقاً للمادة السابعة من معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية والتى تنص على:

١- تُحلّ الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضات.

٢- إذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضات تحل بالتوفيق أو تحال إلى التحكيم.

وقد كان الموقف المصرى شديد الوضوح، وهو اللجوء إلى التحكيم، بينما إسرائيل كانت ترى أن يتم حل الخلاف أولاً بالتوفيق..

فى "١٣ يناير١٩٨٦" أعلنت إسرائيل موافقتها على قبول التحكيم، وبدأت المباحثات بين الجانبين وانتهت إلى التوصل إلى" مشارطة تحكيم " وقعت فى ١١ سبتمبر ١٩٨٦.. .

وفى ٣٠ سبتمبر ١٩٨٨ أعلنت هيئة التحكيم الدولية فى الجلسة التى عقدت فى برلمان جنيف حكمها فى قضية طابا، فقد حكمت بالإجماع أن طابا أرض مصرية.

وفى ١٩ مارس ١٩٨٩، رفع الرئيس مبارك علم مصر على طابا المصرية، معلناً نداء السلام من فوق أرض طابا قائلاً: " لقد تجلت إرادة الشعوب فى كل مكان أنها تريد السلام هدفاً دائماً، ولن يتصدى لأشباح الحروب الصغيرة والكبيرة إلا هذه الإرادة الجماعية الكبرى، والتى تناضل من أجل أن تصنع الحياة " " السلام ليس شعاراً نرفعه اليوم ونتحايل على إسقاطه غداً.. السلام موقف ثابت تتجمع حوله كل القوى المحبة للسلام.. ولماذا طابا؟؟ سؤال تجيب عنه السطور القادمة..

أهمية طابا الاستراتيجية

يختلف العسكريون المصريون على أهميتها العسكرية.. الفريق كمال حسن على رئيس الوزراء الأسبق يرى أن وادى طابا -فى حد ذاته- لا يتمتع بقيمة عسكرية كبيرة، بينما يرى المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة وزير الدفاع الأسبق أن وادى طابا هو الطريق المباشر لمرى متلا والجدى.. وذلك فى حوار له مع السفير الشافعى عبدالحميد مساعد وزير الخارجية.

د. وحيد رأفت يرى أن وادى طابا مفترق طرق مهم.. طريق إلى غزة والعريش شمالاً، وطريق إلى السويس غرباً.. طريق إلى شرم الشيخ جنوباً.. ولا يغيب عن الذهن ما قاله موشى ديان أثناء المفاوضات: "إننى أفضل شرم الشيخ بدون سلام مع مصر.. على سلام مع مصر بدون شرم الشيخ".

إن سهل طابا هو الامتداد العمرانى الموازى لإيلات.. فضلاً على أن مياه

خليج العقبة أمام طابا خالية تماما من الشعب المرجانية وصالحة للملاحة.. وهى امتداد لميناء إيلات، يضاف إلى ذلك السياحة المهمة بها..

إسرائيل تمسكت بطابا لعدة أسباب هى:

من الناحية السياسية

كان الاحتفاظ بها يؤكد أن إسرائيل لن تتخلى عن كل الأراضى التى تحتلها، وأن تكسر مبدأ الانسحاب الكامل من كل الأراضى العربية، وكانت إسرائيل قد بيتت النية على الاحتفاظ بمساحات من الأراضى المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان.. كما أن الاحتفاظ بطابا تحت يدها يعطيها الفرصة لاستخدامها كورقة ضغط على مصر للحصول على تنازلات تراها ضرورية لتنفيذ مخططات الهيمنة التى وضعتها وتحاول تنفيذها فى المنطقة..

من الناحية الاقتصادية

تعتبر طابا منطقة سياحية من طراز متميز ومنفذ مهم للسياحة فى جنوب إسرائيل ومنطقة إيلات، حيث لا تملك إسرائيل سوى ١٥ كيلو متراً فقط من ساحل خليج العقبة، اغتصبتها فى عام ١٩٤٩ بعد انتهاء حرب ٤٨، وإعلان الهدنة لتقيم عليها ميناء إيلات منفذها الحيوى نحو الجنوب ومحور تجارتها مع قارتى آسيا وأفريقيا، ولذلك فقد أرادت أن توسع نطاق قاعدة ارتكازها على خليج العقبة، لتوسع من إقليم إيلات ومينائها وتستغل المنطقة كمنتجع سياحى عالمى يجذب آلاف السياح ويدر دخلاً هائلاً لإسرائيل.

- الدخول إلى جنوب إسرائيل من سيناء، وهى فى الوقت نفسه من وجهة النظر الدفاعية الإسرائيلية تطل على منطقة إيلات.. الأمر الذى يسمح لمن يتواجد فيها بتهديد هذه المنطقة الإسرائيلية الحيوية التى تمثل لإسرائيل، أحد مصادر حياتها ومنفذها الوحيد إلى قارتىّ آسيا وأفريقيا.. ومن أجل فتح الطريق البحرى إلى الجنوب دخلت إسرائيل حربين ضد مصر فى عامى ١٩٥٦، ١٩٦٧، لكى تضمن عدم إغلاق مضيق تيران فى منطقة شرم الشيخ المصرية فى وجه الملاحة الإسرائيلية..

اللواء محفوظ حمدى، رئيس هيئة العمليات السابق يقول: "كنت رئيس

اللجنة العسكرية الشاملة.. الجهة التى يصب عندها كل الجهات التى تتولى موضوع طابا، كانت تعقد لقاءات فى وزارة الخارجية وكنا نعرض على المشير أبوغزالة كل مايتم أولاً بأول.. وكانت توجهاته تنفيذ كل ما يدعم موضوع طابا، كان يدخل فى تفاصيل التفاصيل "..

يحدثنا اللواء أ .ح /عبدالمنعم سعيد عن هذا الاحتفال قائلاً:

" فى الفترة التى كنت أعمل فيها رئيساً لهيئة عمليات القوات المسلحة، كانت الهيئة تراجع الموضوعات المتعلقة بقضية طابا مع إدارة المساحة العسكرية، وتتولى عرضها على السيد القائد العام للقوات المسلحة.. وكانت المتابعة مستمرة فى هذا الشأن إلى أن صدر حكم محكمة التحكيم بأن طابا مصرية"..

الاحتفال برفع العلم المصرى على طابا فى ١٩ مارس ١٩٨٩

فى يوم ١٤ مارس ١٩٨٩ أبلغنى السيد المشير عبدالحليم أبوغزالة بصدور توجيهات من السيد الرئيس حسنى مبارك بأنه سيقوم برفع العلم المصرى على منطقة طابا فى احتفال رسمى صباح يوم الأحد ١٩ مارس ١٩٨٩ يحضره كبار رجال الدولة من الوزراء وأعضاء مجلسى الشعب والشورى، وكلفنى بالإشراف على إعداد المنطقة وتجهيزها لهذا الحدث التاريخى المهم بمعاونة أجهزة الدولة المختلفة..

فى ١٥ مارس ١٩٨٩ تم استلام منطقة طابا من الجانب الإسرائيلى وتم رفع العلم المصرى على تل رأس طابا ظهر اليوم نفسه ١٥ مارس، ومنذ هذا التاريخ بدأ إعداد المنطقة للاحتفال الرسمى الذى سيقوم فيه السيد الرئيس برفع العلم المصرى على منطقة طابا وإلقاء خطابه التاريخى، واعتباراً من يوم ١٥ مارس وحتى صباح مارس ١٩ مارس تولى اللواء محمد بلال نائب رئيس هيئة العمليات ومعه ممثلو الوزارات المختلفة تنفيذ المهمة بالتوجه إلى منطقة الاحتفال، وبدأت أعمال التجهيز من حيث إلقاء خطاب السيد الرئيس وسرادق المدعوين وموقع حرس الشرف والطريق المؤدى إلى مكان الاحتفال، بالإضافة إلى أجهزة الإعلام من مندوبى الصحافة وأطقم الإرسال التليفزيونى والإذاعى، ومن الطبيعى

تحتاج المنطقة إلى أعمال رصف أسفلتى.. وقد قمت فى اليوم التالى بزيارة للمنطقة مستقلاً طائرة السيد الرئيس إلى مطار رأس النقب على رأس مجموعة من الحرس الجمهورى للتعرف على المطار والتوقيت اللازم للرحلة ثم التحرك بالعربات من المطار إلى موقع الاحتفال ومتابعة أعمال التجهيز وإزالة أى عقبات.

واستمر العمل بالموقع حتى صباح يوم ١٩ مارس ١٩٨٩، وكانت ملحمة أديت على أكمل وجه.. فى نفس هذا الوقت كانت وزارتا الطيران، والنقل تعدَّان الأسطول الجوى الذى سينقل المدعوين وتجهيز مطار رأس النقب بالمعدات والأدوات اللازمة لتشغيل المطار، وكذا العربات المخصصة لنقل المدعوين من المطار إلى موقع الاحتفال وعودتهم.. كما تم فى خلال هذه الفترة تأمين الاتصالات بين القاهرة وموقع الاحتفال، وبالرغم من حساسية المنطقة الملاصقة مباشرة للحدود المصرية والاحتياج إلى منظومة أمنية جيدة، إلا أن السيد الرئيس أمر بعدم منع السياح أو إلغاء تواجدهم فى المنطقة، حرصاً على راحتهم، وفعلاً تم ذلك فى يسر وسهولة، وأيضاً فى الوقت نفسه ، من يوم ١٥ مارس وحتى ١٩ مارس تم إعداد وتدريب حرس الشرف اللازم لاستقبال السيد الرئيس فى الموقع.. ووقع الاختيار على طلبة الكلية الحربية.. وفى صباح اليوم نفسه اتصلت باللواء محمد بلال فى موقع الاحتفال واطمأننت على كل الاستعدادات اللازمة وجاهزية الجميع، وأعطيت تمام الاستعداد للسيد المشير أبوغزالة قبل مغادرته القاهرة متوجهاً إلى طابا لحضور الاحتفال الذى تم بحمد الله نحو الواحدة والنصف ظهراً، واستغرق قرابة الساعة غادر بعدها الجميع عائدين إلى القاهرة تملؤهم السعادة الغامرة لاستعادة مصر حقها التاريخى فى منطقة طابا، وقد تابعت الاحتفال من مكتبى بالقاهرة عبر شاشات التليفزيون المصرى، ومازال الموقع يرفرف عليه علم مصر شامخاً وإلى الأبد بإذن الله، واتخذ هذا اليوم ١٩ مارس ليكون العيد القومى لمحافظة جنوب سيناء.

الحرب العراقية - الإيرانية

اندلعت حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٨، وفى تلك الفترة وماقبلها قامت العراق بشراء أسلحة بمليارات الدولارات من أربع دول رئيسية هى: الاتحاد السوفييتى والصين ومصر وألمانيا، وكان المشير أبوغزالة يرى ضرورة دعم العراق ضد إيران؛ لخدمة الأمن القومى المصرى فى تلك الفترة، وكان يقول: " إننا ضد أى عدوان تقوم به دولة ضد دولة أخرى، وعندما دخلت العراق أرض إيران، ورأينا أن هذه الحرب حرب خاطئة، هناك دولة عربية وهناك دولة إسلامية وحربهما سوف تضر بالعرب والمسلمين جميعاً، ولقد نادينا الدولتين من أجل أن تعملا على حل مشاكلهما فوق مائدة التفاوض، فعلى ضوء تجاربنا السابقة ثبت لنا، كما ثبت للعالم أجمع، أن الحرب لا تحسم المشاكل المثارة، وأن الحرب لا تنتهى عادة بالطرفين إلى مائدة تفاوض يناقشان فوقها موقف الحياد من هذه الحرب عند بدايتها، غير أنه عندما بدأت الأمور تتقلب، وبدا أن العراق يواجه مأزقاً كان لابد لنا من مساعدة العراق أولاً، لأن العراق دولة عربية، يملى علينا الواجب القومى ضرورة مساندتها، وثانياً لأن الحرب العراقية - الإيرانية بتطوراتها المفاجئة قد أصبحت عامل تهديد لمنطقة الخليج، فاستقرار الخليج يؤثر بالضرورة على الأمن القومى المصرى..

وعن مساعدة مصر للعراق عندما بدأت موازين الحرب تتغير فى غير صالحه، والضوابط التى حكمت المساعدة المصرية.. يقول المشير أبوغزالة:

"لقد بدأت عملية إمداد العراق بالذخائر منذ أيام الرئيس السادات، عندما اتخذ قراراً بمعاونة العراق - بإمداده بالذخائر التى يحتاج إليها وبأسلحة معينة ومحددة، والواقع أنه عندما بدأت الحرب العراقية ـ الإيرانية أخذ الاتحاد السوفييتى جانب المساندة للعراق، وفجأة، انتقل الاتحاد السوفيتى إلى مساندة الجانب الآخر، فوجد العراق نفسه مع تصاعد الحرب فى موقف حرج غير قادر معه على تأمين بعض أنواع الأسلحة والذخائر التى يحتاج إليها، ولأن لدينا قاعدة صناعية حربية لا بأس بها تنتج أنواع الذخائر التى يحتاج إليها العراق.. وللأسباب التى أشرت إليها، اتخذت مصر قرار

مساعدة العراق، وعندما تولى الرئيس مبارك استمرت مصر على السياسة ذاتها؛ تعاون العراق بالأسلحة والذخائر التى يريدها طالما كان ذلك فى حدود إمكاناتنا؛ شريطة ألا تخل هذه الإمدادات بالاحتياجات الأساسية للقوات المسلحة المصرية.

وعن ترديد إشاعات فى تلك الفترة بوجود ٦٠ طياراً مصرياً يعملون ضمن القوات العراقية، وكما أشار إلى ذلك بعض التقارير فى الخارج.. فإنه نفى ذلك بشدة، وقال: إننا لم نرسل جندياً واحداً، وليس هناك جندى مصرى واحد يعمل فى المجهود الحربى العراقى أو خلف خطوط القوات العراقية أو حتى لإعطاء استشارة لجهاز التخطيط العراقى..

وفى حديث له فى الثمانينيات عن رأيه فى الوضع العربى الهزيل قال:"إن أمتنا العربية تمر الآن بموقف يستدعى الرثاء.. أمتنا مفككة، تأكلها من الداخل عوامل الصراع الداخلى التى ربما يزيد تأثيرها الخطير على عوامل الصراع الخارجى، لقد كنا ومازلنا نتمنى أن يكون هناك حد أدنى من الاتفاق العربى الذى يمكن الأمة العربية من أن تكون قادرة على مواجهة اى تهديد خارجى، ونحن فى سبيل هذا الهدف لا نألو جهداً لأن ذلك دورنا وتلك مسئوليتنا..

وفنَّد ما ادعاه المشككون فى الموقف المصرى الذين يقولون إن مصر لعبت دور تاجر السلاح لإصلاح اقتصادها وأن ما قدمته للعراق كان يخدم مصر بأكثر مما كان يخدم العراق..

ويجيب قائلاً: "لو أن الأمر تجارة سلاح، لكنا قبلنا عروض الشراء التى جاءت إلينا من إيران عبر بعض الشركات والوسطاء الأجانب، بل وربما لا يعرف الكثيرون أن العراق عندما بعثت تطلب سلاحاً مصرياً لجأت فى البداية إلى بعض الشركات الأجنبية التى تعمل فى تجارة السلاح، ولقد رفضنا مجرد تجارة فى السلاح، وطلبنا من هؤلاء أن يأتى العراقيون رأساً ليتحدثوا معنا، وأقول الحق: إن الوفود العراقية التى جاءت إلينا لتعقد الاتفاقيات كانت تعبر فى كل مرة عن عرفانها بالجميل وعن إدراكها للدوافع المبدئية التى أملت على مصر ضرورة مساندة العراق فى موقفه الصعب"..

يقول الفريق أحمد صلاح ساعدنا السودان أيضاً.. فى يوم ما فوجئنا

بالرئيس النميرى عائداً من الخارج ومر على القاهرة قبل عودته إلى الخرطوم، وأبلغنا من السودان بحدوث انقلاب وأن الرئيس النميرى سيُقتَل لو عاد إلى السودان، وسيتم اغتيال طائرته فى الجو.. وفى هذه الفترة كان لنا علاقات مع السودان ونقدم إليهم المعونات وغيرها.. وأبلغنا النميرى بما سمعناه فإذا به يصر على الذهاب إلى السودان، واجتمعنا به وكان الاجتماع برئاسة المشير أبوغزالة وطلبنا منه تقديم بيان يهدىء الوضع، على أن يمكث فترة بمصر إلى أن تهدأ الأمور.. وفعلاً عمل بياناً ولكن فى غاية السوء وكان يمكن أن يؤزم الموقف أكثر.. وتم عمل مؤتمر آخر فى المخابرات الحربية، حضره دكتور أسامة الباز ووزير الداخلية فى ذلك الوقت وأبوغزالة وأنا بصفتى رئيساً لهيئة العمليات، وأيضاً مدير المخابرات العامة وأقنعناه بأن يعدل فى بيانه لأن هذا بلده وسيعود يوماً ما إليه..

وننهى جولتنا السريعة مع أهم الأحداث التى تزامنت مع فترة قيادة القوات المسلحة.. وننتقل لتسجيل ذكريات وشهادات حية لمصادر أخرى عملت معه وعرفته عن قرب.



الرئيس السادات يحيى الجماهير المصرية.. وبجواره المشير أبو غزالة والنائب حسنى مبارك في يوم اغتيال الرئيس السادات



المشير أبو غزالة يصافح قائد قوات حفظ السلام النرويجى بسيناء ويتوسطهما اللواء محسن حمدى



خلال مباحثات السلام المصرية الإسرائيلية وبوجود الجانب الأمريكى



المشير أبو غزالة والوفد المرافق له وكبار الشخصيات المهمة فى إحدى زياراته لإحدى الدول الغربية



القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس مبارك وحوار باسم مع أحد الجنود في إحدى المناطق العسكرية وبوجود المشير أبو غزالة والفريق صفى الدين أبو شناف



الرئيس مبارك .. المشير أبو غزالة .. الفريق صفى .. رجال قدموا حياتهم ونقشوا أسماءهم فى التاريخ .. نسور .. أسود وقت القتال.. قمة الإنسانية وقت السلم

الفصل العاشر



مقابلات وذكريات مع رجال وشخصيات عاصرته أو تعاملت معه

- الفريق صفى الدين أبوشناف
- الوزير توفيق عبده إسماعيل
- الفريق أحمد صلاح عبدالحليم
- اللواء منير شاش
- اللواء عبدالمنعم خليل
- اللواء حسن الجريدلى
- اللواء أحمد فخر
- اللواء يحيى خليفة
- اللواء عطية سليمان
- اللواء على هيكل
- اللواء محفوظ حمدى
- اللواء عبدالجابر أحمد على
- اللواء عبدالمنعم سعيد
- اللواء مسعد ششتاوى
- اللواء عبدالرحمن الهوارى
- اللواء فريد حجاج
- اللواء محسن حمدى
- اللواء محمد طلبة
- اللواء حسنى سليمان
- اللواء حسام خيرت
- اللواء حسنى السبع
- السيد سامى شرف
- العميد أحمد صالح
- السيد جمال كمال
- السيد شوقى حامد
- السيد أسامة هيكل
- الكاتبة أميرة فكرى

"بعض الدول العربية عرضت عليه أن تستفيد من خبرته ويعمل لديها مستشاراً.. أو حتى يقوم بزيارة ويستشيرونه ورفض.. فلم يكن يرغب فى أن يقال إن هذا الرمز المحبوب الوطنى من أجل المادة عمل خارج مصر.. وزير الدفاع رمز وطنى لا يجب أن يذهب لأى دولة من أجل المادة.."

"من كلمات رئيس الأركان المصرى الفريق صفى الدين أبوشناف عن المشير أبوغزالة.."

"كان أبوغزالة يعشق حب الناس، له ويقول إن حب الناس من حب الله، وليس الحب أن تقول كلمة طيبة فقط وابتسامة، بل أن تؤدى خدمة تساعدهم فى حياتهم.. "

من كلمات اللواء أحمد فخر

تحدث الكثيرون عنه.. تكرر الكلام.. تعددت المواقف، ظهر حب الناس له واحترامهم لشخصه الكريم.. مهما تختلف شخصياتهم ومكانتهم.. أحبه رؤساء أركانه.. وزملاؤه.. ضباطه وجنوده.. أحبه من عملوا تحت قيادته فى الميدان والحياة المدنية ومن شاركوه ممارسة رياضاته.. جوانب كثيرة نكتشفها فى شخصيته.. مواقف وحكايات.. طريفة ومؤلمة ومضحكة.. ذكريات عن الحرب والسلام.. الحب والألم.. الانتصار، لحظات كثيرة ممتعة وكثيرة نستمتع بها من خلال هذه السطور الأكثر من رائعة.. ومعذرة إن كان هذا الفصل أطول فصول الكتاب، ولكن ذلك يعود لأسباب عديدة، منها غزارة معلوماته وقوة من تحدثوا فيه.. اختزلت مواقف كثيرة.. قد تتشابه مع مواقف أخرى، لكنى أعتقد أن كلاً منها يمثل موقفاً فريداً من نوعه؛ لأنه مع أشخاص مختلفين.. وأزمان وأماكن مختلفة.

اللواء منير شاش.. مدير إدارة المدفعية سابقا:

أبوغزالة لم يتغير طوال عمره.. وهو الإنسان الذى عرفته ملازماً ثانياً حتى مشيراً .. وإلى ما بعد ذلك.. ببساطته ولباقته وصداقته وطبيعته المرحة وكل الصفات النبيلة.. كثيراً ما كنت أزوره فى بيته ويقابلنى وهو يرتدى الجلباب بالترحاب وبكل صور كرم الضيافة وحسن الاستقبال.. هذه الصفات كان يغدق بها على الجميع -أصدقاء ومعارف وأقارب ـ وكل من تعامل معه أو دخل بيته شعر بذلك.. لم تغيره المناصب ولم ينخدع ببريق الكرسى.. إن من يجلس مع أبوغزالة أو يتعامل معه ولو مرة واحدة لابد وأن يحبه رغماً عنه..

● وينتقل لنقطة أخرى ويعبر عن إحساسه بالظلم عند مقارنته بالعميد أبوغزالة الذى لم يكرم مثله بعد حرب أكتوبر، ولكنه ندم بعد ذلك ويقول: "أنا وأبوغزالة كنا قادة مدفعية جيوش، كان أداؤنا جيداً ومتقارباً، وفوجئت بأبوغزالة يحصل على نجمة الشرف وأنا نوط الجمهورية من الطبقة الأولى وشعرت بالحزن لأول مرة، حيث كنت الوحيد الذى يحصل على نوط وليس نجمة الشرف، أثناء ذلك قمت بزيارة لأحد زملائى الضباط المصابين فى المستشفى، وهالنى ما وجدت من إصابات وحالات حرجة ورجال استحقوا كل الفخر والتقدير فمنهم من فقد بصره أو ساقه، وآخر يصنع له وجه بلاستيك لاحتراق وجهه.. إلخ.. فى تلك اللحظة نزع الله من قلبى كل الحزن والزعل، وحمدت الله على أنى معافى وسليم.. وحزنت أننى حملت شيئا ولو به نسبة من الضيق ناحية صديقى وزميلى ورفيق عمرى أبوغزالة.. "

حب الناس له يظهر فى كثير من المواقف..

مرة كنا فى أحد احتفالات أكتوبر بالاستاد، وأثناء مرورى بجوار المدرجات سمعت حديثاً بين عقيد وزوجته ترجوه فيه بأن تسلم على أبوغزالة.. وزوجها لا يستطيع أن يلبى طلبها، وهى تؤكد أنها تريد أن تشكره فقط على الشقة والسيارة وعلاوة أركان حرب -التى يحصل عليها والتى رفعها المشير أبوغزالة إلى مائة جنيه -.. ولمعرفتى بطبيعته ولإحساسى بالتعاطف مع هذه الزوجة اقتربت من المشير وأخذت الضابط وحرمه معى وأخبرته بأن هذا الضابط وزوجته يرغبان فى مصافحته وشكره، فابتسم لهما وسلم عليهما بحفاوته المعهودة.. وسألهما عن أحوالهما وإذا كانا يريدان أى شىء منه ومن القوات المسلحة..

طقوسه بعد الميرى:

أبوغزالة كان إنسانا منظماً له طقوس وروتين فى كل شىء، بعد التحرر من الميرى لم يتوقف تفكيره وعمله، ولكنه اتجه إلى تأليف الكتب وترجمتها.. ومن طقوسه فى هذه الفترة أنه كان يحب السهر.. يقرأ ويكتب حتى الفجر ثم ينام

ويصحو الظهر يصليه، ثم يكتب ويشاهد التليفزيون، ويتابع الأخبار ويمارس حياته بين ممارسة الرياضة ومقابلة عائلته وأصدقائه.. باختصار إنسان مفكر ومثقف.. رجل بمعنى الكلمة.. واعتقد أننا مهما نقل عنه فلن نوفيه حقه، إننى أشعر بالحزن منذ وفاته واعتقد أن السنين لن تنسينا شخصيته مهما يحدث..

● **الفريق صفى الدين أبوشناف.. رئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق يقول:**

● المشير أبوغزالة كان يحظى بحب الجميع له والالتفاف حوله، كان يتمتع بقبول كبير من جميع البشر، كل فرد جلس معه أحبه، إذ كان إنساناً متميزاً ومتواضعاً لأقصى درجة.. خفيف الظل، بسيطا، يحب الضحك بجانب أنه سياسى محترف وعسكرى محنك ومقاتل شرس.. لم تغيره الأيام ولا المناصب، شخصيته التى تعرفت عليها، وهو عميد هى شخصيته نفسها وهو وزير للدفاع وما بعد ذلك.. نفس كلامه وطباعه ومبادئه و.. و.. و..

كنت على علاقة صداقة وزمالة وثيقة معه منذ بداية معرفتنا.. لم تتغير أثناء عمله ولا بعد خروجه من الخدمة، علاقتنا كان أساسها الاحترام والأخوة والحب، نحن صعايدة والصعيدى عندما يأكل «عيش وملح» مع أحد لا ينساه وهو فلاح ومعدنه أصيل.. لم يكن مظهريًا ولا يسعى للفت الأنظار، ولم يكن عنده طموحات سياسية، كل هدفه كان خدمة مصر وعمل أى شىء يعلى من شأنها، قدم حاجات مدنية ومشاريع، وكثيراً ما كان يوجه ويعطى دروسا فى مختلف الأمور لكل رجال الدولة.. حضرت معه اجتماعا وزاريا وشاهدته وهو يفتح المواضيع وينصح ويبتكر عن فهم ووعى وبراعة..

● تعرض أكثر من مرة لتلويث سمعته، لم يكن يتحدث فى ذلك ولم يحب الكلام أو الدفاع عن نفسه أو شن حملة على من يروجون هذه السخافات، ومع الأيام ثبت نقاؤه وبراءته وطهارته.. عندما كان يسمع الشائعات التى كان طرفاً فيها كان يضحك ويسخر بمرارة.. كنا فى معرض سلاح كان يقام فى مصر يشترك فيه العديد من الدول والشركات، وأتذكر أن الإعلام كله كان يحبه وأثناء إدلائه بالأحاديث ورده على الصحفيين.. اقترب منه مجموعة من

الصحفيين وسألوه عن حقيقة ما يروج من إشاعات وسأله أحدهم عن حقيقة علاقته بإحدى الفنانات..؟ فضحك قائلا:

"الغريبة أنكم صحفيون، عندكم كل الوسائل التى تستخدمونها لتعرفوا كل شىء.. أين أقابلها وأين الصور وأين وأين و.و.. إلى أن قال أحدهم.. والله عندك حق يا أفندم!!

وغيره كلام كثير كان يقال ولكنه كان يضحك، لم يكن عنده وقت لهذه التفاهات والسفاهات.. حياته كانت معروفة، البيت والمكتب والعمل والكتابة والرياضة والواجبات الإنسانية، خاصة مشاطرات العزاء أو زيارة المرضى.. بحكم وظيفتى فى المخابرات الحربية والقوات المسلحة كنت أعرف كل شىء عنه، وأعرف أين يذهب ولم أجد فيه أى شىء من هذا الكلام، بل كان رجلا منضبطا، يلعب ويعلم ويحاور، لكن لم يثبت أى شىء عليه يلوث سمعته أو يشينه.. لم يؤثر فيه شىء مما قيل عنه من وشايات فى بيته لأن الله رزقه بزوجة فاضلة رائعة وأبناء مهذبين، وهو رجل فى بيته مثل الصديق فى معاملاته الأسرية معهم والأولاد كانوا يفهمون ما يتعرض له وأسبابها، فالنجاح دائما له أعداؤه.. كانوا يثقون به ثقة عمياء.. فهم يعرفون أن به مميزات تجعله فى مرتبة كبيرة وما يتعرض له لقدراته وإمكانياته وفهمه..

● عندما كان يركب عربته كان يقترب منه العامة ويسلمون عليه.. بطبيعته يحب الجميع ويسلم عليهم.. قال لى ذات مرة ضاحكا:"تصور لمحنى مرة أمين شرطة وأنا باركن عربيتى وأخبرنى أن الوقوف هنا ممنوع، فأخبرته أننى لن أتأخر".. فقاطعته قائلاً له وأنا أضحك: "كنت نزلت ضربته.. "فقال لى كل الذى قلته له أنا المشير أبوغزالة.. فاقترب منى مدققاً فىَّ جيداً ثم قال: شوف يا أفندم أى مكان تريد أن تركن فيه حتى لو عايزنى أشيل كل العربيات اللى راكنه!!.. وطبعاً هذا يعود لحب الناس له.

عمره ما آذى إنساناً أو أى ضابط، ورغم ذلك امتاز الجيش بالانضباط وكان قادراً على تنفيذ أى شىء.. وطبعاً كل ما قيل عن إنجازاته خير دليل على ذلك.

● بعض الدول العربية عرضت عليه أن تستفيد من خبرته ويعمل عندها مستشاراً.. أو حتى من خلال زيارة يستشيرونه.. ولكنه رفض.. حتى لا يقال

إن هذا الرمز المحبوب الوطنى عمل خارج مصر من أجل المادة.. وزير الدفاع رمز وطنى يجب ألا يذهب لأى دولة من أجل المادة..

● **الوزير توفيق عبده إسماعيل وزير الطيران والسياحة السابق ودفعته يقول:**

"بعد عودة أبو غزالة من منصب ملحق عسكرى وتعيينه برئاسة الأركان ثم القيادة العامة ووزارة الدفاع لم يتغيب عنا فى اللقاءات الدورية لخريجى دفعتنا ٤٩ التى كنا نعقدها كل عام مرة أو أكثر.. لم يتأخر أو يعتذر يوماً عن عدم الحضور ولم تتغير عاداته وابتساماته وقفشاته وبشاشته، إلى أن زاملته كوزير فى أول سبتمبر ١٩٨٢.

.. كانت جلسات مجلس الوزراء تتميز بالحيوية والنقاش والتفاهم الدائم بين الوزراء، وكان يشترك فى مناقشة كل ما يعرض على المجلس من أعمال الوزارات الأخرى، ودائماً كان يقول الرأى الصائب وأسباب توصله إليه بشكل هادئ ومقنع للجميع، وأذكر له الدراسة التى قدمتها وزارة الدفاع عن المشروعات الوطنية الكبرى، وعلى رأسها مشروع العوينات الذى قامت القوات المسلحة بدراسته دراسة وافية، بل وبدأت تنفيذ أعمال الاستصلاح به وكان لوزارة السياحة والطيران المدنى مسائل مشتركة كثيرة مع القوات المسلحة والمشكلة التى تستعصى على الحل كان من السهل جداً عليه إيجاد حل يريح الجميع.. أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مشكلة ميناء نويبع الذى كان هناك رأى ضده فى القوات المسلحة وعندما أبلغته بدأ بدراسة الأمر واتفقنا على استخدام الأرصفة (القومية) الموجودة به حتى يتم بناء الميناء، وكان من ضمنها مشروع تعمير سهل حشيش فقد سهل الأمر لتخطيطه وتنميته سياحياً بتعديل بعض المواقع العسكرية فى المنطقة وغير ذلك الكثير..

● **الفريق أحمد صلاح عبدالحليم.. رئيس هيئة العمليات الأسبق يقول:**

«.. وهو قائد مدفعية الجيش لم نر منه إلا كل كفاءة وأخلاقيات وصفات جيدة، وأتذكر أنه ضابط المدفعية الوحيد الذى حصل على نجمة الشرف؛ لأنه كان دائم النشاط والمرور ولم يمكث مرة فى مكان واحد، لم يسع لتملك أى شىء أو الاهتمام بأى شىء مظهرى وشكلى.. أتذكر أن عربته التى كان يركبها وضرب فيها لغم كاد يقضى عليه.. كانت مستعارة من عندى.

أول مـرة عـملت تحت قـيـادته وأنا قـائد الجـيش الثـانى وهـو وزير الدفـاع، والفتـرة الثانية وكنت تحت قيادته مـباشـرة وعلى احتكاك دائم به وأنا رئيس لهيئة العمليات.

يوم ١١يونيو ١٩٨٣ طلبنى على الهاتف، وأمـرنى بالحضـور فـوراً إلى الوزارة لأن الفـريق عـبـدرب النبى حـافظ انتهت مـدة خـدمـتـه، وعـين بدلاً منه الفـريق عـرابى، الذى كـان رئيسـاً لهيئـة العمليـات ولخبـرتى السـابقـة فى العـمل فى الهيئـة فقـد تم اختيـارى للعمل بها ورئاسـتها ومـن هنا أستطيع أن أصفـه فى عدة صفات.

توجد صـفـات كثيرة فى الإنسان لا تكتسب، ولكنها هبـة من المولى عز وجل، أولها الشخصيـة وهـو يتمتع بشخصية محترمة ومحبوبة فى وقت واحد، وكان كـريم الخلق والطبـيـعـة ولم يـرفـض لاى إنسـان أى مطلب قط طالما كـان فى حدود المعقول والإمكان..

تعـرضنـا لعـدد من المشـاكل.. فى فـتـرة مـا كنت عـائداً من باكسـتـان ويوم رجـوعى علمت بوجود ألغام فى خليج السـويس تضـرب المراكب، تعـاملنـا معهـا بتوجهاته، وشكلنا طاقماً من بعض الدول، عناصر بحرية من الولايات المتحدة وهولندا وإيطاليا وفـرنسـا واليابان وإنجلترا من أجل تـأمين الملاحـة فى ذلك الوقت ومـحـاولة اصطيـاد أى ألغـام.. ونجـحـت المجـمـوعـة الإنجليـزية فى الحـصـول على لغم حى، وفى هذا اليـوم كنت مـوجـوداً فى منطقـة الحـفـاير لمتابعة كتـيبـة صـاعـقـة لنا تتـدرب هنـاك، ومـررت عليهم وذهبت لمعـاينة اللغم ووجدته لغماً روسياً، وطبعاً هذا يعود للمشير أبوغزالة وعلاقـاته الطيبـة مع الدول والناس الموجودين..

مـوقف آخـر .. وقع اغتيـال لأحـد الأمـريكان على مـركب مـوجـودة فى البـحـر المتوسط، وكان سـيناتور أمـريكياً، اغتالته منظمـة التحـرير وبعـلاقـاته اسـتطاع أن ينهى الموضوع فالمركب كان فى المياه الإقليمية عندنا..

حـدث أيضـاً خـلال هذه الفـتـرة مشكلة الطائرات المخطوفة والتى يأتى بها المختطفون إلى مصـر وكنا نتعامل معهم بتوجهاته واستطعنا أن ننجح فى إنهاء هذه المواضيع..

علاقتى لم تنقطع به لحظة ولا مع الأسـرة حتى بعد وفاته..

● **اللواء عبدالمنعم خليل.. مساعد وزير الدفاع الأسبق.. يقول:**

بعد انتهاء خدمتى بالقوات المسلحة قمت بإعداد مذكراتى وقدمتها للقوات المسلحة للتصديق عليها، ولكنها ظلت تراجعها مدة طويلة قاربت الثلاث سنوات، والحقيقة أننى تضايقت جداً لذلك؛ ولم أكن أعرف سبباً للتأخير وهو فى تلك الفترة كان يتولى قيادة القوات المسلحة، فقمت بالاتصال به وحدد لى موعداً بالوزارة وذهبت إليه وقابلنى بترحيب واحترام شديدين وعندما أخبرته بالتأخير، قام بالاتصال فوراً بالجهات التى تتولى مراجعة المذكرات وأمر فوراً بالتصديق عليها فى الحال..

وبعد طباعة مذكراتى، كان هو فى ذلك الوقت مساعداً لرئيس الجمهورية، وذهبت إليه فى الرئاسة وأهديته الكتاب وقابلنى - كعادته - مقابلة غاية فى الود والاحترام وتحدثنا عن ذكرياتنا وتكلمنا طويلاً ولاحظت أنه هو الإنسان الذى عرفته فى الفرقة الثالثة؛ فلم تغيره المناصب ولا السنوات..

مرة فى أحد احتفالات القوات المسلحة بانتصارات أكتوبر، قام بدعوتى لحضور الحفل وبمجرد نزولى من السيارة أنا وزوجتى، كان هو فى استقبال الضيوف اقتربت منه وشكرته على الدعوة، فإذا به يخبرنى بكل تواضع واحترام أن هذا واجب عليه وأننى أستاذه ومعلمه ومن أبطال أكتوبر.. وهذا أقل شىء تقدمه القوات المسلحة لى ولباقى القادة .. ومن كلامه أدمعت عيناى دون أن أشعر بها..

أثناء مرضه كان عندى رغبة شديدة فى زيارته ولكن للأسف عرفت أن الزيارة ممنوعة فكنت أدعو له.. وعندما توفى حزنت جداً عليه ومشيت فى جنازته وترحمت عليه، ومازلت أتذكره بالخير، وسأظل أحترم ذكراه إلى آخر يوم فى حياتى.

● **اللواء حسن الجريدلى رئيس هيئة العمليات السابق يقول:**

"للأسف لم يحالفنى الحظ للعمل مع المشير أبوغزالة أو التعامل المباشر معه أثناء خدمتى بالقوات المسلحة.. فقد تمت إحالتى للتقاعد قبل أن يتولى قيادة القوات المسلحة..

ومع ذلك فإننى أكن له كل التقدير والاحترام، وأعتز به على الصعيد

الإنسانى والعسكرى.. وأعتقد أنها كانت علاقة متبادلة، حيث كثيرا ما كنت أبلغ بأنه يذكر اسمى بكل احترام وتقدير.

أستطيع أن أقول: إنه كان صديقا عزيزا وشخصية لا تنسى، كان وقت الحرب قائد مدفعية الجيش الثانى والتى كان لها دور مهم للغاية.. وهوالقيام بدك دفاعات العدو والتمهيد لعبور القوات وما بعده وكانت مدفعية الجيش الثانى مسئولة عن قطاع عمل الجيش أى من الإسماعيلية وحتى جنوب بورسعيد، وهى منطقة بها العديد من النقاط الحصينة والدفاعات المختلفة للعدو.

أتذكر موقفين مع سيادته:

● بعد تقاعدى.. وفى إحدى سفرياتى للخارج كنت قررت السفر إلى فرنسا وبرفقتى زوجتى.. وأثناء إجراءات السفر فوجئت بأنه غير مصرح لى بالسفر خارج البلاد.. وذلك يتطلب وجود تصريح من الأمانة العامة لوزارة الدفاع.

والموقف ضايقنى كثيراً، خاصة أننى لم أعد ضابطاً فى الخدمة.. وطلبت من المسئولين الاتصال بالأمانة لتحديد موقفى، وتم الاتصال بوزير الدفاع وكان فى ذلك الوقت المشير أبوغزالة .. وأمام انفعالى اقترب منى ضابط إشارة فى المطار وحاول تهدئتى وأبلغنى أنه سيقوم بإبلاغ مكتب القائد العام للقوات المسلحة لحل هذه المشكلة.. وفعلاً بعد دقائق معدودة فوجئنا بتعليمات فورية من المشير أبوغزالة بالموافقة على سفرى أنا وزوجتى وتقديم الاعتذار إلينا، ليس ذلك فحسب، بل مع توفير سيارة خاصة تقلنا من مكاننا حتى سلم الطائرة..

آخر مرة قابلته فيها كانت فى جنازة الفريق سعيد الماحى" رحمه الله" منذ ما يزيد على العام.. وإذا به يرحب بى بحفاوة وحرارة ويربت على كتفى قائلاً: أهلا، بأستاذى ومعلمى وقائدى.. ودار بيننا حوار قصير يغلفه كل الحب والتقدير والاحترام..

فى الفترة الأخيرة كان الاتصال بيننا مستمرا، خاصة فى المناسبات المختلفة ولتقديم التهنئة.

يقول اللواء أحمد فخر، مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا سابقاً:

المشير أبوغزالة رحمه الله كان رجلاً قدرياً يؤمن بكل ما يحدث، ويقول إن الله له حكمة لا نعرفها وهو الذى يعرفها.. بعد أن عدنا من بعثة روسيا كان عنده ثلاثة أبناء.. أحدهم صدمته سيارة ومات وكنا فى العيد، وقال إن هذا حكم الله وإنه اختار ابنى، وقال أنا راض بهذا الحكم.. ولم يرفع قضية.. وتقبل الوضع؛ لأن الذى صدمه لم تكن نيتهً قتله ودفن ابنه وصلى عليه..

أبوغزالة كان يلعب مع الجنود وبعد ذلك يحاسبهم لو أخطأوا فى عملهم، كان يفصل بين العاطفة الأبوية والقيادة الرشيدة، ويميز بين الخطأ والصواب..

أتذكر جيداً أن المشير أبوغزالة كان قاسياً جداً فى الأخطاء العسكرية ولا يتحملها.. على الرغم من أننى كنت صديقاً وزميلاً له وأعمل معه فى الفكر الاستراتيجى، وأسهر معه وأزوره فى منزله.. فإننى أخطأت ذات مرة وأنا برتبة اللواء ومدير لكلية الدفاع الوطنى .. وأدخلنى مكتبه وعنفنى بشدة قائلاً: إذا لم ترجع عن هذه الأخطاء سوف أحاسبك..

كان أبوغزالة يعشق حب الناس له، ويقول إن حب الناس من حب الله، وليس الحب أن تقول كلمة طيبة فقط وابتسامة، بل أن تؤدى خدمة تساعدهم فى حياتهم..

خلال فترة توليه وزارة الدفاع.. اكتشف أن بعض اللواءات القدامى الذين شاركوا فى حروب ٤٨ و٥٦ و٦٧ والاستنزاف وخدموا أكثر من ٣٥ عاماً فى القوات المسلحة وانتهت خدمتهم، ولا يمتلكون سيارة ترحم سنهم الكبيرة بعدما قدموه من خدمة للبلد..

فقرر أن يعمل قروضاً للضباط أثناء الخدمة والمعاش لشراء عربيات تسهل لهم حياتهم، خاصة بعد التقاعد لانتهاء المزايا التى يحصل علها أثناء الخدمة..

وبالفعل كلنا اشترينا عربيات بالقروض، أياً كانت رتبتنا ولكن على شرط أنه عند مكافأة نهاية الخدمة ندفع باقى أقساط العربية - لمن كانوا فى الخدمة - ومكن كل ضباط القوات المسلحة بأن يكون لديهم عربيات خاصة بهم وبأسرهم..

أبوغزالة فكر فى المدن العسكرية.. وهى تجربة أخذها عندما كان ملحقاً

عسكرياً فى الولايات المتحدة الأمريكية.. فالقاعدة العسكرية تعمل مدينة لكل أفرادها.. فيللات للقادة وبيوتاً أصغر للرتب الأقل وشققاً لضباط الصف وعنابر بالتسخين والمياه وكل الخدمات..

وواجهته مشكلة الميزانية، ففكر فى المنحة العسكرية التى تمنح للقوات المسلحة يأخذ منها جزءاً للمدن العسكرية، الأمريكان رفضوا قائلين: إن ذلك للتسليح وليس لإقامة المدن.. ففكر فى المنحة الاقتصادية، فرفضوا وقالوا إنها للاقتصاد المصرى وليس للمنح العسكرية ولا تدخل فى أى موضوع عسكرى..

عمل دراسة إنشاء عمارات وشقق فى جميع أنحاء الجمهورية فى القاهرة والجيزة وأسوان ومرسى مطروح والإسكندرية، وغيرها من المحافظات، بحيث يأخذ الضابط الشقة بالتقسيط وعلى مدار ٤٠ عاماً وبقسط شهرى بسيط ولو توفى أثناء الخدمة يسقط باقى الأقساط عن أسرته، ففى ذلك الوقت كانت معاشات الضباط صغيرة جداً، نوعا من الإنسانية والإحساس وهذه طبيعة كل قادة رجال القوات المسلحة.

عمل مناقصة ودخل فى حل أزمة الإسكان لأنه كان يؤمن بأنه عندما يعمل ذلك سيمنع الضباط من البحث فى العقارات الخاصة أو تحميل الدولة عبء توفير سكن لهم، ويعطى فرصة للآخرين بأن يكون لديهم شقق.. وأيضاً كان يبحث عن تأمين الضابط وإحساسه بالأمان والاستقرار.. طالب الكلية الحربية يعرف أنه بمجرد وصوله لرتبة النقيب سيحصل على الشقة التى يريدها وفى المدينة التى يختارها بعد تقديمه طلباً بذلك أثناء دراسته بالكلية الحربية.. هذه الامتيازات مازالت موجودة حتى الآن فى القوات المسلحة وبصورة أكبر فالبذرة توضع ويتولاها ويرعاها بعد ذلك باقى قادة القوات المسلحة.

كان مؤمناً بأن القوات المسلحة جزءاً من القوى الشاملة للدولة، اقتصاد ، إسكان، مرافق، زراعة.. إلخ.

القوات المسلحة ليست منعزلة عن المجتمع وكان يذهب إلى وزير التخطيط ويطلب منه الاطلاع على خطة الوزارة لتنمية الدولة، وذات مرة وجد فى الخطة عمل خطوط تليفونات فى الزمالك وجاردن سيتى.. فقال أنا عندى

وحدات سلاح إشارة فى التدريب والحرب تمد خطوط تليفونات فلماذا لا نأخذ ساعات التدريب ولا نقللها وبدلاً من ساعات التدريب فى الصحراء نستفيد منها فى الدولة والمساهمة فى المشاريع..

أتذكر كلمات المشير أبو غزالة لنا قائلاً: لا أريد أن أدخل فى تنافس مع القطاع الخاص؛ لأننا لو دخلنا معه فى تنافس فإننا سنضرب أى شيء وسنكون مسيطرين على الاقتصاد المصرى وهذا مرفوض تماماً أن يكون لنا دور متميز عن سائر القطاعات الأخرى.. فالمعروف وجود قوى من الجنود تعمل فى أمور غير أن تكون قوات محاربة وهى التى نستعين بها فى الخدمة الوطنية والزراعة وغيرهما ويشتركون فى المشروعات القومية دون تنافس مع القطاع الخاص فهم يؤدون خدمة للدولة، وبلا مرتب ولكن بحوافز ومكافآت تشجيعية فقط.. الشيء نفسه فعله فى مصايف الضباط ففكر فى إنشاء مصايف لضباط الصف والشرفيين وبالدور، وأيضاً حقهم فى الحج والعمرة أسوة بباقى الضباط، فالجميع يؤدون خدمة للقوات المسلحة والوطن ويتساوون فى تقديم روحهم فداءً للوطن..

كان هذا نوعاً من عمق الإيمان الموجود والذى أراد نشره بين الجنود الذين يقودهم.

أبوغزالة كان عاشقاً لمصر.. مصر شغله الشاغل ليل نهار، سواء فى عمل القوات المسلحة أو دور القوات المسلحة على المستوى القومى، وفى المشروعات القومية الخاصة بخطة الدولة.. أثناء عملى مديراً لكلية الدفاع الوطنى، طلب منى عمل مباراة حربية والمعروف أن بكلية الدفاع الوطنى دارسين مدنيين سفراء وكبار موظفى الدولة، وقادة القوات المسلحة الذين يعملون فى موضوعات التخطيط الاستراتيجى، وطلب منى إعداد هذه المباراة التى تقام لأول مرة.. حضر لمشاهدتها ووجدنى أضع حسابات القوى الشاملة والمواقف وأين يحصل اختراق وماذا تفعل الدبلوماسية.. فسألنى قائلاً: أين مصلحة مصر فيما نفعله؟!.

وواصل قائلاً: " لا تقل لى الحسابات كيف تتم، بل قل لى إن مصلحة مصر أنها تدافع فى جبهة واحدة فأنا عندى أربع جبهات "الشمالية والجنوبية والغربية والشرقية "قدراتى أن أحارب فى جبهة واحدة، وعلى الدبلوماسيين تهدئة

الجبهات الأخرى بالسياسة الخارجية والاتصالات.. فقل لى مصلحة مصر فى كل خطوة تقوم بها لا أريد حسابات ومناظر وناسًا تتكلم وتأخذ مواقف فقط"..

أعطى أيضاً قراراً بأن تبدأ كلية الدفاع الوطنى بقبول السيدات كدارسات من الهيئة العامة للاستعلامات ووزارة الخارجية والإعلام وغيرها، فالمرأة قد تبوأت مناصب كثيرة ويجب أن تفهم أيضاً فى الاستراتيجية القومية؛ حتى يحدث نوع من التمازج بينها وبين العسكريين، وفاهمين من هن ومن نحن.. وكان يصر فى التدريبات التى بها ذخيرة حية تكون فى سيناء أو الصحراء الغربية أن يحضر بها السيدات الدارسات مع باقى الدارسين العسكريين والمدنيين ويشاهدون الضرب والصواريخ، ونشرح لهن الموقف على الواقع. وكانَّ يفزعن جداً؛ إذ كان حجم النيران التى تعمل فى المناورات ضخماً حتى يعوُدوا الناس كما حدث فى الاستنزاف والطلقات والذخيرة، وطلب أيضاً مشاركة المرأة فى الدراسات العليا بالقوات المسلحة، وعدم اقتصار مشاركتها على التمريض فقط..

فى الدول الغربية شاهد كيف يستثمرون الضابط بعد إحالته للتقاعد من خلال مشاريع صغيرة يقوم بإدارتها وفكر فى نقل ذلك لمصر، وعمل دورة إدارة أعمال للمشروعات الصغيرة لمدة عام تدرس للضباط فى جامعة حلوان والجامعة الأمريكية للإدارة والتسويق، بحيث يستطيع الضابط عمل مشروع بعد إحالته للمعاش وهذه الفكرة فكر فيها المشير بدوى والمشير الجمسى، ولكنها ظهرت فى أوج صورها فى عهد المشير أبوغزالة، فقد كان ينظر لمدى بعيد وما يؤهل الضابط للعمل بالخارج والقطاع المدنى.

ذات مرة ذهبنا إلى حفل زفاف ابنة أحد القادة بالقوات المسلحة، وسأل عن تكاليف الفرح وما يقدم للضابط وغيره وبعد أن عرف، قال هذا فى حالة الفرح.. ماذا عن حالة الوفاة.. وعندما علم أنه لا يقدم له شىء إلا نعىٌّ فى الجرائد أمر فوراً بأن تتولى القوة أو السلاح الذى يتبعه المتوفى كل نفقات الجنازة ونفقات نشر النعى وحجز دار المناسبات للعزاء وتعطى منحة وفاة من القوات المسلحة، وتظل سيارته الخاصة بالقوات المسلحة مع زوجته أو أسرته لحين إنهاء إجراءات المعاش.. وهذه الميزة كانت لرتبتى العميد واللواء.. كان نظره أن كل من يعطى أكثر يأخذ أكثر..

كان يعشق الإعلام ويقول لا يوجد شيء اسمه سرى، درس فى أمريكا وهو ملحق عسكرى وأخذ دبلومة فى إدارة العلاقات الدولية والأمن القومى العالمى.

الوثائق

فتح الباب للإعلام.. مثلاً مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام يعمل تقريراً استراتيجياً به جزء عسكرى، فكان يكلفنى بالذهاب إلى هناك ومنحهم البيانات التى يريدونها وحضور المناقشات والرد على أسئلة المثقفين الذين كانوا يقولون إن القوات المسلحة مغلقة، وتحجب الكثير من المعلومات والحقائق عن باقى الشعب.. المعروف أن القانون لا يسمح بالإفراج عن وثائق القوات المسلحة إلا بعد خمسين عاماً من حدوثها، لكن أبوغزالة كان يسمح للمقاتلين بالتحدث عما شاهدوه من بطولات وذكريات والتحدث كأفراد شاركوا فى القوات المسلحة.. بهدف إبراز البطولات وتكريم الشهداء وإظهار الوحدة الوطنية.. "وهذا ما يحدث حتى الآن فى القوات المسلحة"..

كان يسمح للصحفيين بحضور المناورات، وكان مؤمناً بأن صورة القوات المسلحة غير منغلقة عن الآخرين.. كان يأمر بعمل حملة من الشئون المعنوية ومجموعة من مقاتلى أكتوبر والذهاب للجامعات ومراكز الشباب.. ويعرفون الشباب ما يجب أن يعرفوه وينقلون خبرتهم إليهم، ومازالت هذه الحملات موجودة حتى الآن..

كان قارئاً نهماً، يرسل إلى الملحقين العسكريين فى الخارج، ويطلب منهم إرسال أسماء الكتب التى صدرت عن الاستراتيجية العسكرية أو القومية أو تجارب الحروب فى أى منطقة فى العالم لقراءتها وتوزيعها على القطاعات التى تهتم بالقوات المسلحة، وأذكر أنه أرسل لى كتابا صدر فى فرنسا عن الاستراتيجية القومية، وكلف ضابطا بترجمته، حتى نرى كيف تفكر فرنسا وليس أمريكا وروسيا فقط..

درس الفكر الروسى والأمريكى لكنه لم يمل لأى منهما.. .كلنا فى القوات المسلحة أبناء مدرسة القوات المسلحة المصرية، وننتمى إلى الدراسات التى أخذناها فى القوات المسلحة.. هو درس فى مدرسة المدفعية النمط المصرى

فى استخدام المدفعية، وفى كلية القادة والأركان دور أركان حرب بالنمط المصرى، نعم درس فى روسيا وأمريكا، لكن لم يكن مؤمناً بالعقيدة السوفيتية، عندما كنا فى روسيا للدراسة أثناء البعثة وكان مقرراً علينا كتاب عن العسكرية الروسية فيه صفحات مشطوب عليها بالحبر الأسود، كانوا أمناء جداً طبقاً للتعاقد، يعنى الرئيس عبدالناصر متعاقد على مدافع معينة تدرس لنا.. وما غير ذلك يشطب.. وأنا ضابط دفاع جوى لم يكن الرئيس جمال تعاقد على صواريخ أرض - جو (سام ٢) فكانت مشطوبة من كل الكتب وأثناء وجودنا فى البعثة تم التعاقد عليها، فقاموا بسحب الكتب المشطوبة ووزعوا علينا كتب فيها (سام ٢)..

وعندما كان أبوغزالة فى أمريكا وجد كل شىء معلنا ومنشورا ويناقش فى الكونجرس.. كل شىء معلن، وهذا ما وجده أيضاً عند الروس.. كل الدراسات الأمريكية عن التسليح عند الروس.. كان يرى كل شىء مفتوحا.. الأمريكان يستخدمون مصطلحات مختصرة لا نفهمها.. يعنى ينشرون كل شىء لكن عندهم ما يغطى هذا الانفتاح فى المعلومات العسكرية عند اتخاذ القرار، نحن طبقاً للعقد، الحزب الشيوعى هو الذى يضع كل شىء، وهذه أحد أخطائهم وأبوغزالة اكتشف ذلك.. السوفيت كانوا يرسلون لنا خبراء، ولكن لا يرسلون أفضل ما عندهم فى المدفعية وغيره، ولكن يرسلون أفضل وأحسن ضابط ملتزم بالفكر الشيوعى داخل هذا التسليح حتى لو لم يكن أفضل ضابط.. وذلك حتى لا يتأثر بالبيئة المصرية وفى الوقت ذاته يحاولون نشر الفكر الاشتراكى المتطور وصولاً إلى الشيوعية بطريقة مستترة.. أبوغزالة انتبه لذلك، وقال إنهم لا يرسلون خبراء جيدين.. ولذلك عندما طرد السادات الخبراء السوفيت لم يحدث أى نوع من الحزن، بل حالة من الفرح.. السوفيت قالوا علناً.. الساتر الترابى يحتاج إلى قنبلة ذرية لذلك لن نستطيع اقتحام خط بارليف..

أبوغزالة كان رجلاً سياسياً بالدرجة الأولى، أحد متاعبه أنه لم يكن شخصية عسكرية فقط، بل سياسية وإعلامية، وفى أحيان كثيرة لم يكن يميز ما بين كونه عسكريا أو شخصية سياسية كوزير دفاع.. توجد حدود فاصلة..

المشير أبو غزالة كان قائداً متميزاً.. فطناً.. عسكرياً وإنساناً.. و كان يحذر من إسرائيل، وكان يقول نحن عسكريون لا نتعامل مع النوايا الطيبة.. اتفاقية السلام نوايا طيبة وجيدة.. يوجد قائد إسرائيلى ملتزم بها اليوم وغداً ربما يأتى زعيم لا يلتزم بها.. لازم ندرس إمكانيات إسرائيل ومتابعتها جيداً.. أدرس كل ما حولنا ومدى تأثيرها علينا.. النوايا الطيبة مرتبطة بالقيادات السياسية، يجب درس كل صفقات التسليح للدول المجاورة ومعرفة لماذا تعاقدت على هذه الأسلحة ومدى تأثير ذلك علينا.. نحن ندرس الإمكانيات لإسرائيل وكل الدول المحيطة ونتابع الذى يحدث بها.. كان مؤمناً بأن على مصر امتلاك سلاح للردع حتى تضعه إسرائيل فى اعتبارها وحسابها إذا حاولت الاعتداء على مصر براً وجواً وبحراً.. كان رأيه كرأى الرئيس جمال عبدالناصر فى ضرورة وجود صواريخ أرض ـ أرض تصل إلى إسرائيل، أمريكا تمنح إسرائيل طيرانا متفوقا عنا.. وكل الأسلحة التى تقدمها لها أكثر من التى تقدمها لنا تطوراً.. أعطونا **f16** وكذلك منحوها لإسرائيل ولكن أعطوها **f15** الأحدث منها ونحن لا..

أبوغزالة لعب لعبة لطيفة.. كان يقرأ ويدرس التسليح الأمريكى جيداً، وقرأ عن وجود طائرة هليكوبتر جبارة مقاتلة اسمها أباتشى.. وكلفنى بإعداد ورقة عن المطالب السنوية المصرية للعرض على وزارة الدفاع وأعضاء الكونجرس والخزانة الأمريكية والسى آى إيه **cia** هذه مطالب مصر حتى يعلنوا المنحة وأين ننفقها.. وطلب منى وضع الأباتشى.. نقطة البدء فى المساعدات الأمريكية هى السفارة الأمريكية فى الدولة.. وحضر إليه السفير الأمريكى، وعندما قرأ الأباتشى قال أنتم غير قادرين على التعامل مع الأباتشى.. فسبق إن كانت لكم تجارب من قبل مع طائرات أقل منها تطوراً ولم تعرفوا التعامل معها.. فقال له إسرائيل أخذت أباتشى فقال نعم.. فقال له أبوغزالة أنا عندى ثقة ضخمة فى التقييم الفنى والتكنولوجى للعلماء والعسكريين الإسرائيليين، وطالما أخذوها سوف يستطيعون فهمها جيداً.. والعسكريون المصريون لا يقلون كفاءة عنهم.. إذن يجب أن آخذها..

فقال له طالما هذا منطقك سأطلب من الحكومة الأمريكية بأن يمنحوها لكم، وبالفعل حصلنا عليها..

وجدت بعض الطرق التى كنا نعرف نتعامل بها، ونحصل على ما نريد، كان يقول الغواصة ليس بالضرورة أن تدمرها غواصة.. هليكوبتر مضادة للغواصات

تقدر تدمر غواصة، الدبابة كذلك يمكن أن يدمرها صاروخ مضاد للدبابات.. والصواريخ والمدافع تسقط طائرة.. وهكذا وبالتالى نركز على القدرة الدفاعية لمواجهة التفوق الإسرائيلى سواء فى الإنذار المبكر أو الشوشرة..

فى ٦٧ لم يكن عندنا إدارة حرب إلكترونية، الإسرائيليون شوشروا على جميع أجهزة رادار الإنذار والدفاع الجوى للصواريخ حتى كفر الشيخ.. أنشأ سلاح الحرب الإلكترونية الذى يعمل به أكثر من ٣٠٠ ضابط درس لهم التشويش والتشويش المضاد وكيفية معالجته.. مما أدى دوراً متميزاً فى حرب ٧٣..

● **اللواء عطية سليمان، دفعة ٤٩، وقائد المنطقة المركزية ومساعد وزير الدفاع الأسبق:** أبوغزالة كوزير وقائد وزميل دفعة رجل مثالى فريد من نوعه.. يقبل المناقشة منذ بداياته وحتى وهو وزير للدفاع ويحترم الرأى الآخر، طوال المدة التى خدمت فيها معه كوزير لم أجد منه غير الإنسانية والاحترام والقيادة بكفاءة.

ذات مرة وأنا قائد المنطقة المركزية.. أخبرنى بدعوة وزارة الداخلية له لعقد لقاء مع ضباطها فى إطار العلاقات المشتركة بين القوات المسلحة والشرطة.. وقمنا بحضور اللقاء وكان غاية فى الروعة ولايمكن أن أنساه.. استقبل المشير أبوغزالة استقبالاً حافلاً وحاراً من الجميع وبالتصفيق الشديد.. طلب منه إلقاء كلمة عن موقف القوات المسلحة ومدى استعدادها للدفاع عن مصر ضد أى تهديد خارجي.. ورغم أنه مطلب فجائى فإنه ألقى كلمة فى غاية الأهمية وعرض تحليلا رائعا للموقف.. فى البداية طلب خريطة لمصر وعصا ليشير بها ولكن بدعابته المعهودة قال.. "خلاص ها أخد عصا عطية، وجذبها منى وأشار بها على الخريطة وأخذ يشرح شرحا واعياً ومبسطاً..

وكان من أمتع اللقاءات التى دعمت علاقتنا أكثر بالشرطة وأظهرت مدى الدفء والتعاون والحب الموجود بين الوزارتين، وطبعاً يعود الفضل لشخصيته الرائعة التى تجعل الجميع يحبه ويحترمه..

● فى لقاءات المجلس الأعلى للقوات المسلحة كان يفرض شخصيته الجذابة المحترمة والواعية على الجميع.. لم نشعر برهبة أو ضيق أو ملل.. لقاءات يغلب عليها احتواؤه لكل رجال القوات المسلحة، مناقشة جادة لكل الموضوعات

حتى البسيطة منها.. متابعة لكل ما يخص القوات المسلحة خاصة، ومصر عامة، استماعه واحترامه لكل الآراء، عدم إحراجه لأى شخص أو تقليله من أى دور.. فى كل اجتماعاته كان حضوره طاغياً، ودعاباته تخفف وطأة الاجتماعات، وتهدئ من حدة المواقف العسكرية التى تناقش فى هذه الاجتماعات..

قبل وفاته بعدة أيام أرسلت له برقية قلت فيها.. "سلامتك يا خير القادة ويا أعز الرجال"، كنت أريد أن يشعر بأن الجميع معه ويحبه.. رحمه الله.. وأسكنه فسيح جناته..

● **اللواء يحيى خليفة مدير إدارة التجنيد سابقاً:** "لكون أبوغزالة من أصل ريفى فإنه كان بسيطاً وسهلاً وللعلاقة الطيبة بينى وبينه فإننا أزلنا عقبات كثيرة فى فترة خدمتنا معاً؛ هو كوزير للدفاع وأنا كمدير إدارة التجنيد..

فى إحدى المرات قلت له: هل يصح أن تكون وزير دفاع وأنا مدير إدارة التجنيد، وتوجد امرأة كبيرة فى السن وتريد أن ترى ابنها المهاجر فى إيطاليا خوفاً من أن يأتى ويعاقب من أجل التجنيد.. ولمعرفة موقفه التجنيدى سيفقد وظيفته فى الخارج، وهم من أجل ذلك يعملون عمرة حتى يروا بعضهم البعض وليس بهدف العمرة.. ثم أخبرته بأن الحل سهل ويمكن أن ننهى دورهم التجنيدى، فى الدول الأوربية يؤجلون التجنيد لمن يعمل بالخارج لأنهم يأتون بدخل للبلد، وحفاظاً على مستقبلهم.. وسألنى عن الحل فقلت له.. عن طريق لجان قضائية وسألنى عن صحتها، ولكن ظهر من أقنعه بأنه لا يجوز.. وواجهتنا آراء كثيرة حتى أنه قال لى.: " كيف تقول لى كلاماً لا يصح.. القضاء أبلغونى بذلك؟!"

وطبعاً لم يكن هذا الكلام صحيحا وأخبرته بذلك وأمرنى بالذهاب إلى القضاء العسكرى والمشاورة مع المسئولين وبالفعل ذهبت إلى هناك، واجتمعت برئيس القضاء العسكرى ورئيس المحاكم العسكرية والنيابة العسكرية وكل من له علاقة بالموضوع.. وتناقشنا فى كل شىء، وتمت إزالة العقبات وتم عمل اللجان القضائية..

كان أول شىء قمنا به هو حل مشكلات أولادنا بالخارج الذين لهم مواقف تجنيدية، وبالفعل نجحنا فى ذلك وأحدث ذلك صدى رائعا فى ذلك الوقت.. ـ ومازال ينفذ حتى الآن ـ أتذكر أنه أخبرنى أنه لا يريد تحميل

الدولة أى مصاريف.. وأبلغته أن العائد من الغرامات يغطى المصاريف.. ويمكننا أن نزيد قيمة الغرامات ونلغى عقوبة السجن ونصرف على اللجان القضائية.. وفعلاً قمنا بذلك وتبقى جزء من مبلغ الغرامة بعد تغطية مصاريف مأمورية اللجان القضائية فى الإقامة والإعاشة وتذاكر الطيران وغيره..

وأتذكر أن أول لجنة سافرت إلى مأمورية أخذنا من المشير أبوغزالة التصديق بمنح صلاحيات كبيرة للملحق الحربى الموجود فى الدولة التى تذهب إليهم اللجنة التى شملت عدداً من الدول منها إنجلترا وفرنسا وأمريكا وغيرها من البلاد الأجنبية

كنا نرسل اللجان للدول العربية أيضاً.. ونعمل إعلانات للتجمع فى منطقة واحدة؛ حتى يسهل حصرهم وإنهاء مواقفهم.. وكانت عملية سهلة ومريحة، القاضى يحكم ويصدر الحكم ويذهب الملحق العسكرى ويصدق على الغرامة.. أول لجنة سافرت لا تُنسَى، حيث كانت يوم مقتل السادات.. كان فيه اجتماع عندى فى المكتب للتلقين النهائى للجان وكان يوم الاحتفال بأعياد النصر، واعتذرت عن عدم الحضور للاحتفال للتأكد من التلقين.. وذهبوا لأكثر من دولة إيطاليا وأمريكا وغيرهما.. وأثناء الاجتماع حدث ما حدث.. ولكن ذهبت اللجنة لأداء مهمتها ونجحت فى المهمة وقضت على المشاكل وغطت الغرامات مصاريف المأموريات وبدل صرف الضباط، وتكررت هذه اللجان بعد ذلك، ومازالت مستمرة حتى الآن.. واستطعنا مداواة أمور كثيرة كلها فى صالح شباب المصريين..

● من مواقفه التجنيدية فى شمال سيناء

بعد ٦٧ كان أبناء سيناء تحت حكم الاحتلال الإسرائيلى، وطبعاً إسرائيل لا تجندهم.. فكانوا غير خاضعين لأى قانون وكانوا فى حيرة كاملة من التعليم، يعنى ينهى تعليمه فى أى سن حتى لو تجاوز سن الثلاثين.. وبعد حرب أكتوبر دخلوا فى حكمنا، وأصبح سن الـ٢٨ الحد الأقصى للتعليم، بالإضافة لشروط أخرى كثيرة اعتبرها البدو إجحافاً لهم، وطبعاً معظم هؤلاء الشباب يعمل بجانب الدراسة، وبدأوا يشعرون بفقد مستقبلهم.. فى ذلك الوقت، كان محافظ شمال سيناء هو اللواء منير شاش «دفعتى» وهو رجل فلاح بسيط.. كان يجلس مع الناس ويعرف كل شىء وكلمنى وأخبرنى بالمشاكل التجنيدية..

وطلبت منه تجميع كل المشاكل التجنيدية وحصرها، وقمت أيضاً فى الوقت نفسه بجمع المشاكل من خلال ضباط التجنيد هناك .. وفى خلال عدة أيام جمعنا المشاكل ووجدناها مطابقة وكل مشكلة حاولنا إيجاد حلول لها.. وظهرت لنا مشاكل تحتاج إلى صلاحيات الوزير، بعد ذلك قمت بمقابلة المشير أبوغزالة وأخبرته كيف أن أهل سيناء يرتاحون مع الإسرائيليين أكثر منا؛ لأننا نقيدهم ولا يعرفون موقفهم التجنيدى.. وعرضت عليه المشاكل والحلول وصلاحيات كل مشكلة، وأخذ يقرأ الورق بتمعن ويشاهد الحلول المناسبة، وأخبرته أن كل الحلول تصلح وهى مما يدخل فى صلاحية الوزير.. وعندما كان يوافق على كل مشكلة وحلها، كنت أطلب منه أن يكتب على الورق «تصدق» فانا أعرف البدو.. فهم لا يريدون إلا الحلول الموجودة بالفعل، وليس أن نقول لهم سوف نعمل كذا .. يعنى يريدون موافقة مكتوبة و«تصديق».. وطلبت اللواء شاش، وأخبرته بعقد اجتماع لحل كل مشاكل القبائل عنده، وذهبت أنا وكل طاقم تجنيد الزقازيق، وعرض شيخ القبيلة مشاكله وعرضنا الحلول وتناقشنا، فكانوا يسمعون كلمة «تصدق» فنرى الابتسامة والفرحة على وجوههم، فكانت حلولا واضحة وصريحة وسعيدة لهم، لا يتخيل أحد مدى الهتافات والمظاهرات والأفراح التى غمرت كل قبائل سيناء التى حلت جميع مشكلات التجنيد فى يوم واحد..

لو تكلمنا عن أبوغزالة الإنسان فأستطيع أن أقول إنه كان يتعامل مع الجنود بمنتهى البساطة.. والتواضع.. كان قوياً رياضياً يتمتع بصحة جيدة..

أبوغزالة إنسان نادراً ما يتكرر.. أب مريح وهذا اللفظ يحوى معانى كثير، حقيقى صعب أن أصفه.. عندما كنت أذهب له وهو رئيس أركان مدفعية الجيش.. أو قائد للمدفعية وكنت أشعر بالسعادة وأنا ذاهب إليه، وأظل على هذه الحالة وأنا خارج من عنده وهذه الحالة نادراً ما تحدث..

أبوغزالة كانت ظروفه المادية عادية، وكل ما وصل إليه بمجهوده وتعبه، ولم يتنازل أبداً عن مبادئه وأخلاقه، كان ذا علم غزيز وعقل كبير، وأعتقد أن أبوغزالة كُرِّم بعض الشىء وتكريمه الحقيقى هو حب الناس له.

● **اللواء على هيكل.. قائد إحدى كتائب الصاعقة خلال حرب أكتوبر وصديق شخصى للمشير يقول:** "فى رأيى أن القائد يُولد قائداً.. و ليس من

الممكن أن نعلم أحداً وندرس له كيف يكون قائداً، وكل سمات أبوغزالة كانت تؤهله لذلك.. تزاملنا فى الميدان.. خلال الاستعداد لحرب أكتوبر المجيد.. تحولت هذه الزمالة بعد ذلك إلى صداقة، وبعد أن شق طريقه وأصبح وزيراً للدفاع كان يحب التنس، وكونا مجموعة سميناها رواد التنس فى نادى الجلاء.. كنا نلعب معه، وكان الهدف من هذه الجماعة عمل مباريات ونحضر «كأس» ومن يَفُزْ يحصل عليها، وكانت فرصة للقيام برحلات طابا، شرم الشيخ، دهب.. وغيرها، بهدف التنس وأيضاً الترفيه.. وذلك فى فترة ما بعد تخلصه من مسئولياته كوزير، ولكن أثناء عمله كوزير كان يرعى المجموعة كرئيس، كنا أنشأنا صندوقاً خاصًا بالنواحى المادية للصرف على من يقومون بتنظيف الملعب والاهتمام به.. كان سخياً جداً.. كريما ويقدم أى مساعدة لأى شخص محتاج، كان واضحاً أنه يمتلك صندوقاً فى جيبه يوزع منه للمحتاجين!!..

لمست فيه نواحى إنسانية وقيادية أثناء الحرب.. المعروف أن الإنسان يظهر شكله ومعدنه أثناء الحرب، وكان يعرف كيف يتخذ القرار مهما تكن المؤثرات الموجودة عنده..

● المشير أبوغزالة يستحق ١٠ نياشين، وليس نيشانا واحدا الذى حصل عليه بعد أكتوبر.. الجميع كان يعرف الدور الذى قام به، كان موجوداً فى كل مكان، حركته وفكره وكأنه قائد جيش يتحرك بجهازه يحرك كل مدفعية الجيش..

وفى مرضه الأخير، طلبه الرئيس مبارك شخصياً للاطمئنان عليه، واستدعى طبيباً من أمريكا لعلاج المشير أبوغزالة.. الدولة لم تبخل عليه بأى شىء، وهو أيضاً أصر على العلاج بمستشفى القوات المسلحة، ورفض العلاج بأى مستشفى آخر.. ويكفى أنه توفى فى أحد المستشفيات، وحضر جنازته الرئيس مبارك «صديقه ودفعته» والمشير حسين طنطاوى وزير الدفاع وكل قيادات مصر.. على المستوى الكبير.. لا تؤخذ الأمور كما ينظر لها الناس على المستوى الصغير.

● **اللواء محفوظ حمدى/ رئيس هيئة العمليات ومساعد وزير الدفاع سابقاً قائد الجيش الثانى وملحق عسكرى بفرنسا سابقاً يقول:** أبوغزالة علامة بارزة فى القوات المسلحة بما قدمه من خدمات لكل الناس، كريم الخلق لا

أحد يذكره إلا بالخير.. لم يكن يفرق فى المعاملة بين أى فرد، كان عادلاً.. بداية معرفتى بالمشير أبوغزالة كانت مع تعيينى رئيساً لأركان الجيش الثانى.. سأتكلم عنه كقائد يتعامل مع من هم دونه.. ما لمسته فيه أنه يشجع صغار القادة والرتب الصغيرة فى إبراز عملهم.. يتعامل معم بطريقة شديدة التهذيب، يغلب عليها نوع من التشجيع.. يتكلم مع الآخر وكأنه أخ أكبر له.. فيخلق نوعاً من الثقة وعدم الارتباك فى اتخاذ القرارات أو العمل.. كنا نعمل معه ونحن مطمئنون أنه سيوجهنا التوجيه الصحيح دون عنف أو شدة، وكثيراً ما كان يوجهنى فى أحاديثه التليفونية أو مقابلاته لى.

بعد أن تولى الرئيس مبارك رئاسة الجمهورية بعد اغتيال الرئيس السادات، أول زيارة قام بها كانت للجيش الثانى، وكنت فى تلك الفترة قائداً له.. وزارنى هو والمشير أبوغزالة، وركبنا سيارة واحدة وكنت قد جهزت لهم لقاء فى معسكر الجلاء، وكانت الزيارة مفيدة وعظيمة.

أبوغزالة ورغم عمله فى الجيش الثانى وكونه من سلاح المدفعية فإنه بعد توليه وزارة الدفاع كان يدعم كل القوات على السواء دون تفرقة.. أى طلب يطلب منه طالما هو قانونى وفيه مصلحة للقوات المسلحة يوافق عليه فوراً ويدعمه ويتابع ويعطى تعليماته للقيادات والهيئات بالقوات المسلحة لتدعيم الجهة التى قدمت الطلب.

أهم ما يميز شخصيته، أخلاقه العالية، خجله الشديد رغم منصبه القوى إلا أنه كان خجولاً ويستمع بمنتهى الذوق والأدب للآخرين.. لمست ذلك وأنا مساعد له فى الوزارة وكنت مساعد وزير الدفاع الوحيد أثناء مدة خدمتى معه التى تجاوزت ثمانية أشهر تقريباً، إلى أن تمت إحالتى للتقاعد.. وكان يمنحنى صلاحيات فى كل شىء نيابة عنه.. وأثناء الاحتكاك به شعرت بشخصيته المهذبة.. كان محباً للخير، أى إنسان فى ورطة أو مرض أو ضيق أو غيره لا يتأخر عن مساعدته.. ويكثر من العطاء..

● بالنسبة للقرارات المهمة فإنه كان ينظر دائماً فيما يخدم مصر كلها وليس القوات المسلحة فقط، إذا كان العمل له مصلحة لمصر كلها يقوم بتشغيل القوات المسلحة كلها لمؤازرة وتلبية المطلب.. فى جميع المحافظات وأى مشكلة يمكن للقوات المسلحة أن تحلها لا يتوانى عن حلها..

خلال فترة تعيينى ملحقا عسكريا بفرنسا.. كانت علاقتنا قوية جداً بفرنسا فى مجال التسليح وعقدنا مباحثات كثيرة، وكان لنا صفقات ومباحثات وأبحاث معها، خاصة فى مجال المدرعات والدفاع الجوى والقوات الجوية والإشارة، المشير أبوغزلة شجع على إرسال البعثات بكثرة وإرسال ضباط للحصول على درجة الدكتوراة والدراسات المختلفة لتنويع الثقافة العسكرية للقوات المسلحة..

كان لنا فى فرنسا بعثات كثيرة ونشاط هائل وعلاقات كثيرة سواء من ناحية العلاج لضباط القوات المسلحة المصرية وعائلاتهم أو للدراسة والمأموريات وظهرت الحاجة لوجود بيت للقوات المسلحة هناك، وشجعنا المشير أبوغزالة لبناء بيت هناك خاص بالقوات المسلحة، وكلفنى تكليفا مباشرا بعمل دار أو فندق، وفعلاً اشترينا مكانا وهو الموجود حتى الآن ويساوى ملايين الملايين من الجنيهات رغم أن تكاليفه وقتها كانت بسيطة، وساعد هذا الفندق على توفيرالنفقات وحماية الضباط من التعرض لأماكن لا يجب أن يتواجدوا بها أو يقيموا فيها..

بالنسبة للجان القضائية، وأنا هناك حضرت أكثر من لجنة قضائية وقدمنا تسهيلات كثيرة لمن لم يتم تجنيدهم وجرى إعطاؤهم شهادات الإعفاء بشروط معينة.. وانتهت مشاكل كثير من الشباب المصرى بالخارج.. فهم مصريون وموجودون دائماً خارج البلاد، وهذه كانت من الأشياء التى قام بها ومازالت موجودة إلى الآن وبتوسع أكثر..

وأنا رئيس هيئة العمليات علاقتى به كانت مباشرة، عندما كان يعرض عليه موضوع أو دراسة.. كان يقرأ الدراسة ويطمئن إلى صحة الكلام.. توجيهاته تقال أولاً شاملة ما يتطلب دراسته.. وعندما يرى الرأى مدعماً بأسانيد وسليما ومتكاملا ودراسة شاملة من مجموعة ضباط أكفاء وعلى مستوى عالٍ فإنه يصدق عليه، ونادراً ما كان يعطى توجيها بعد الدراسة..

موضوع الدراسة كان يلقى تقديرا منه، ولو وجد توجيهًا يوجهه بطريقة مقنعة وبدون إحراج، كان لديه سلاسة فى القيادة واتخاذ القرار.

أبوغزالة القائد الإنسان كان يهتم جداً بموضوع كيف يصل الطعام للجندى بطريقة جيدة وعلى أعلى مستوى واستفادة، أثناء نقل الخضار كانت

الاستفادة منه عبارة عن نصفه وكثيراً منه يفسد، ففكر فى إنشاء مصانع تجميد الخضار، وتعاقدنا مع عدد من المصانع فى فرنسا وتم التنفيذ وأنا هناك لبعض هذه المصانع، وأعتقد أنها مازالت تعمل حتى الآن وطبعاً زادت من جودة أكل المجند ووفرت الوقت والجهد والحصول على خضار معقم غير قابل للتلوث..

● خلال فترة توليه وزارة الدفاع تم التنسيق على أعلى مستوى مع فرنسا، نظراً لأنه كان ملحقاً حربياً بالخارج فإنه كان يفهم مهمة الملحق العسكرى جيداً.. كان يعرف قدرته ويحاول توظيف إمكانيات الملحق فى المكان المخصص بما يخدم بلده، أحياناً كان يتصل بى بنفسه لمتابعة شىء ما يحدث عندى.

لم تنقطع صلتى به بعد خروجى من القوات المسلحة، وكنت أكلمه على فترات متقطعة فى الأعياد والمناسبات، وكنت أخجل من ترحيبه وكلمات الشكر غير العادية وكلامه الرائع الذى يقوله.. علاقتنا الإنسانية استمرت حتى وفاته..

● **اللواء محسن حمدى.. رئيس جهاز الاستطلاع وعضو الفريق الرسمى للتفاوض المصرى الإسرائيلى سابقا.. يقول:** "كنت أسمع عنه وهو قائد لمدفعية الجيش الثانى فخطة المدفعية كانت بارعة وهى أساس العبور.. جندى المشاة لا أستطيع أن أطلب منه دخول سيناء والعدو أمامه، كان لابد من تثبيت العدو أمامه.. المدفعية ثبتت كل شىء.. تثبيتا نيرانيا.. ولهذا أعتبره ملك المدفعية فى الحرب..

.. دعيت ذات مرة لإلقاء محاضرة فى الجيش الثانى الميدانى بدعوة من الفريق صلاح عبدالحليم قائد الجيش الثانى فى وقت ما.. وكان بعد تحرك العميد أبو غزالة من الجيش الثانى.. ولما كنت أسمعه عنه فقد عملت استطلاعا شخصيا منى حبًا فى هذه الشخصية، أتلمس من خلاله معلومات أكثر عن شخصيته، وكنت أسال عمن خدم أو تعامل معه.. وفعلا سمعت وشاهدت بنفسى كلاما ومعلومات وشعبية كبيرة توازى ما سمعت عنه وأكثر كثيراً..

المشير أبوغزالة كان يهمه الضابط والجندى وتوفير كل ما يهمه وذلك حتى تكون نفسيته مرتفعة ويقبل على عمله وواجبه بكل حب واطمئنان.

ومن معاملته مع الأمريكان سعى لنقل كل ما كان يراه عندهم من اهتمام ورعاية مقدمة إلى الجنود والضباط إلى أبنائه فى الجيش المصرى عندما تولى وزارة الدفاع.. فمثلاً قام بنقل كل معسكرات القوات المسلحة خارج العاصمة.. وعمل على بناء شقق مثل عمارات التوفيق و.. .. .. وأيضاً وفر تقديم قروض لتسهيل شراء سيارات وبالتقسيط، وهو بذلك وفر على الدولة إتاحة شقق للضباط.. وأزال عنهم هذا العبء .. قدم للضباط خدمات قدمت لهم لأول مرة ولم يقدمها أو يفعلها غيره..

قام أيضًا بتوفير كل شىء للضابط من بدل وملبس وأفرولات وجوارب وقمصان وأحذية وكل شىء.. وذلك من خلال عمل عقد كورى، وقام بصرف بدل شتوى وصيفى لجميع الضباط والجنود، وقبل ذلك كان كل ضابط يفصل بدلته على نفقته الخاصة وعند الترزى الخاص به..

كان أيضاً يقوم بتذليل أى عقبات تقابل الضابط.. فمثلا ضابط كان يعد الدكتوراة بلندن وكان مسموحا له بسنتين فقط، ولكنه كان سيحتاج لثلاثة أشهر إضافية، وأرسل إلى إدارة البعثات يخبرهم بذلك فأخبروه بعدم الموافقة طبقاً لقانون البعثات.. فقام بإرسال خطاب إلى المشير أبوغزالة يخبره بالموقف فقام على الفور بالتصديق له والموافقة على مد المدة، وذلك حفاظًا على مستقبل الضابط وحقه فى الحصول على الشهادة التى سافر من أجلها.. كان يناقش مدير الإدارة المختص ورئيس الهيئة ويقنعهم بقراراته..

● المشير أبوغزالة شخصية محترمة واثقة من نفسها.. ويثق فى زملائه وأصدقائه ومن يتعامل معهم ويمنحهم الثقة.. فمثلاً كنت أذهب إليه فيقابلنى فوراً مهما تكن السكرتارية مزدحمة، وفور دخولى إليه كان يقول لى ـ بلا مبالغة ـ تصدَق.. تصدَق يا محسن.. موافق على ما تريد.. من قبل أن يسمعنى وهذا لم يأت من فراغ، بل من عشرة وخبرة وثقة وتعاملات سابقة؛ ولأنه أيضاً يعلم أننى كنت أعرض تقاريرى من قبل على مدير المخابرات ورئيس الأركان.. ولم يوجد سوابق أو تصرف فعلته وكان خاطئا من قبل.. وكان أيضاً يعلم أننى أحقق شيئا إيجابياً ونتائج ملموسة مع الإسرائيليين، وهذا يراه من تقاريرى وما أحققه من نتائج مع الإسرائيليين.. كنت أمثل وفد

مصر وأسعى مع باقى أعضاء الوفد لعمل احترام وهيبة لها، ولدينا إطار محدد لا نتعداه ونعرف متى نستأنف ومتى نقوم وننسحب..

باختصار، كان يخلق الثقة فينا ويؤكد لنا أنه يثق فيما نفعله ويشجع ويساند.. وكانت معاملته تجعل الفرد يتشجع ويعمل أكثر.. لم يكن أيضاً يتردد فى قراراته بل كان صاحب قرار وشجاعًا..

وعلى الرغم من أنه لم يسع لإيذاء أحد أو عقابه، فإن القوات المسلحة كانت منضبطة وحازمة وصارمة أثناء فتره توليه قيادتها.. حب الناس له كان يجعلهم ملتزمين ولم يوجد خطأ أوتبجح..

● **اللواء عبد المنعم سعيد.. رئيس هيئة العمليات السابق.. يقول:**

"ليس هناك شك أن المشير أبوغزالة أحد رجال القوات المسلحة الكبار، والذى أعتز بخدمتى معه ومعرفتى له عن قرب، ذكرياتى مع هذا الإنسان الرائع الذى ترك بصمة فى حياة كل من خدم معه، أو استمع إليه، أو شاهده مجرد رؤية فقط، أو حتى عاصره لا أستطيع أن أنساها.. شخصية نادراً ما نجدها ثانية.. أعرفه منذ أن درست على يديه فى الكلية الحربية، وخدمت معه فى أكثر من مكان حتى توليه وزراة الدفاع.. علاقتى به كانت مستمرة حتى بعد التقاعد.. فى فترة ما عينت قائداً لفرقة وعملت تفتيش حرب لهذه الفرقة ولم أكمل عاما حتى أرسلنى لهيئة العمليات رئيساً لفرع التخطيط بها، وكنت قد رقيت إلى رتبة اللواء وأنا فى دراسة بأمريكا.. وتوليت عددا من المناصب إلى أن عينت قائداً للجيش الثانى الميدانى، واستلمت الجيش من الفريق صفى الدين أبوشناف ومن ضمن الأشياء الرائعة فى تلك الفترة طلب منى عمل تفتيش حرب يتم لأول مرة فى القوات المسلحة.. وتم عمل تشكيل بالكامل يجرى تفتيش حرب يشمل كل الأفراد ويعرف كل فرد مهمته والمعدات التى يتم رفع كفاءتها الفنية والقتالية والإعداد الجيد لها، ويقف أمامهم قائد الفرقة والكل يصطفون من لواءات ومدفعيات ومدرعات وشئون إدارية.. تحميلا كاملا يخرج خارج الميدان، ويكون مؤهلا.. وهذا الإعداد أخذ نحو ستة أشهر فى إعداده.. قمنا فيه بإعداد أحدث زى.. كل فرد كان يفهم مهمته وقادرا على تنفيذها، بجدارة.. حوالى ١٢ ألف مقاتل وآلاف من الضباط والمعدات والذخائر جاهزة للبدء.

حضر المشير أبوغزالة التفتيش، وكان سعيداً جداً بما شاهده وأمرنى أن آخذ قائد الفرقة ونرى الفرقة من الجو بالطائرة، لأنه أثناء حضوره ومشاهدته من أعلى للتشكيل كان منظراً رائعاً، وفعلاً قمت بعمل ذلك والطريف فى ذلك أن قائد الفرقة التى نالت الإعجاب هو المشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع وكان وقتها برتبة لواء.

فكرنا أيضاً فى الجنود وكانوا يمكثون فى خنادق، فقلنا نحن فى وقت سلام لماذا لا نبنى معسكرات للوحدات، وفعلاً عملنا نموذجاً لكتيبة وهذه الفكرة انتقلت معى عندما كنت فى المنطقة الغربية.. وصدق وقتها بمبلغ لتنفيذها، وتبنيت الموضوع وعندما نقلت نقل معى الفكرة وأمرنى بعمل لواء بالكامل فى الجيش الثانى..

وفى الفرقة التى عملت تفتيش الحرب اخترنا منها لواء مدرعا.. الجنود تبنى ونحن ندبر كل مواد البناء وبدأ تطوير الجيش معسكرات القوات المسلحة بالجهود الذاتية..

أقام مزرعة لزراعة الزراعات التى يحبها الفرنسيون؛ وذلك لتسديد ديون بعض أنواع الأسلحة القادمة من الخارج.

أذكر وأنا فى الجيش الثانى أن عينت رئيساً لهيئة عمليات القوات المسلحة وخدمت فيها ثلاث سنوات، منها عام ونصف العام معه.. سافرنا أكثر من مرة معه ومع السيد الرئيس مبارك للعديد من الدول.. ومنها السودان ورأست الجانب العسكرى، وكنا نحل مشكلة الجنوب وقمنا بالحديث مع الناس لمساعدتهم فى حل المشكلة.. وسافرت إلى العراق بتكليف منه فى فترة حكم الرئيس صدام حسين خلال أزمتها مع إيران.. وأيضاً ليبيا بعد التصالح مع الرئيس القذافى..

كنا نسهر ونتجمع مع كثير من الأصدقاء كل فترة ونتكلم فى كل شىء ونضحك ونتذكر الزمن الجميل، وكان دائماً نجماً ساطعاً متألقاً بين الجميع بحديثه الشيق وحواراته الجذابة وروحه المرحة وثقافته الشديدة.. رحيله أصابنا بفقدان كبير نشعر به جميعاً ولكنها سنة الحياة وقضاء الله.. رحمه الله.

● **اللواء مسعد ششتاوى.. رئيس عمليات المنطقة المركزية سابقاً يقول:**

لم تكن علاقتى بالمشير أبوغزالة علاقة مباشرة، ولكن بمرور الذكريات، أتذكر مواقف حدثت معه، والحقيقة الجانب الإنسانى كان يغلب فيها على الجانب العسكرى، لم أخدم تحت قيادته مباشرة، ولكن من موقعى بفرع عمليات الجيش الثالث خلال حرب أكتوبر، أو موقعى كرئيس شعبة عمليات المنطقة المركزية أثناء توليه وزارة الدفاع.. أذكر أنه أثناء عرض قرارات المنطقة المركزية على الوزارة وبحكم منصبه كرئيس للأركان أو وزير للدفاع كان يتواجد فى هذه الجلسات.. ووجدت فيه العلم والإنسانية، كان قائداً إنساناً.. ذا علم غزير وفى نفس الوقت فى قمة التواضع..

● يعتبر المشير أبوغزالة من القيادات والشخصيات التى أثرت فىَّ كثيراً مثل قيادات كثيرة كالمشير أحمد بدوى وغيره.. أبوغزالة أثر فى وانطباعاتى التى اكتسبتها منه جعلتنى أسير على نهجه وأنا قائد.. تحضرنى شخصية أبوغزالة فى كل القيادات وخصوصاً فى مراحلى العسكرية الأخيرة.. مررت بقادة كثيرين منهم أعداد ضخمة.. أخذت منه الجانب الإنسانى ونميته عندى، القيادة الحازمة.. اهتمامه بالعلم وحصلت على كل دورات القوات المسلحة العليا والمتوسطة.. هذه تأثيرات المشير أبوغزالة وهو قائد قدوة..

أنا شخصياً أعطى انطباعاتى عن هذا الرجل الذى لم يكن لى علاقة مباشرة به ولم أعمل تحت قيادته، فما بالك بمن كانوا متلاصقين به فى عمل أو يعملون تحت قيادته أو ارتبطوا بصداقته، أو نفس سلاحه ماذا يقولون.. فى ٥٨/ ١٩٥٩ درس لى هذا الرجل ذات يوم.. كانت العقيدة الشرقية الجديدة، قبل التحرك لسوريا أيام الوحدة.. كنت أدرس فرقة عقائد شرقية، بعد صفقة الأسلحة من تشيكوسلوفكيا وروسيا، وكان لابد من عقيدة شرقية جديدة بديلة مع العقيدة الغربية التى كنا نتبعها.. وكان يدرس لى فى مرحلة معينة.. فكنا نذهب ونمر على العديد من مدارس الأسلحة مثل الإشارة والمشاة والمدفعية.. وأبوغزالة سقانا المدفعية فى ساعة ونصف الساعة، مدة المحاضرة.. وأنا ضابط مشاة وخريج الحربية وقادة وأركان وأكاديمية ناصر، لكن حتى فى ٥٨ لم أعرف ولم أفهم المدفعية الحقة إلا منه وكان هو فى ذلك التوقيت برتبة صاغ "رائد"..

عندما كنا نعرض أى قرار مع قائد المنطقة المركزية وهو وزير الدفاع كانت المناقشات معه فى الموضوعات والقرارات الخاصة بالعمليات والمشروعات هادفة ومحللة ودروسا مستفادة.. وتوجهات فى التو واللحظة للتنفيذ ولتحسين الأداء وتلافى الأخطاء، لا نستطيع أن ننسى هذا الرجل، أنا كنت أعشقه وأحترمه وأقدره.. كان حازماً وإنساناً وعالماً..

فى يوم وأنا رئيس شعبة العمليات بالمنطقة المركزية.. دعى السيد الوزير أبوغزالة لإلقاء محاضرة عن الموقف العالمى وأفريقيا بالذات، وذلك فى أكاديمية الشرطة بالعباسية وطبيعى أن نحضر معه.. لأن هذه الكلية تتبع المنطقة المركزية من الناحية الأمنية والسيطرة..

ويا للمحاضرة من جمال العرض والقفشات السريعة التى كان يتميز بها.. والعلم الغزير الذى يتمتع به بشكل لا يتصوره بشر، كنت فخورا وأنا بين الطلبة وضباط الشرطة واللواءات وهم معجبون به، وكأنى أنا الذى أتكلم ولم يتوقف لحظة.. استمرت المحاضرة حوالى ثلاث ساعات، كل نصف ساعة تصفيق له من إعجاب الحاضرين لعلمه وقفشاته وقبوله عند الآخر..

من عدة سنوات كنت أقود سيارتى أثناء الذهاب لابنتى ناحية دار الإمداد والتموين، وعند تقاطع شارع مكرم عبيد مع طريق النصر، كانت سيارة أخرى تريد أن تمر، فأشرت لقائدها أن يسير ولكنى فوجئت بصاحبها يقف ويشير لى بأن أسير أنا وعندما قربت له لشكره وجدته المشير أبوغزالة.. ودون أن يتعرف على وبكل تواضع وبساطة.. فأخذت أحييه وأصررت على أن يسير هو..

● **اللواء عبد الرحمن الهوارى يقول:**

المشير أبوغزالة شخصية متعلمة لأقصى حد.. متنوع الثقافة، ثقافته ليست عسكرية فقط، بل تشمل نواحى عديدة علمية وفكرية ومستقبلية، اتصف المشير أبوغزالة بدراسته العميقة للمجال الاستراتيجى واعتبر واحداً من أهم أساتذة الاستراتيجية فى مصر.. كان قائداً محبوباً من جميع مرءوسيه، متعاوناً لأقصى درجة، لديه القدرة على حل المشاكل، اجتماعيا وبسيطا.. عندما كنت أزوره فى بيته.. كنت أراه فى منتهى البساطة وشخصا عاديا لأقصى درجة، أبوغزالة تميز بالخلق العظيم ومعاملته مع الناس معاملة غير عادية تجعلك ترتاح له من أول لقاء.

أبوغزالة كان رجلاً رياضياً ويعشق كرة القدم والبلياردو، وكان يلعب كرة فى الساحة الموجودة أمام قصر عابدين يرتدى الفانلة والشورت، بسيطا واجتماعيا ويشعر أى فرد بالاهتمام والاحتواء..

● **اللواء فريد حجاج، صديق شخصى للمشير الراحل.. يقول:**" أول مرة قابلته كان فى عام ١٩٥٨.. لفت نظرى وسألت عنه وعرفت أنه سكرتير مجلس قيادة الثورة، ولكنه تركها من أجل العودة للقوات المسلحة.. وبكل أمانة استغربت جدا فهذا المنصب فى غاية الأهمية وله كيان ووضع يتمناه أى إنسان.. والثورة فى ذلك الوقت كان لها صدى مدو.. وسألت نفسى لماذا ترك كل هذا.. ووجدت الإجابة بعد سنوات عديدة وعندما أصبحت لواء وهو مشير وقال لى: "صراحة أنا فوجئت بالمنصب وأهميته.. كنت يوزباشى حديثا، وسلطاتى غير محدودة ولا معقولة.. وبكل أمانة خفت من نفسى.. ووجدتنى أسعى لأن أعود مرة أخرى لصفوف القوات المسلحة حتى لا أفقد ذاتى ".

التقينا مرة أخرى بعد عودته من بعثة روسيا وكنا فى مدرسة المدفعية و كان مقررا ذهاب بعثة ثانية بعد عودة البعثة الأولى.. واجهنا مشكلة كيفية إحضار مدرسين مؤهلين للتدريس لطلبة معهد المدفعية.وتطوع هو للقيام بهذا الدور وقام بنفسه بانتقاء ضباط أكفاء تعهد هو بتعليمهم وتدريبهم حتى عودة البعثة من روسيا.واختار مجموعة مميزة ومنهم أنا واللواء عبد الرحمن الهوارى .. وبدأ يجهزنا لأداء المحاضرات، وكنا نحضر معه أثناء قيامه بالشرح وبكل أمانة.. كان من أحسن المعلمين.. فى الشرح والتخيل والتحليل وجذب انتباه الطالب والتعليم، بالإضافة لبسمته ووجهه البشوش المريح.. معلما فوق الوصف.. وبدأ يعطى محاضرات ويعطينا خلاصة علمه الذى درسه فى روسيا.. وأنا أعتبر هذا الجيل الذى تدرب على يديه من أحسن أجيال المدفعية.. أبوغزالة كان يعطى محاضرات بنفسه، وهو قائد جناح يعنى رئيس كرسى، ولا يجد غضاضة فى أن يصحح الامتحانات بنفسه أو يقوم بالمشاريع بذاته.. فى هذه الفترة شعرت بقيمة هذا الرجل العظيم وتنبأت بأنه سيكون قائدا عظيما ذات يوم وسعينا لتقليده..

فى هذه الأثناء توفى ابنه ولكنه عاد يكمل محاضراته وتدريسه للطلبة رغم حزنه الشديد الذى لم يفارقه حتى قبل وفاته بقليل.. لقد علمنا درسا فى الإيمان والصبر والقوة..

المشير أبو غزالة من يومه رجل متطور يكره الروتين.. ينمى الفكر والابتكار.. بجانب ذلك يعشق الرياضة، وكان يمارس جميع أنواعها واكتشفنا أنه لاعب بلياردو مذهل فى هذه الأثناء مثلما كان لاعبا متميزا فى الألعاب الأخرى..

المرة الثالثة لالتقائى به كانت وهو قائد مدفعية الفرقة الثالثة، واختارنى من المعهد لأكون معه وعينت قائد كتيبة وبكل أمانة كان مدرسة فى التدريب وطلب أن يختبرنى وأخبرته أن يتركنى لمدة شهر واحد أجهز وأطور نفسى وكتيبتى وبالفعل قال لى الجبهة أمامك وسأنتظر..

المشير أبوغزالة لم يعرف شيئا اسمه معسكر.. فى الجبل كنا نتدرب ليل نهار.. ويختبرنا بكل دقة.. من روحه الجميلة فى ذلك الوقت كان معى زميل فى كتيبة أخرى وضرب طلقة اختبار الصبح وعندما علم وجدته أمامى ليؤكد لى أنه يعرف كل شئ!!"

نعود للتدريب ونجده أنه كان لعبته ومتعته يعنى أوقات نكون بنلعب شطرنج وفجأة يقول لى:"جهز كتيبتك.. "ويضبط ساعته.. وكان أول قائد يعمل بيان مشروع مدفعية فرقة فى ١٩٦٩..

تمر الأيام ونفترق ونلتقى مرة أخرى فى إدارة المدفعية، وكنت فى فرع التدريب وهو رئيس أركان المدفعية.. وكنت عائداً للتو من بعثة لإنجلترا للحصول على دورة أركان حرب، ووجدنا هناك دورة تخصصية يعنى تمنح ماجستيراً فى الأسلحة المختلفة وتكتيكاتها.. غيرنا فى مصر نمنح دورة أركان حرب عامة.. ووصينا بعد العودة بضرورة التخصص ولأن علاقتى به جيدة عرضت عليه وتحمس للكلام وساعدنى وعملنا دراسات وقابل المشير الجمسى وعرض عليه الفكرة وبالفعل أقيمت أول دورة أركان حرب تخصصية تقريبا فى١٩٧٥.. والذى ساعد على تنفيذها هو اللواء أبوغزالة فى ذلك الوقت..

من سماته الرائعة أنه كان يستمع لجميع الآراء وليس معنى أنك تعارضنى

أنك ضـدى.. وأى فكـرة جـديدة أو جـيـدة ينمـيـهـا ويتـبناها ويسـعى لتنفيذها..

اشـتـركت مـعـه فى إعـداد أكـثـر من كـتـاب وترجـمناه.. وتقـريبـا كل الكتب العـسكرية الروسـيـة قـام بتـرجـمتـهـا.. المشـيـر أبوغـزالة حـبـاه الله بالخط الجميل.. وبالقلم الرصـاص كان خطه من أروع ما يمكن.. وبعد رحلة حافلة وبعد الخروج من الخدمـة التقينا مـرة أخرى فى نادى الجلاء وفـريق التنس الذى ظل يواظب على الحـضـور إليه والتـدريب لآخـر لحظة فى حيـاته قـبل مـرضـه الأخيـر، وبكل أمـانة كـانت فـتـرة من أمـتع مـا يمكن لا نسـتطيع أن ننساها.. كان يلعب معنا يوميا وتدار مناقشات فى كل جوانب الحياة ونقوم برحلات من أروع ما يمكن.. حياة اجتماعية رائعة وفى غاية البساطة..

إنه رجل أحب القـوات المسلحـة وكـان يعـتـز بهـا ويقـدرها، ولذا كـان نادى الجلاء متنفسـه وبيتـه ومستشفى الجلاء المحطة الأخيـرة التى رحل عنا وهو يرقد فيه.. فقدانه آلمنا جميعاً ومازلنا نشعر بألم الفراق.. له الرحمه والجنة بإذن الله.. "

● **اللواء محمد طلبة، قائد مدفعية الرئاسة العامة للقوات المسلحة سابقاً يقول:**

"فى مـدرسـة المدفـعـيـة عـام ١٩٦٤، كـان أبوغـزالة مـدرسـاً بالمدرسـة لمادة بناء عـربات ومـدافـع، وكنت فى الدورة الأسـاسـيـة للضـبـاط الأصـاغـر قـادة فـصـائل، وكـان يدخل علينا الرائد أركـان حـرب أبوغـزالة فـى مـحـاضـرة لمدة ٤٥ دقـيـقـة يبدؤها بأية قرآنية أو حديث شريف ويقوم بتفسيرها مثل سورة سبأ مثلاً وكان تفسيـره فى منتهى السهولة واليسر.. ثم يتكلم معنا عن نفسه وبيته قليلاً وأذكر منها أنه تحدى نسيبه فى أنه بعد أربع سنوات سيحصل على بكالوريوس تجارة وسـيـأخذ الماجسـتـيـر وحقق فـعـلاً مـا أراد فـحـصل على بكالوريوس تجـارة من جـامـعـة القـاهـرة ثم التحق بكلية أركـان حـرب وحـصل على مـاجسـتـيـر فـى العلوم العسكرية ثم زاد على ذلك بحصوله على ماجسـتـيـر إدارة الأعمال من جـامـعـة القـاهـرة، ثم بعد ذلك يحكى لنا نكتة أو قـصـة مـضـحـكة.. وفى آخر عشر دقائق يتعرض لموضوع المحـاضـرة الأسـاسـى ويشرحه بطلاقـة ويسـر، حتى أننا حينما دخلنا اختـبـار مـادته لم نسـتـذكـر شـيـئـاً، بل كنا نتـخيل كلامـه معنـا فى الفصل

الدراسى ونكتب كل ما ذكره لنا.. فلقد كان يعلم تماماً كيف يجعلنا نحب مادته رغم صعوبتها وتعقيدها وكيف نتفوق فيها بالفهم وليس بالحفظ"..

بعد حدوث نكسة يونيو١٩٦٧، كان برتبة عقيد أركان حرب، واستعانت به إدارة المدفعية فى إعادة تشكيل وحدات المدفعية مرة أخرى.. فعين قائداً للواء الذى نخدم فيه وتغير تسليح اللواء بمدفع روسى جديد أحدث وأكثر تطويراً من المدفع السابق، وحضر الخبراء الروس إلى مصر لتدريبنا على هذا المدفع ومن منطلق معرفته وإجادته للغة الروسية بجانب الإنجليزية والفرنسية وأيضاً العربية كان يحضر معنا الدورة مع الخبراء ويختصر كلام وشرح الخبراء بالترجمة الفورية من الروسية إلى العربية.. وبعد انتهاء الدورة بدأنا فى تدريب ضباطنا وجنودنا على المدفع الجديد، وكان دائماً معنا فى كل وقت وكل مكان حتى استطاع تشكيل اللواء فى زمن قياسى، واتجهنا باللواء إلى السويس لأداء واجب العمليات، وتركنا أبوغزالة حيث عُيِّنَ قائداً جديداً للواء.. وذهب أبوغزالة لقيادة لواء آخر وهكذا.. ولا أنسى له أنه أدار أكثر من مسابقة على المدفع كان يوزع فى نهايتها جوائز عينية مما جعلنا نحب مدافعنا وننام فى أحضانها دائماً.

ويكمل اللواء محمد طلبه كلامه ويقول: وتمر الأيام ويتولى العقيد أبوغزالة قيادة مدفعية الفرقة الثالثة المشاة ثم يبدأ مرحلة دخول الصواريخ أرض - أرض إلى المدفعية المصرية، ويشكل أول لواء لها ويقوده بالطبع العقيد أ.ح/ أبوغزالة وكنت تحت قيادته وجاءت المعدات وبدأ التدريب وفى أحد الأيام كنت معيناً فى خدمة مناوب العمليات عن قائد اللواء، فدخلت مكتبه وأحسست بالحرج أن أجلس على مكتبه فجلست على مقعد بجوار المكتب، ودخل علىَّ فلما رآنى هكذا، قال اجلس على مكتبى فإنك تنوب عنى فى هذه الخدمة ولا حرج فى ذلك واتصلت ابنته ليلى به فأخذ يتكلم معها بكل حب وود وشوق.. وعلمنى كيف يكون الأب ورب الأسرة فى تعامله مع أبنائه، وانتهت الدورة وكالمعتاد تركنا أبوغزالة لينتقل إلى وظيفة أخرى..

فى عام ١٩٧٤، حضرت دورة قادة كتائب بمعهد المدفعية وكم كانت سعادته حينما رآنى ضمن أوائل الدورة أثناء تخرجنا..

فى عام ١٩٧٦ عين اللواء أبوغزالة ملحقاً عسكرياً فى الولايات المتحدة

الأمريكية وأحبه الأمريكان بدرجة كبيرة، وكانت محاضراته فى مختلف الجامعات الأمريكية تلقى قبولاً منقطع النظير من جميع الشخصيات الأمريكية والأجنبية والعربية، كما أنه حقق وفورات كثيرة فى النقد الأجنبى لمصر والقوات المسلحة من جراء صفقات شرائية لمصر من الولايات المتحدة تقترب من ملايين عدة..

ونتيجة لنجاحه مع الجانب الأمريكى وإشادتهم بما يقوم به، فإن السيد الرئيس محمد أنور السادات حينما زار الولايات المتحدة بعد عامين من عمل أبوغزالة كملحق دفاع عسكرى فى أمريكا فإنه صدق على استمرار أبوغزالة لمدة عام ثالث كملحق عسكرى فى الولايات المتحدة الأمريكية.. والمعروف عنه أنه كان يقوم بعمله بمنتهى النشاط والحيوية ويساعد جميع بعثاتنا المصرية فى الولايات المتحدة وفى أى اتجاه واتسعت دائرة اتصالاته مع جميع السفراء والملحقين بما فيهم أعضاء الكونجرس الأمريكى، ولا ننسى له كيف عالج أزمة السكر فى مصر باتصالاته وعلاقاته مع أعضاء الكونجرس.. وحينما زار السادات الولايات المتحدة وتقابل مع أبوغزالة استشعر بأنه أمام عقلية متفتحة تجمع بين العسكرية الحديثة المتطورة وبين الذكاء السياسى الرائع، فقام بتعيينه مديراً للمخابرات الحربية عام ١٩٧٩.

وأذكر له أنه قد صدق من الفريق أول كمال حسن على وزير الدفاع - فى ذلك الوقت - على علاج زوجة أحد قادة المدفعية فى بون/ألمانيا بعد إصابتها بالشلل على نفقة القوات المسلحة..

فى عام ١٩٨٧ قام المشير أبوغزالة باختيارى للسفر معه إلى تركيا للتعرف على أحدث الأسلحة هناك ومنها الطائرة إف ١٦ ، المدفعية" وكان بعدها سيتوجه إلى فرنسا لحضور معرض الطيران الفرنسى «لابورجيه»، واستمرت زيارتنا لتركيا خمسة أيام، لم نذق فيها طعم النوم إلا قليلاً.. ومن المواقف الطريفة والتى تدل على بساطته.. أذكر أنه كانت غرفتنا أمام غرفته فسمعناه ينادى علينا ذات مرة فخرجنا مسرعين فوجدناه يلتحف ببشكير طويل ويقول شوفوا المياه انقطعت.. فضحكنا وتم حل المشكلة وفى اليوم الخامس وهو يودعنا على الطائرة قائلاً لنا: " أنتم تعبتم معايا قوى عشان كده بلاش تسافروا اليوم وسافروا غداً".. وشكرناه وكلنا أمل أن نذهب معه فى

أى مكان أو على الأقل يصل هو إلى مصرنا الحبيبة وهو فى تمام الصحة والعافية..

حينما أصبح أبوغزالة وزيراً للدفاع حرص على حضور احتفال سلاح المدفعية بعيده السنوى يوم ٨ سبتمبر من كل عام، وكان بعد العشاء يجتمع مع جميع المحاضرين وبنفس عادته يجلس معنا لمدة ساعة أو يزيد ما بين النكتة وخفة الظل ثم يكلمنا فى السياسة والاقتصاد والموقف السياسى العسكرى وكانت اللحظة التى كنا لا نريدها مطلقاً هى أن يغادرنا أبوغزالة لنكون فى شوق لإعادة لقائه بعد عام آخر.. وحينما خرج للحياة المدنية بعد عام ١٩٨٩ لم يحضر مطلقاً يوم المدفعية وكان دائم الاعتذار..

من المواقف التى تدل على بساطة الرجل أنه كان يغادر الوزارة نحو الساعة الخامسة عصراً وشاهد، وهو فى طريقه إلى منزله أحد الضباط الأصاغر ممسكاً بغطاء الرأس فى يده فأوقف سيارته واستدعى الضابط فلما شاهده الضابط ارتبك وظن أنه هالك، فإذا بالمشير أبوغزالة وزير الدفاع يقول له بحنو وحزم فى آن واحد "البس البيريه.. حتى لا تتعرض للمساءلة.. ثم تركه دون أن يؤذيه..

أيضاً حينما كان وزيراً للدفاع كان الضباط يبحثون عن أحد الدوسيهات المهمة ولم يعثروا عليه فدخل عليه أحد الضباط الساعة الرابعة والنصف عصراً، وكان أبوغزالة جالساً على مقعده خلف المكتب وهو فى إغفاءة بسيطة، فلما أحس أبوغزالة أن أحداً دخل المكتب سأله عما يريد فأجابه الضابط أنه لا يجد الدوسيه المطلوب.. وفوجئ الضابط بأبوغزالة يقول له الدوسيه فى الدولاب.. فى الدرج كذا.. فذهب الضابط واستخرج الدوسيه من الدولاب والدرج اللذين ذكرهما أبوغزالة..

بعد انتهاء حرب تحرير الكويت وكنت مشتركاً فى هذه الحرب، وأثناء تكريمى من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك نزلت من على المسرح بعد تكريمى فوجدت أبوغزالة ويوسف صبرى فى الصف الأمامى فأديت له التحية كأحسن ما تكون فابتسم بفرح وأشار بيده أن أستمر فى طريقى.. وصفق الحاضرون حينما شعروا أن ما حدث ما هو إلا لمسة وفاء صغيرة من أحد ضباط القوات المسلحة نحو رجل وصل إلى منصب وزير الدفاع ومساعد رئيس الجمهورية،

وقد كان فى ذلك الوقت خارج الحياة العملية ولكنه مازال فى عطائه ينعكس على كل من عرفوه أو لم يعرفوه ربما اسماً وأحبوه فى كل الظروف..

يقول اللواء محمد طلبة: إنه قبل وفاة سيادة المشير أبوغزالة بنحو ثلاثة أشهر فى مستشفى الجلاء وحينما شاهدته توجهت مسرعاً إليه، وسلمت عليه مع انحناءة مليئة بالتقدير والحب والإعزاز فقال لى "لا تحن رأسك إلا لله عز وجل فقط".. وضحك.. وكنت أتمنى أن أقول له:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولاً

ولم أره بعد هذه المقابلة إلا وأنا أصلى عليه فى مسجد آل رشدان..

● **اللواء حسنى سليمان مدير إدارة المدفعية ومساعد الوزير سابقاً يقول:**

خلال فترة الوزارة.. كنت رئيس فرع التدريب والعمليات فى الوزارة وهو كان وزير الدفاع، كان أعجوبة.. كان رجلاً شديد الذكاء وسريع البديهة، تعرض عليه المذكرات والدراسات والمحاضر فيقرؤها فى خمس دقائق مهما يكن عدد صفحاتها ويضع نقاطا على الأحرف المهمة ويعطى قراراً صائبًا فيها..

مرة حضر إلينا وفد من الكونجرس الأمريكى يضم نحو ٣٠ شخصية مهمة، وكان معهم السفير الأمريكى فى مصر فرانك ويزنر ومكثوا معه نحو ثلاث ساعات كل واحد منهم يسأله سؤالا وانبهروا انبهارا غير عادى من ردوده وشرحه الوافى وإجابته على كل الأسئلة.. لدرجة أنهم تخطوا ميعاد الزيارة المحدد ولم يتركوه إلا بعد أن أخبرهم السفير الأمريكى أن برنامج الزيارة المحدد فى وزارة الدفاع انتهى ومازال فى البرنامج العديد من الزيارات.

أما عن زياراتنا الخارجية:

أذكر أننا ذهبنا إلى إيطاليا فى وفد رسمى لأول مرة برئاسته وكان معنا رؤساء قوات البحرية والجوية ومندوبون من الأسلحة المختلفة واستقبلونا استقبالا رسميا، وبعد ذلك عقدنا اجتماعا فى وزارة الدفاع الإيطالية.. وجلسنا على منضدة الجانب المصرى بجواره وخلفه وجلس أمامنا الوفد الإيطالى وكان مكونا من وزير الدفاع ورئيس الأركان الإيطالى ورؤساء القوات البحرية والجوية وغيرهم.. المشير أبوغزالة كان معه خريطة عن أمن البحر المتوسط،

وانطلق فى الكلام والشرح والعرض المذهل لدرجة أذهلت الجانب الإيطالى وقاموا من أماكنهم والتفوا حوله نحو ساعة ونصف الساعة، يستمعون لشرحه وحديثه وتصوره عن الأمن والقيام بتوجيه الأسئلة له.. وهذه الزيارة كانت من أجل التعاقد على طائرات هليكوبتر ومعدات حرب إلكترونية مع عدد من الشركات والمدن الإيطالية وكانت زيارة موفقة بصورة كبيرة..

الزيارة الأخرى كانت فى الأردن.. استقبلنا زيد بن شاكر القائد العام للقوات الأردنية، وبعد مراسم الاستقبال ذهبنا معه إلى مكتبه ثم أخبر المشير أبوغزالة أن الملك حسين يدعوه هو والوفد المصرى المرافق له إلى الغداء فى قصره.. وبالفعل ذهبنا ومكثنا معه أكثر من ثلاث ساعات من الثانية ظهراً وحتى الخامسة مساءً.. فى البداية كان فيه نوع من التحفظ وبعد ذلك انطلقا فى الحديث فى كل الموضوعات التى يمكن تخيلها.. كان لبقا وذكياً وعالماً بكل شىء أى سؤال يوجه إليه يجيب عنه فى منتهى السرعة والجرأة بحيث يثير إعجاب الموجودين معه..

● **اللواء دكتور حسام الدين خيرت، خريج الكلية الفنية العسكرية ، رئيس البحوث الفنية والمشروعات الخاصة بوزارة الدفاع سابقاً، يقول:**

"تعرفت على المشير أبوغزالة فى ٦٧بعد تخرجى فى الكلية الفنية بشهر واحد فقط.. كان مدرساً بمدرسة المدفعية، وكنت فى دراسة تأهيلية لتدريس مادة رادارات، وتقابلت معه ومنذ هذا التوقيت ونحن أصدقاء حتى قبل مماته بساعات كنت أزوره فى مستشفى الجلاء..

حصلت على المركز الأول فى تخرجى، ولذلك عينت مدرساً بمدرسة المدفعية حتى ١٩٧٢ بعد ذلك نقلت إلى مصنع الصواريخ واشتغلت بأبحاث حتى ١٩٧٤.. أثناء الحرب كنت على اتصال دائم به، وكان هو فى قيادة مدفعية الجيش الثانى واستطعنا تقديم بعض الأفكار التى تفيد أثناء حرب أكتوبر باستخدام الأسلحة والأفكار التى طورناها.. بعد ذلك عدت إلى المدفعية وعينت رئيساً للبحوث الفنية بها وكان أبوغزالة رئيساً لأركان المدفعية، وظللت فى هذا المنصب حتى ١٩٨١ مسئولاً عن البحوث والتطوير لجميع الأسلحة وحصلت على كثير من الجوائز من هيئة البحوث ومديرى المدفعية اللواء منير شاش واللواء يوسف صبرى واللواء أبوغزالة.

وبعد أن أصبح المشير أبوغزالة وزيراً للدفاع اختارنى للعمل معه فى الوزارة مسئولاً عن جميع البحوث الخاصة بالتطوير لكل أسلحة القوات المسلحة، وخصنى بتولى مشروعات حساسة ومهمة، والحمد لله تمت كلها بخير وبنسبة نجاح عالية ودعمت موقف مصر فى التصنيع الحربى.. خلال تسع سنوات كنت مسئولاً فيها عن التطوير، وتم فى عهده تطوير المعدات والأسلحة بنسبة عشرين ضعفا ما قبل تاريخ١٩٨١ وتوليه وزارة الدفاع.. ونشر ذلك فى ديسمبر عام ١٩٨٢ بـ (الأهرام) فى عددها الأسبوعى الجمعة وكانت أول مرة ينشر عن ضابط مصرى وصورته والتطوير الذى أحدثه فى التسليح وذلك فى الصفحة الأولى.. والذى أصر على نشر ذلك هو المشير أبوغزالة وذلك حتى يطمئن الشعب المصرى بوجود ضباط يطورون ويوفرون مئات الملايين من الدولارات، ويضربون المثل والقدوة لكل المصريين وكان ذلك بالاتفاق مع الرئيس مبارك رئيس الجمهورية ولوجود قضايا فساد وانحرافات كثيرة فى ذلك الوقت.. ونشرت الصورة بالإنجازات وإثبات أن مصر فى هذا المجال لها إمكانيات كبيرة.

أثناء خدمتى مع المشير أبوغزالة كان يوافق على أى طلب نطلبه للتطوير - سواء لخريجى الكلية الفنية - والتى كان يتبناها ويقول إنه المفروض أن خريجيها هم المسئولون عن تطوير القوات المسلحة وتأهيلهم جيداً وأول مرة يحصلون على دراسات هندسية فى تطوير وتصميم المعدات والصواريخ والذخائر والطيران فى جميع المجالات العسكرية من الكتلة الشرقية ثم الغربية بقدر الإمكان..

وكان من ضمن ذلك إحداث تطوير كبير بواسطة هؤلاء الخريجين والمهندسين والضباط المسئولين عن التطوير فى العمليات والاستخدام..

وجميع من اشترك فى التطوير مصريون ولم يوجد أى أجنبى، وذلك لأن هذا ممنوع عالمياً مهما يوجد تحالف بين الدول لأنه لا توجد دولة تعطى أسرارها لدولة أخرى..

المشير أبوغزالة كان يشجع ويوافق على إقامة أية معامل أو دراسات أو تطوير معدات وإحداث تغيرات وغيره.. وأذكر أن نسبة بعثات الدكتوراة فى الخارج كانت للعديد من الدول فرنسا وأمريكا وألمانيا، ونظراً للانفتاح مع

الكتلة الغربية فى هذا الوقت.. واكتسب هؤلاء الضباط خبرة كبيرة، واشتركوا معى فى تطوير القوات المسلحة بعد حصولهم على الدراسات وعودتهم إلى مصر.. وحققنا إنجازات كبيرة والحقيقة أنه لم يتأخر فى تقديم أى ميزانية للبحوث والتطوير؛ لأنه كان يرى أن العائد كبير جداً ولا يمكن الحصول عليه ووجد أشياء لا يمكن شراؤها.. المعروف أنه كلما زاد التقدم العلمى فى النواحى العسكرية زاد الحظر عليها.

أكبر تطوير حدث فى الثمانينيات وما بعد ذلك وحتى الآن، وإسرائيل تعلم ذلك جيداً ولا يتملكها الشجاعة فى القيام بأى عمل عدوانى على مصر أو الدخول فى الأراضى المصرية لأنها تعلم إمكانياتنا الفنية وما حصلنا عليه وحرب ٧٣ كانت نموذجاً عملياً بالرغم من أننا لم نكن نطور الأسلحة إلا بنسبة بسيطة.. هذا الإنجاز الرئيسى فى التعامل مع المشير أبوغزالة، إنجازاته فى كل مكان إسكان ومياه وشبكة مواصلات واتصالات وكبارى وغيرها..

كان كل همه أن نعطى مثلا للمدنيين ونساعدهم.. كان يرى أن أى مشروع يفيد القوات المسلحة ثم الجهات المدنية نتدخل ونساعد فيه، ذات مرة كنت نوبتجى فى الوزارة، وإذا به يكلمنى ويخبرنى أنه قرأ خبرا فى إحدى الصحف الأجنبية عن تطوير موضوع معين وطلب منا تجميع كل البيانات ومعرفة أصل الموضوع حيث يمكن تحقيقه فى مصر والاستفادة منه.. وكان يكلم الوزراء ويعطيهم الفكرة ويتبناها أولاً بالقوات المسلحة.

أزمة العيش

فى فترة توليه وزارة الدفاع حدثت أزمة للخبز فى مصر، وكعادة القوات المسلحة ومشاركتها فى الأزمات التى تجتاح البلاد فى أى وقت فإنه ألزمنا بالاتصال بالمصانع الحربية وجمع المسئولين وطالب بعمل خط إنتاج الرغيف وفى خلال شهر ونصف الشهر، تم حل المشكلة ومن خلال مصنع حربى، وتم التغلب على المشكلة فى مصر كلها..

وتكررت المشكلة نفسها هذا العام وفى عهد المشير حسين طنطاوى، واستطعنا أيضاً التغلب عليها.. هكذا هى القوات المسلحة أمن مصر ودرعها فى وقت الحرب والسلام..

وعن مساعدته للأزمات فى مصر.. حدث ذات مرة تلوث للمياه فى محافظة البحيرة، وانتشر هذا الموضوع فى الجرائد، وأحدث ذعراً شديداً لكل المواطنين، والسبب مصنع صرف مخلفاته، وكانت عبارة عن مواد سامة فى الترعة، وكانت ستؤدى لوفاة وإصابة محافظة بالكامل ثم سائر المحافظات، حتى البحر الأحمر.

تدخل الجيش وقام المشير أبوغزالة بالإشراف والمتابعة شخصياً على هذا الموضوع، وتم مشاركة فريق من الحرب الكيماوية لمعالجة المياه وتنقيتها لمدة ٤٨ ساعة متصلة، وتم معالجة هذه المشكلة التى كانت يمكن أن تؤدى لوفاة آلاف من الناس وأصبحت صالحة للشرب..

فى عهده تم لأول مرة إعداد شبكة نقل عام للقوات المسلحة، بحيث لا يستخدم أى ضابط أو جندى فى المناطق العسكرية بالقاهرة وخارجها لأى وسيلة مواصلات مدنية؛ وذلك حتى يزيل العبء عن الدولة، وحتى يوفر وسيلة نقل آمنة للعسكريين..

● **العميد أحمد صالح، ضابط مدفعية ومن أعز أصدقاء المشير ومن فريق التنس:**

"بداية معرفتى بالمشير أبوغزالة عندما كان القائد العام للقوات المسلحة وكان يلعب رياضة تنس بنادى الجلاء.. كنت برتبة المقدم ألعب أمامه ومعى كثير من الضباط.. وفى الحقيقة تعلمنا منه أشياء كثيرة وكل الصفات الجيدة من الالتزام والروح الرياضية العالية والدقة.. كنا نلعب تقريباً يومياً معه ولكن العلاقة لم تتدعم كثيراً وبمجرد خروجه من الخدمة زادت العلاقة وزادت الروابط وتدعمت وهو أيضاً ازداد وقته لمارسه اللعبة معنا..

آخر ثلاث حجات له كنت أرافقه، ولأنى كنت مستدعى فى القوات المسلحة فإنه استأذن القائد العام المشير حسين طنطاوى للسماح لى بالسفر معه.. وعن سبب اختياره لى للسفر معه، فإنه يعود إلى ارتياحه النفسى لى، فكنا فى فريق التنس نحو ثلاثين فرداً ولكنه كان يفضل أن أذهب معه..

كان شخصية مرحة وبسيطة، أى موضوع يتكلم ويسرد فيه.. معلوماته العامة غزيرة، قارئا جيدا، كلامه مؤثر.. عندما يتحدث لابد أن تنصت له، كان يهتم بالصغير قبل الكبير، ولو من فرد أصغر منه فى السن أو الرتبة ولو

أن جنديًا أو عاملاً فى النادى وغيره أراد أن يصافحه فإنه يقف من الكرسى ويسلم عليه ويسأله بإلحاح إن كان يريد شيئا أو مساعدة..

كان دائم الإيثار والولاء للزملاء ودائم تقديم الخير للسائقين ويصرف لهم مرتبات شهرية، ودائماً كان يشترى البطاطين ويوزعها على المحتاجين ويحضر حلوى للأطفال ومن يجمعون الكرة من الملعب ويهتم بالبراعم ويحضر لهم جوائز من جيبه الخاص لتدعيمهم والاهتمام بهم.. وأى ظرف طارئ سواء كان مرضا أو زواجا أو وفاة أو غيره فإنه يقوم بتجهيز ظرف به مبلغ من المال، ويكلف أحد الأشخاص بإرساله إلى الأسر المحتاجة..

فى منزله كان يحب الجلوس فى غرفة مكتبه، والتى يطلق عليها الصومعة، وهى عبارة عن غرفة كبيرة بها كرسى ومكتب وتليفزيون وجهاز كمبيوتر وكتب لا حصر لها.. كان كل اهتمامه قراءة الكتب والمجلات فى مختلف أنواع العلوم وكان يشترك فى كثير من المجلات والجرائد العالمية والعربية ويقرؤها بكل اهتمام وكان يكتب فى بعض الجرائد العربية فى فترة من الفترات.

كثيراً ما كان يحضر إلى النادى وهو يقود السيارة بنفسه.. فترة مرضه كانت فترة قصيرة لم يرقد كثيراً فالذى أعرفه أنه مرض مرتين قبل ذلك، ولكنه كان يحضر لمارسه التنس.. صحيح ليس بنفس الصورة المعهودة من قبل لكنه كان يلعب..

المشير أبوغزالة دائماً كان يريد الفوز، ولو خسر «جيم» فإنه يركز جيداً فى «الجيم» الآخر حتى يفوز بالمباراة..

باختصار المشير ابو غزالة ممكن يخسر جولة ولكنه لا يخسر المعركة، فاللعب مثل المعركة لها فنيات وتكتيك وتكنيك..

وعن معايير اختيار أصدقائه.. أجاب العميد أحمد قائلاً: الحقيقة أراد كثيرون صداقته والاقتراب منه وكان يقدر كل شخص ويختار من يرتاح له ويخرج معه.. معاملته كانت جيدة مع الجميع.. كثيراً ما كان يعزمنا -أسرة التنس- على الغداء أو العشاء بعد انتهاء اللعب.. فى كل رمضان كان يعزم كل المجموعة عنده على الإفطار أوالسحور مرة أو أكثر وهذا هو أول رمضان يقدم علينا بدونه..

أما عن مجموعة التنس فإنه كان دائم الاهتمام بها.. كان يرسل لكل فرد منا كرتونة محملة بكل ما لذ وطاب فى رمضان، وفى المولد النبوى وحلاوة المولد وكل المناسبات والأعياد وفى أعياد الميلاد كان يرسل لكل فرد تورتة وهدية خاصة به دون تفريق أو تمييز أبوغزالة باختصار كان مجاملاً وكريماً جداً مع الجميع..

القائد العام للقوات المسلحة المشير حسين طنطاوى صدق له بالسفر للعلاج بباريس مرتين وسافر وعولج وعاد مرة أخرى للعلاج وفى المرة الأخيرة قرر هو دخول مستشفى الجلاء وكان يزوره القائد العام المشير طنطاوى ويطمئن عليه والحقيقة أن وزارة الدفاع والقوات المسلحة هى الجهة الأولى التى لم تتأخر عنه لحظة فى أى شىء يطلبه..

● **السيد سامى شرف.. الدفعة ٤٩ وسكرتير الرئيس جمال عبد الناصر:**

أبوغزالة شخصية عظيمة وإنسان رائع، كنا زملاء فى الكلية الحربية ولكن للأسف لم يجمعنى القدر معه فى السرية نفسها أو السلاح.. ولكنى أتذكر أنه كان من الطلبة المتميزين والمثابرين المنتظمين.. كان جاداً محبوباً..

فى خطواته العملية تولى هو المناصب العسكرية وأنا استمريت فى الرئاسة.. علاقتنا كانت زمالة وصداقة يملؤها الاحترام والتقدير.. كنا نتقابل فى المناسبات واللقاءات فى بعض الأحيان ونتذكر أيام الدراسة.. وكانت لقاءات فى غاية الدفء والحب والفضل يعود لشخصيته الودودة الرائعة.. رحمه الله على كل ما قدمه وعلى أخلاقه وعلاقاته بالآخرين..

● **يقول اللواء حسنى السبع.. الدفعة ٤٩:**

أبوغزالة نعتز به كإنسان وكطالب ممتاز علماً وخلقاً وعسكرياً؛ مما أهله للحصول على رتبة وهو فى الكلية وكان يقود الطلبة وزملاءه يعنى من يومه وهو قيادى التفوق الأخلاقى كان له درجة ودور لا يقل عن التفوق العلمى والعسكرى، طريق أبوغزالة معروف وعمل أشياء نعتز بها ونقلت القوات المسلحة من مستوى لمستوى آخر.. استطاعت من خلاله الوقوف على أرجلها.. أبوغزالة لم يتأخر عن تقديم واجبه ورفع مستوى الجندى فى أى وقت..

● الراحل جمال كمال كبير المحررين العسكريين.. نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية يقول:

"العسكرية المصرية انضباط والتزام وكل قادتها يلتزمون بذلك.. وأحد هؤلاء القادة المشير أبوغزالة والذى تولى قيادة القوات المسلحة فى مرحلة أزمة والخروج من حرب أكتوبر ١٩٧٣وبناء مصر بعد ما خسرته قبل وأثناء الحرب.. ومواجهة الانفتاح الاقتصادى وغيره من الأحداث الكثيرة فى فترة الثمانينيات.. فى هذه الفترة كان الشعب المصرى فى حاجة ملحة لاكتساب ثقته فى القوات المسلحة التى يحبها ويحترمها والمشير أبوغزالة استطاع أن يفعل ذلك.

أزعم أن المشير أبوغزالة أول من قرَّب للشعب مفهوم الاستراتيجية العسكرية والأمن القومى، من قبل كان الناس لا تعرف هذه المصطلحات، ساعده على نقل ذلك الإعلام ولذلك كان يكن للإعلام كل تقدير واحترام.. باختصار صنع انفتاحاً بين القوات المسلحة ومؤسسات الدولة.. أذكر حضوره ذات مرة مؤتمراً فى الحزب الوطنى -رغم عدم انتمائه لأى حزب- وكان يتحدث عن أمن مصر القومى وتكلم بطريقة أذهلت وأعجبت الجميع.. وقد كان أول مرة تظهر لجنة الدفاع والأمن القومى.. وعند وضع خطط الموازنة كان يلتقى بأعضاء مجلس الشعب "لجنة الدفاع والأمن القومى".. وهذا ما زاد حب الناس فى القوات المسلحة وفيه..

أبوغزالة تحدث عن مصادر التهديد لمصر، ورغم اشتراكه فى لجنة مشتريات السلاح مع أمريكا عام١٩٧٥، والحصول على أول صفقة سلاح" عندما كان ملحقاً عسكرياً بواشنطن.. ورغم علاقته الجيدة بأمريكا فإنه كان يقول: "الأمريكان لن يعطونا ما نريد من أسلحة ".. إنه كان قائدا مختلفا لم نتعود عليه..

أتذكر عندما كنت أقابله كان يسألنى: هل قرأت الكتاب العربى أو الأجنبى كذا.. فأقول: لا .

فيكلف أحد الضباط بترجمة الكتاب لو كان بلغة أخرى ويمنحه لى قائلاً: "بعد عشرين يوما نتناقش فيه.. "وهذا يدل على مدى تقديره للعلم والاستفادة منه.. وكان دائماً يستمع للرأى الآخر..

موقف فى إحدى المناورات.. يبين مدى ثباته الانفعالى وسرعة بديهته..

أثناء إحدى المناورات وبحضور رئيس الوزراء الدكتور فؤاد محيى الدين.. والفريق صفى أبوشناف قبل توليه رئاسة أركان حرب القوات المسلحة بيوم واحد.. وفى حضور رئيس هيئة التنظيم والإدارة وعدد كبير من الصحفيين وأعضاء مجلس الشعب.. وأثناء العرض أطلقت إحدى الطائرات صاروخًا بجوار المنصة -بطريق الخطأ-.. فماذا فعل فى هذا الموقف الذى أفزع الجميع ؟!..

تمالك نفسه وكان يمكن أن يمر الموقف عادياً جداً، لكنه كان يمتلك سرعة بديهة عالية وتكلم كعادته بكل بساطة وقال: "أكيد شوفتوا ماحدث وهذا يؤكد كيف أننا نتعب فى التدريب وممكن نموت وتحصل خسائر أيضاً" .. وأتذكر أننى سألته ننشر هذا الكلام، فقال :" نعم ينشر، الناس كلها شاهدت ما حدث والخبر ها يتسرب للجميع..

● **موقف آخر.. بعد أحداث المنصة..** أحضر الأمريكان طائرات حديثة هى "أواكس" وتم عرضها فى معرض أقيم فى مطار غرب القاهرة لمشاهدتها وتم نصب منصة قماش والجو كان باردا والرياح شديدة.. وفجأة طارت المنصة وفزع الجميع وجرى، إلا هو ظل ثابتاً فى مكانه لم يتحرك..

● **المشير أبوغزالة فى كثير من الأحيان كان صريحاً لأبعد حد..** كتبت مرة مانشيتا كبيرا فى جريدة الجمهورية عن حصول مصر لأول مرة على مدفعية ذاتية الحركة «١٥٥ مم».

وكان الموضوع مدعماً بالصور.. وسمع الموضوع وكان صداه رائعاً رغم أن النيابة العسكرية كانت تحقق معى لأنه لم يكن للنشر بعد.. وعندما التقيت به أخبرنى أن الموضوع رائع ولكن الصفقة لم تصل بعد وكان لا يجب التصريح بها قبل وصولها.. لكنه طمأننى فى نفس الوقت.. وأن الموقف سيمر على خير..

● أنا أزعم أن أبوغزالة استطاع أن يحافظ على القوات المسلحة فى وقت كان يمكن أن تنفلت، بعد معاهدة السلام.. فمعظم جيوش العالم بعد اتفاقيات السلام يحدث فيها نوع من الهدوء والتراخى ويمكن أن تصل إلى نوع من الانحلال.. ولكن ذلك لم يحدث فى الجيش المصرى ووجدنا اهتمامه بالتطوير والتسليح واهتم أيضاً بإنجاز مشروعات تنمية كثيرة أسعدت الشعب المصرى وساهمت فى التنمية الشاملة للدولة..

● كنت أطلق عليه لقب القائد القدرى.. المشير أبوغزالة كان يقول لا أقبل أن أكون وزير الدفاع والإنتاج الحربى فقط، بل القائد العام للقوات المسلحة فالأول منصب سياسى، أما أنا فأحب أن تكون علاقتى بالقوات المسلحة..

العلاقة بين المشير أبوغزالة والرئيس مبارك كانت جيدة وكلها احترام وصداقه وزمالة.. فى فترة توليه القوات المسلحة كان للقيام بمهمة معينة وعندما انتهت تولى منصباً آخر لأداء دور آخر..

● قيل عنه إنه رجل أمريكى.. وطبعاً عمره ما كان رجلا أمريكيا أو غيره.. لكنه كان رجلاً متعلماً يعرف كيف يتحدث ويتكلم مع الأمريكان وكل العالم.. والذى يؤكد الكلام أنه هاجم أمريكا وهو وزير وذلك رداً على من يقول إنه كان أمريكى النزعة..

● قبل حرب الخليج الثانية "الغزو العراقى للكويت" كلمنى الساعة الحادية عشرة مساءً، وأبلغنى أنه يتوقع أن أمريكا ستضرب خلال ساعات وفعلاً حدث ذلك بعد مكالمته بساعات قليلة، وطبعاً هذا يعود لخبرته الاستراتيجية وقدرته على التنبؤ وعلاقته بكردسمان وتومس فريدمان وكان يتناقش معهما، والمعروف أن كردسمان أكبر معهد دراسات وقام بعمل جزء كبير من كتاباته.. مثل حرب الخليج /ما بعد العاصفة.. المشير أبوغزالة كان يشرح لى الموقف وأبعاده بكل وضوح ووعى وعندى مقالات كثيرة له كان يرسلها لى لنشرها فى جريدة «الجمهورية»، وتنبأ بكثير من الأحداث والحروب والتى فعلاً تحققت بعد ذلك ومازالت تتحقق حتى الآن فى جميع أنحاء العالم وفى الشرق الأوسط..

كان يشعر بأن عليه مسئولية.. ترجم كتبا من أروع ما يمكن.. فى ترجمته لكتاب نيكسون تنبأ بأن أمريكا تبحث عن عدو.. وذلك عندما كان وزيراً للدفاع..

● **أبوغزالة لم يمنح ولا ترقية استثنائية..** حصل على تدرجه الوظيفى من أوله منذ كان ملازما ثانيا إلى أن صار مشيرًا.. أول وزير دفاع يكثر من الأحاديث الصحفية ويلتقى برؤساء تحرير الصحف ويحول العسكرية من كلام جامد وجاف إلى كلام بسيط ومفهوم لكل فئات الشعب..

أيام حرب الخليج الأولى "العراق وإيران" ذهبت إلى هناك تسع مرات وبمجرد عودتى كان يطلبنى ويسألنى عما رأيته ورأيى فى الوضع ويناقش معى فى كل شىء.. بكل أمانة إننى أدين لهذا الرجل بالكثير، فهو الذى علمنى وعرفنى ما هى العسكرية بمعناها الصحيح..

● أقامت مصر أول معرض للسلاح فى مطار ألماظة عام ١٩٨٣، وحضره الرئيس محمد حسنى مبارك وبينما أقف مع باقى الإعلاميين أجده يشاور لى بأن أذهب إليه وكان بجواره الرئيس مبارك، ووجه كلامه للرئيس مبارك قائلاً:

"الولد ده ينفع رئيس تحرير.. ولكن مشكلته إن سنه صغير.. فقال لى الرئيس مبارك: طب ورينى شطارتك واسأل.. فوجهت عددا من الأسئلة لسيادة الرئيس ونالت إعجابه..

وبعدها قال لى أبوغزالة.. برافو عليك.. طولت رقبتى"..

● **علاقته مع الرئيس حسنى مبارك ورؤساء أركانه ومساعديه وضباطه من أحسن ما يمكن..** اللواء تحسين شنن رحمه الله كان من أقرب القادة له، وكان دمه خفيفا ويسعى دائماً إلى أن يقص عليه أحدث النكت والمواقف الطريفة.. والفريق سيد حمدى قائد قوات الدفاع الجوى دفعته وصديقه..

● **بعد تقاعده عن العمل كان يكلمنى وأكلمه باستمرار وكان يرسل لى أى كتاب جديد يقوم بتأليفه أو ترجمته ويسألنى عن رأيى فيما كتبه..**

● أنا حقيقى أقول إنه ظاهرة فى كل شىء.. وشخصية نادراً ما تتكرر.. مع احترامى لكل قادة القوات المسلحة وكفاءتهم.. ومع ذلك أزعم بأن المشير أبوغزالة له تلاميذ وقادة.. وجميع القادة السابقين واللاحقين والموجودين يكنون له كل التقدير والاحترام.. وهو أيضاً كان يكن كل تقدير للقادة السابقين له ولم نسمع يوماً أنه تحدث بطريقة مسيئة عن الفريق فوزى أو سعد الشاذلى على الرغم من خلافه معهما سابقاً فى بعض الأمور..

● **قائد عظيم..** شاهدت مرة معركة كلامية وكنت طرفاً فيها وذلك عندما تكلم الدكتور عبد العظيم رمضان عن حرب الاستنزاف وقال إنها حرب لم يكن هناك جدوى منها وخسرت مصر بسببها الكثير.. وهنا رد عليه المشير أبوغزالة ردا موضوعيا ووطنيا.. ورددت أنا قائلاً إنها الإرادة المقاتلة.. قيمتها أنها لم تحطم الإرادة المقاتلة فى الشعب المصرى، وفى أقل من ست سنوات التحم الشعب مع الجيش وحولوا الهزيمة إلى انتصار مدوٍ وهذه الإرادة المقاتلة لم تتكسر والذى ساعد على صمودها فى حرب الاستنزاف..

● **أبوغزالة لم يكن عنده طموح سياسى..** كان قائدا وضابطا قبل أى شىء.. كان نموذجاً للقائد العسكرى الذى يدرك مهمته، ويعرف حدود الواجب الواقع عليه ويؤمن بقدرات الشعب..

المدفعية عمقت من تميزه فى الرياضيات .. فضباط المدفعية دائماً يحسبون كل شىء؛ وبالتالى أصبحت عقليته منسقة، وعندما أدخل مشروعات التمية وكانت بدايات الانفتاح الاستهلاكى.. وبداية المقاولين.. وأقام شققا فى امتداد رمسيس ومدينة التوفيق .. وقام أيضاً بتخفيض أسعار الشقق..

● المشير أبوغزالة من أوائل القائلين إن المؤسسة العسكرية لم تأت من فراغ، فالضباط هم كل فرد من الشعب المصرى، لذا يوجد نوع من التلاحم بين أبناء الجيش المصرى .

أول قائد يحضر أفراحا عندما تصل إليه دعوة فرح كان يحضر ويجامل وبعد خروجه من الخدمة لم يحضر أفراحا، ولكنه كان يحضر واجبات العزاء ويزور المرضى..

رفض أن يكون مستشاراً لأى دولة وقدمت له عروض كثيرة من دول الخليج والسعودية.. وكانت مغرية للغاية..

عرض عليه شيئان ورفضهما .. أن يتولى رئاسة النادى الأهلى، وكان يقول معقولة وزير دفاع مصرى فى ماتش كورة حد يقول كلمة سيئة فى حقه.. ملك السعودية أرسل له كثيراً دعوات للحج وقبل بعضها ورفض بعضها، واعتذر وكان يرفض حفلات الاستقبال ".

● **يقول السيد شوقى حامد، المحرر الرياضى بجريدة «أخبار اليوم»:**

المشير أبوغزالة قدم لى خدمتين غيرتا تاريخ حياتى.. الخدمة الأولى أثناء عملى بالقوات المسلحة، وكنت برتبة عقيد، قدمت له طلبا بالموافقة لى على الكتابة فى إحدى الصحف القومية، ووافق على أن يكون الاسم بدون ذكر رتبتى العسكرية وبدون أى إلزام مالى من القوات المسلحة لى..

المرة الثانية طلبت منه الحصول على دبلومة من كلية الإعلام.. ووافق وأصدر تعليمات بعمل دبلومة للعلاقات العامة والشئون المعنوية ودرست أنا ومجموعة من الضباط لمدة عام.. وكانت دراسة جيدة استفدنا منها كثيراً..

من مواقفى الشخصية معه..

مرة وأثناء قيامى بعرض عملى على الفريق إبراهيم العرابى، رئيس أركان حرب القوات المسلحة.. ألزمنى بتعليمات كثيرة لتنفيذها.. وبعد انتهاء المقابلة صعدت للدور العلوى لمقابلة المشير أبوغزالة لعرض المجلة عليه ولتكملة باقى عملى.. كنت عقيدا ورئيس تحرير مجلة النصر ومستشارا إعلاميا للوزارة.. وأخبرنى مدير مكتبه أنه مشغول جداً وفى حالة لا تسمح بالمقابلة.. ومع ذلك عندما أخبره سكرتيره بوجودى أدخلنى على الفور وركز معى فى كل شىء، ووجدت أشياء وافق عليها وأخرى لم يوافق عليها.. فأبوغزالة كان متعدد الاتجاهات والاهتمامات ويستطيع التركيز فى أكثر من موضوع فى وقت واحد.. المشير أبوغزالة فى قمة حالته الانفعالية يستطيع أن يأخذ قرارا لحظيا وفى التوقيت المناسب ويتخذ القرار الحاسم الأصوب.. المشير أبوغزالة كان إنساناً قبل أن يكون قائداً.. إنساناً، أباً، حنوناً يتعامل معنا كأبناء..

● ظهرت ديمقراطيته فى الكتابة أثناء كتابتى عن فريق الأهلى ضد فريق الجيش

عندما كان يريد نشر خبر أو تكذيب خبر أو الرد على موضوع ما.. كان يطلب من المقربين أن اتصل به ويبلغنى بما يريد.

كان له جلسات أبوية، وكان مسموحاً فيها بتوجيه أى سؤال له، وكثيراً ما كنا - الصحفيين - نسأله عن حقيقة الشائعات التى تروج عنه، وكان يضحك ويقول.. من أطلق هذه الإشاعات ناس عندهم خيالات وأوهام مريضة، وليس لها أساس من الصحة.. ومن عنده حقيقة مؤكدة فليظهرها وبعدين أنتم صحفيون لازم تكونوا متأكدين من الشائعة وحقيقتها.. ثم يستمر فى ضحكه ولا يعلق..

كان يحب النكتة ودمه خفيفاً جداً ومثقفاً لأبعد درجة.. موسوعى الثقافة والقراءة.

اللواء حسن عبد الغنى مدير إدارة الشئون المعنوية سابقاً (رحمه الله)كان دفعته وأنا كنت مديراً لمكتب سيادته، وأذكر أثناء فترة تولى المشير أبوغزالة لمنصب مدير المخابرات كان بينهما أمر ما وعاتبه اللواء حسن وعبر له عن غضبه فى مكاملة تليفونية.. وبعد ساعات قليلة، وجدنا اللواء أبوغزالة يحضر بنفسه لمصالحة اللواء حسن ويقبله ويخبره أنهم زملاء وأشقاء مهما يحدث. وتم تصفية الموقف وإزالة الخلاف فوراً.. هذا الموقف حدث أمامى، موقفان إنسانيان قام بهما أمامى مع اللواء حسن عبد الغنى.

عندما أحيل اللواء عبد الغنى للتقاعد كان معاشه نحو ٢٧٥ جنيها فقط فى فترة الثمانينيات.. واتصلت بالمشير أبوغزالة أبلغه بهذا المعاش لضآلته دون معرفة اللواء حسن بذلك.. ووجدته يطلب منى كتابة طلب بيدى للتصديق على معاشٍ استثنائى له فوراً ودون علم اللواء حسن بذلك.. ذات مرة مرض اللواء حسن مرضاً شديداً بعد التقاعد، حدث له أزمة قلبية وطلبت مكتب المشير أبوغزالة وأبلغتهم أن حالته تستدعى السفر للخارج للعلاج.. وأمر فوراً المشير أبوغزالة.. مدير الخدمات الطبية بأن يسافر اللواء حسن وزوجته على نفقة القوات المسلحة فوراً وسافر فى اليوم التالى إلى مستشفى لندن كلينك وغير أربعة شرايين..

مازلنا مع الأستاذ شوقى حامد الذى يواصل حديثه قائلاً: " مرة كتبت عن المنتخب العسكرى وقدمت له شكوى فى رئيس هيئة التدريب والمشرف على المنتخب العسكرى فى ذلك الوقت المرحوم تحسين شنن والذى اتهمنى فيها بالقسوة فى وصف أداء المنتخب بالتواضع فى إحدى المباريات.. فكل الذى فعله أنه ابتسم قائلاً.. وهل مطلوب تجميل الأداء على غير واقعه!!.

يواصل الناقد الرياضى شوقى حامد ذكرياته ويقول: سألته فى إحدى المرات هل صحيح ما تردد فى الشارع الرياضى المصرى من أن سيادتكم سترشح نفسك لرئاسة أحد الناديين- الأهلى أو الزمالك - فأجابنى بكل صدق:

" أنا ملك كل المصريين ولست حكراً على فئة لونية خاصة.. فلو أن أحد الأندية كان ملك كل مصر فلن أتردد فى رئاسته"..

ويختم كلامه قائلاً.. المشير أبوغزالة نال حبا واستحوذ على مشاعر هائلة من العواطف.. بكته كل الأعين وحزنت عليه كل الأفئدة وودعته كل القلوب.. وتوجهت الأكف بالضراعة إلى الله أن يسكنه الجنة.. فقد كانت له مكانة عالية ومنزلة سامية فى نفوس كل الشعب المصرى؛ لأنه كان واحدا من أخلص وأصدق رجالات القوات المسلحة

● **الكاتب الصحفى أسامة هيكل.. مدير تحرير جريدة الوفد:**

المشير أبوغزالة كان جندياً شريفاً يتحلى بأخلاق ورجولة العسكرية المصرية العريقة.. فى عام ١٩٨٦، وقعت أحداث الأمن المركزى الشهيرة.. وخرجت القوات المسلحة للسيطرة على الأوضاع المنفلتة، ونجحت، وبعد انتهاء الأزمة، وبعد أن أدت القوات المسلحة مهمتها بشرف، أصدر الأوامر بسحب القوات المسلحة من الشوارع والميادين بهدوء، لتعود الأمور إلى طبيعتها وسط احترام وحب الجميع له وللقوات المسلحة، وفى أكتوبر ١٩٧٣ كان قائدا لمدفعية الجيش الثانى الميدانى، وبرزت قدراته

بوضوح أمام قادته العسكريين وأمام الرئيس السادات، الذى عينه ملحقاً عسكرياً فى الولايات المتحدة الأمريكية، فى الوقت الذى كانت تتجه فيه مصر للتحول من الفكر الشرقى للفكر الغربى، وهناك فهم المجتمع الأمريكى بدقة..

وهذا الفهم هو ما جعل نقده للمواقف الأمريكية دقيقاً ومقنعاً وأميناً.. فكانت مصلحة مصر عنده فوق كل اعتبار، وقد فطن إلى أن المصلحة المصرية تتعارض فى كثير من الأمر مع المصالح الأمريكية فى المنطقة، وهو ما ظهر فى العديد من مؤلفاته.

وحينما كانت مصر تحتفل عام ١٩٨١ بالذكرى الـ٢٥ لنصر أكتوبر المجيد، كانت إسرائيل تحتفل بالذكرى الـ٥٠ على قيامها، ونظمت فى ذلك حملات إعلامية دولية مكثفة ذكرت فيها أنها هى التى كسبت حرب أكتوبر ٧٣، وانفعلت لهذه الأكاذيب، فتحدثت معه وأعجبنى رأيه وطلبت منه أن يكتب رداً علمياً منهجياً على هذه الادعاءات الإسرائيلية، فرد بتواضع أذهلنى قائلاً:

يا أسامة.. أنا كنت ضابطا صغيرا فى الحرب، وهناك من هم أقدر وأحق منى بالرد.. وفهمت خجله، فأخبرته أننى تحدثت بالفعل مع المشير محمد عبدالغنى الجمسى والمشير محمد على فهمى، رحمهما الله، فكتب رداً تحليلياً عميقاً بخط يده نشرته فى حينه بجريدة الوفد، ومنذ عامين، كنت أتحدث معه عن الحرب اللبنانية - الإسرائيلية الأخيرة وأثرها على مستقبل الصراع فى المنطقة، فطلبت منه أن يكتب رأيه فيها، فرد بصوت حزين: أنا عاوز أعيش ما تبقى فى عمرى مع أولادى وأحفادى فى هدوء بعيداً عن الصحافة والإعلام.. ولم أكن أعرف وقتها أن المرض بدأ يدب فى جسده، واحترمت رغبته، وظل هذا الاحترام موصولاً وقائماً حتى رحل عنا هادئاً وبسيطاً كعادته.

رحم الله المشير أبوغزالة.. كان مفكرا وطنيا محترما فى عصر ندرت فيه الأفكار والعقول، وأصبح الاحترام فيه سلوكا غريبا[1] .

---

(١) اسامة هيكل .. نشر بجريدة الوفد .



الفريق أحمد صلاح

اللواء حسام خيرت

اللواء حسن الجريدلى

اللواء عبد المنعم خليل

اللواء أحمد شوقى فراج

اللواء عبد الرحمن الهوارى

اللواء فريد حجاج

الفصل الحادى عشر



مواقف إنسانية

- مواقف مع زملائه فى الدراسة والميدان
- مواجهة مع ضابط شاب خلال حرب أكتوبر
- مواقف مع تلاميذه ومعلميه
- مواقف مع أبناء قريته
- مواقف أثناء توليه الوزارة
- مواقف مع طباخه وسائقه
- مواقف مع عامة الشعب
- قصة الزواج
- علاقته بأسرته وأبنائه
- علاقته بالسيدة والدته
- لمحات سريعة عن أبناء المشير أبوغزالة

مواقف القائد محمد عبد الحليم أبوغزالة الإنسانية فى الميدان والحياة العامة .. كثيرة وتحمل معانى أكبر.. بحر يزخر بالإنسانية ..لم تعقه القيادة والحياة الشاقة والأوامر العسكرية عن الاهتمام بأبنائه وزملائه الجنود والضباط منذ صغر رتبه، بل ازداد بحر إنسانيته التى شملت الجميع.. مواقف كثيرة وذكريات أكثر .. حكايات وذكريات .. سمعت عن بعضها وقرأت عن الآخر واستنتجت كثيراً منها.. وانتقيت هذه المواقف التى صادفتنى للاستشهاد بها فى تسجيل هذا الجانب، ربما وجدت مواقف شبيهة وأكثر إنسانية قد تظهر فى إصدار آخر لى أو لغيرى..

ونسجل أولى هذه المواقف معه على أرض الجبهة ومن ساحة المعركة ونبدأ باللواء عباس منصور الذى خدم معه طويلاً فى الجيش الثانى قائلاً: لم يكن العميد أ. ح/ محمد عبد الحليم أبوغزالة، قائد مدفعية الجيش الثانى الميدانى خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، قائداً عظيماً فحسب فى أرض المعركة، بل كان قائداً يتصف بصفات وأخلاق نبيلة فى جميع النواحى، وظهر ذلك من خلال تعاملاته مع الضباط والدرجات الأخرى فى مراكز الملاحظات ومرابض نيران المدفعية كأنه فرد منهم، حيث كان يشاركهم تناول الطعام وأفراحهم وأحزانهم..

كان القائد أبوغزالة يتمتع بشعبية كبيرة بين أفراد الجيش الثانى الميدانى بصفة عامة، والمدفعية بصفة خاصة، فكان نعم الأب والأخ لضباطه وجنوده، حيث كان حريصاً دائماً على حل مشاكلهم ومساعدتهم فى المواقف الصعبة.

كان محباً للرياضة والرياضيين، حريصًا على مشاركة الضباط والجنود لعب كرة القدم، أثناء الطابور الصباحى، أو فترة ما بعد الظهر وطبقاً لأوقات الفراغ .

كان يقضى يومه نهاراً بين وحدته فى التدريب وليلاً يحرص على تناول العشاء مع ضباط القيادة بعد هزيمة أحدهم أمامه فى لعبة الشطرنج، أما الوقت الذى يقضيه فى استراحته فكان يستغرق فى القراءة والكتابة التى كان يعشقها ومولعاً بها.

أثناء زيارته الميدانية لكتيبة مدفعية الفرقة ١٦ مشاة بقيادة الرائد/ عبد الجابر

أحمـد على، وبعـد تنـاولنا طعـام الغداء، فى حضور العميد أ.ح/ عبد رب النبى حافظ قائد الفرقة ١٦ مشاة، وأثناء عودتنا إلى القيادة، مر على مربض نيران كتيبة / لواء مدفعية الفرقة ١٦ مشاة بمنطقة شمال البحيرات المرة وأمرالسائق بالدخول وفور أن شاهده الجنود وقفوا وحيوه واستقبلوه بترحاب كبير، ودعوه لتناول طعام الغداء معهم فجلس بينهم، ضارباً بذلك مثلاً عظيماً فى مشاركته للجنود على الرغم من أنه كان قد تناول غداءه من قبل..

يواصل اللواء عباس منصور الحديث عن مواقف العميد أبوغزالة الإنسانية والقيادية خلال حرب أكتوبر ويقول: لقد تعرض العميد أ.ح/ أبوغزالة للعديد من المواقف الإنسانية خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. أذكر منها:

فى إحدى الفترات؛ ونتيجة لقصور أداء الأجهزة اللاسلكية لشبكة قائد مدفعية الجيش، طلب العميد أ.ح/أبوغزالة من اللواء أ.ح/سعد مأمون، قائد الجيش الثانى الميدانى، التصديق لقيادة مدفعية الجيش باستخدام الشبكة متعددة القنوات الاحتياطية الخاصة باتصال قائد الجيش مع قادة الفرق، لتحقيق الاتصال بين قائد مدفعية الجيش وقادة مدفعية الفرق واحتياطيات مدفعية الجيش، وفعلاً وافق قائد الجيش له.. ولكن العميد أ.ح /أبوغزالة فوجئ باتصال من مدير الإشارة من مركز العمليات ويقول له بصوت عال: الضابط عندك مش عارف يستخدم أجهزة الإشارة يا سيادة العميد.. ده مش فاهم حاجة".. وهنا تأثر بشدة العميد أبوغزالة بهذا الموقف المفاجئ وغير المنتظر والذى ثبت بعد ذلك مدى حاجة قيادة مدفعية الجيش لشبكة متعددة القنوات طوال فترة القتال، مع وجود ضابط إشارة يجيد العمل عليها...

ومازلنا نتذكر مواقفه الإنسانية، والحديث مازال للواء عباس منصور، والذى يخبرنا قائلاً: " بعد بدء القتال ببضعة أيام، ونتيجة لكبر حجم المسئولية والمهام الموكلة لى كرئيس العمليات، وللمقدم أ.ح/رشيد كرئيس للاستطلاع، فقد لاحظ العميد أ.ح/ أبوغزالة أننا قد وصلنا إلى قمة الإرهاق، فاستدعى ضباطاً آخرين من مركز القيادة الرئيسى للعمل كبدلاء، وتم عمل مجموعتى عمليات واستطلاع، المجموعة الأولى تضمنى كعمليات،

ومعى المقدم أركان حرب/محمد معين كاستطلاع، والمجموعة الثانية للمقدم رشيد ومعه مقدم آخر.. وبذلك تم إعطاؤنا قسطاً من الراحة مع حسن استمرار العمل بنفس الكفاءة وكخبرة قتال، استدعى أيضاً المقدم أركان حرب/فريد الجوهرى والمقدم أركان حرب/ منير الرفاعى من مركز القيادة الرئيسى أيضاً للعمل كضباط اتصال، أحدهما بملجأ قائد مدفعية الجيش العميد أ. ح/أبوغزالة، وكان الاتصال خطيًا بينهما لإجراء التنسيق اللازم مع عمليات الجيش ولتبادل المعلومات أيضاً..

يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، عاد العميد أبوغزالة من ملجأ قائد الجيش وأخبر المقدم أ. ح / رشيد رئيس الاستطلاع بأن قائد الجيش أخبره بأن قوات العدو التى عبرت غرب القناة قد هاجمت تبة الدفرسوار واستولت على جهاز الرادار الخاص بعناصر الحرب الإلكترونية وليس المدفعية، كما أبلغه بأن المقدم عواد قائد كتيبة الحرب الإلكترونية ومعهم رقيب وسائق العربة استشهدوا جميعاً نتيجة تدمير العربة وهم بها بقذيفة معادية، وهنا أدرت وجهى لهم، حيث كانوا خلفى، ففوجئت بأن العميد أ. ح/أبوغزالة يشير إلى من الخلف، حيث كان قوى الملاحظة جداً ويعلم أن الشهيد النقيب محمد قابيل فى حكم شقيق زوجتى "ابن خالها وابن عمتها فى الوقت نفسه" فبكيت حزناً للفراق، وفرحاً بالاستشهاد، حيث إنهم أحياء عند ربهم يرزقون..

فى نهاية أبريل أصبت بقصور بالدورة التاجية دخلت على إثره مستشفى القصاصين العسكرى، وأثناء وجودى للعلاج بالمستشفى، فوجئت بالعميد أ. ح/ابو غزالة رئيس أركان المدفعية يحضر من القاهرة للزيارة، ويحصل على موافقة كتابية أمامى من العميد أ. ح/أحمد شوقى المتينى، قائد مدفعية الجيش الثانى الذى عين محله بنقلى إلى إدارة المدفعية، وتصادف أن توصية الطبيب المعالج تقرر خروجى من المستشفى مع إجازة مرضية، فاصطحبنى العميد أ. ح/ أبوغزالة فى عربته معه إلى القاهرة، وبعدها نقلت للعمل معه بإدارة المدفعية فى ١٩٧٤/٧/١ حتى تم تعيينه الملحق الحربى المصرى بالولايات المتحدة الأمريكية فى منتصف ١٩٧٦.

مواجهة مع ضابط شاب خلال حرب اكتوبر

ننقل رواية أخرى تظهر إنسانية هذا الرجل العظيم، والقائد الأكثر من رائع وهى قصة مثيرة.. وقعت خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتدل على أهمية وخطورة فن قيادة الرجال، أحد الفنون المهمة فى حياتنا العامة، وليس فى الحياة العسكرية فحسب، ففى اليوم الرابع للحرب والقتال مشتعل دون توقف لحظة واحدة.. وبينما يقود العميد أبوغزالة مدفعية الجيش الثانى الميدانى، وأثناء مروره على الوحدات، فوجئ بوحدة صغيرة يقودها ضابط شاب تخرج قبل الحرب بشهور قليلة، وقد قاتلت هذه الوحدة معركة كبيرة وتعرضت لقصف جوى مكثف من طائرات إسرائيل، فوجئ أبوغزالة، بمدافع الوحدة فوق الأرض بدون الحفر اللازم فى الموقع تأميناً لها، بينما الضابط الصغير فى حالة عصبية غير طبيعية مما يحدث عادة عقب المعارك الضارية لكثير من المقاتلين..

ودار حديث سريع بين العميد أبوغزالة والقائد الشاب عن المعارك التى وقعت، والضابط الصغير يرد فى خشونة واقتضاب، ثم تساءل أبوغزالة عن السبب الذى حال بين مقاتلى الوحدة والحفر لمدافعها؟.. وجاءت المفاجأة كطلقات الرصاص فى كلمات تناثرت من فم الملازم ثانى، الذى لم يبلغ العشرين من العمر، إذ قال له فى ثورة غاضبة.. لن أحفر للمدافع، ولن أنفذ الأوامر ولتفعل ما تشاء..

وتوتر الموقف وسيطر قائد مدفعية الجيش الثانى على أعصابه ثم قال للضابط الصغير:

● هل تعرف أن عدم الحفر للمدافع يعرضها للدمار

- نعم أعرف

● هل تعرف أن صاحب هذه المدافع هو الشعب ولست أنت أو أى ضابط آخر وأنك تدمر ما يملكه الشعب؟

- نعم أعرف ولن أحفر لها..

وازداد الموقف توتراً، كما ازداد تقطيب وجه الشاب وارتعاشاته العصبية، وبدا أشبه بمن فقد عقله وأدرك أبوغزالة ما أصاب الضابط وما يعانيه فى تلك اللحظات، فاتخذ قراره على الفور قائلاً:

- إن واجبى يفرض علىَّ محاكمتك الآن وإعدامك رمياً بالرصاص، لأنك بسلوكك المعيب تقضى على معنويات جنودك وتشيع روح التمرد بينهم ولكنى لن أفعل، سأكتفى بطردك حالاً فهذا جزاء أردع من الموت ومثلك يجب أن يعود إلى بيته ويحتمى به..

وأنهى أبوغزالة كلماته الحاسمة واتجه إلى "جاروف" ملقى على الأرض فأمسك به، وأخذ يحفر بنفسه للمدافع، وكان برفقة أبوغزالة ضابط مشاة برتبة عميد هو الآخر، وأمسك بجاروف ثان وفعل مثل زميله قائد المدفعية، ومرت ثانية أو ثلاث ثوان من الوقت، وإذا بجنود الوحدة جميعاً يأخذ كل منهم "جاروفا".. ويحفر بجانب العميدين..

وجاءت المفاجأة التالية، حين اندفع الضابط الصغير باكياً ثم تناول جاروفاً، وأخذ يحفر للمدافع بعدها وقف طالباً من قائده أن يعفو عنه لكى يكمل معركته معتذراً بأنه كان فى غيبوبة☆..

ولم يترك أبوغزالة الأمر يمر بسهولة، فقد تحدث حديثاً طويلاً إلى الضابط الذى وصفه بـ«الغر».. فأعاد له ثقته فى نفسه بينما الجنود يلحون فى طلب العفو عن ضابطهم الصغير، ويذكرون ما قام به من بطولات طوال الأيام الأربعة الماضية، حتى أصابه الاضطراب المفاجئ وما لبث أن استرد وعيه وعفا أبوغزالة الأب الإنسان قبل القائد عن هذا الضابط، وتركه يكمل معركته، ومر به فى اليوم التالى فأثنى عليه وعلى الوحدة الصغيرة..

ويذكر الصحفى حمدى لطفى أنه بعد ثلاث سنوات من حرب أكتوبر التقى باللواء أبوغزالة رئيس أركان المدفعية المصرية، وسأله عن صحة القصة السابقة فأكدها سيادته وزاد عليها بقوله:

«لقد تابعت قتال هذا الضابط يوماً بيوم، وتحولت إلى معجب به، وفى نهاية الحرب طلبت إهداءه وسام النجمة العسكرية مكافأة له على بسالته التى أظهرها وحصل الضابط على وسامه [١] .

☆ (ملحوظة.. حاولت البحث عن هذا الضابط الذى لابد انه تدرج إلى وظيفة كبيرة وقيادته فى صفوف القوات المسلحة، لكن للأسف لم أتمكن من مقابلته حتى لحظات إصدار هذا الكتاب.. ربما أتمكن من معرفته ومقابلته بإذن الله فى إصدار آخر).

(١) حمدى لطفى يناير ١٩٨٧/الأنباء.

● **المشير أبوغزالة وإنسانيته مع أبناء قريته**

المشير أبوغزالة لم ينس أصله وأنه فلاح بسيط.. لم ينس أهل قريته ولا أصدقاءه بها.. لم يتغيب عنها أو ينسها طوال حياته بالزيارة وتلبية مطالب أهل القرية البسطاء.. الخاصة والعامة.. أول ما قدمه لها هو تغيير اسم القرية من قبور الأمراء إلى زهور الأمراء.. وبعد ذلك ساعد فى تحسين وإدخال كثير من المرافق إليها وبناء المدارس والمستشفيات وغيرها..

وعلى الرغم من أنه لم يحب الواسطة، فإنه كان ضعيفاً أمام احتياجات الآخرين، خاصة المحتاجين والمرضى.. لم يفرق بين صديق وإنسان لا يعرفه.. لكنه كان يؤمن بأن عليه نجدة الملهوف والمساعدة قدر استطاعته، ولأنه لم يولد وفى فمه ملعقة من ذهب، فإنه كان يشعر بمعاناة الآخرين واحتياجاتهم، فكثيراً ما كانت تصادفه أزمات مالية فى بداية حياته واحتياجات تكثر وتكبر مع كبر الأبناء وهو الضابط النظيف النزيه الذى لم يقترب من الحرام أو الانحراف قط، وبالتالى عاش على مرتبه وما يملكه من إرث قليل..

المشير أبوغزالة نهر متدفق من العطاء، وكما قلت منذ قليل.. عطاؤه وخدماته ليس لها حدود.. ونعيش مع هذه السطور وهذه اللمحات البسيطة.. الكبيرة فى معناها.. **والتى يرويها السيد/ مختار نوح، زوج ابنة شقيقة المشير أبوغزالة قائلاً**[1]:

"يمكننا أن ننظر إلى البسطاء من أهالى كوم حمادة بصفة خاصة ومن الأقارب والمعارف بصفة عامة، فهم الذين كانوا إذا أرادوا لقاءً أو هبة أوخدمات مما تلتمس فى مثل هذه الظروف لم يجدوا مشقة فى الالتقاء بالرجل، المشير أبوغزالة، وعرض طلباتهم فى صورة آمرة مستعينين بقرابة زائفة أو بصداقة مزعومة، أما من لم يجد ما يتقرب به فتكون مكانته أعلى

---

(١) موقع المحامى مختارنوح وعدد من مواقع الإنترنت.. ونشر على صفحات جريدة الدستور على عدد من الحلقات.

عند الرجل من غيره.. وكان الناس يشاهدون هؤلاء البسطاء وهم يصعدون بجرأة صاحب الأمر، لا طالب الشفاعة، ويطرقون باب الدور الثالث من العقار ـ محل إقامته ـ ليسألوا .. عن رجل علموا أن تواضعه قد تمكن منه فلم يعد يمكنه أن يرد طلباً لأحد، ذلك أن صفة التواضع ترفع من شأن الإنسان إلى الحد الذى تكتب لذكراه الخلود بين الناس جميعاً البسطاء منهم والخاصة فتحقق لصاحبها انتصاراً على النسيان وعلى التجاهل وعلى ذاكرة الشعوب فتجبر هؤلاء جميعاً على ذكره ونعتقد أن تواضع المشير محمد عبدالحليم أبو غزالة كان السبب فى إحياء ذكراه بين الناس حياً وميتاً.

وكان أن استقبل المشير رحمه الله فى منزله فى قرية "زهور الأمراء بكوم حمادة " مجموعة من الوزراء وكان على رأسهم الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء وقتئذ.. والحقيقة أن المشير رحمه الله لم يحاول أن يحشد الناس والجماهير فى صورة تدعم كيانه الأدبى أمام هؤلاء الزوار.. إلا أنه وعلى الرغم من ذلك فقد خرجت الآلاف فى ذلك اليوم لاستقبال المشير رحمه الله من تلقاء نفسها.. ودون أن يعد لهم أحد ما يركبونه أو يرسم لهم ما يقولون.. . لقد انطلقوا فى عفوية وبساطة الفلاح المصرى وهم يهتفون بحياة المشير رحمه الله.. ويرحبون بضيوفه..

موقف مع زملاء العمل..

يقول اللواء حسنى سليمان:"

من أهم ما اهتم به علاج الضباط وأسرهم.. ذات مرة عرفت أن زوجة أحد الزملاء أصيبت بمرض خبيث وتحتاج للعلاج بالخارج فى أسرع وقت وزوجها يتحرج من أن يطلب سرعة إنهاء إجراءات سفرها للخارج.. وبعد عرضى لعملى معه أخبرته بالموضوع فوافق فوراً على علاجها بأسرع وقت.. مرة أخرى أحد الضباط كان يحتاج لعملية زرع كلى، وكان مقررا عملها فى مستشفى غنيم، وكان محددا له خمسة آلاف جنيه فقط والعملية كانت ستتكلف أكثر.. فأمر فوراً بأن تقوم القوات المسلحة بتحمل كل التكاليف وبعدها قرر أن تجرى هذه العملية بمستشفيات القوات المسلحة..

كان يفكر فى مستقبل أبناء الضباط.. ابن أحد الضباط كان تنسيق جامعته فى محافظة أخرى وكان والدهم مشتتا ما بين الأبناء وعمله وباقى الأبناء

الآخرين.. فتوسط له وخاطب رئيس الجامعة وساعده فى تحويل أوراق الأولاد لجامعة القاهرة..

موقف آخر معى شخصياً كان يعرف أن إحدى بناتى فى كلية الصيدلة وفى السنة النهائية لها قال لى: ما تاخد محل للدكتورة شيرين فى امتداد رمسيس تعمله صيدلية.. فأخبرته أنه ليس متاحا معى المبلغ المطلوب، فقال لى قدمٍ على قرض والباقى قسطه، وبالفعل قدمت على قرض وصدَّق عليه فوراً وقسطت باقى القيمة.. وهذه كانت معاملته مع الجميع وليست مقصورة على أصدقائه وزملائه فقط.

إنسانيته مع أصدقائه وزملاء الدفعة ٤٩

● **يقول المنتج السينمائى جمال الليثى :** "عندما كانت تُجرى لى عملية قلب مفتوح فى بوسطن بأمريكا وعرف كان يكلمنى كل يوم للاطمئنان على وهو وزير..

أنا دائما كنت أكلمه وأطمئن عليه ومنذ وفاته وأنا أكلم زوجته أشجان هانم وأطمئن عليها..

● **الوزير توفيق عبده إسماعيل يقول:** "عندما توليت وزارة السياحة، تقدم لى بعض أبناء أسرة أبوغزالة فى قرية ضمن دائرتى يرجون وساطتى فى إقناعه بقبول دعوتهم فى قريتهم البعيدة، وعند الاتصال به تذكر أن والده كان يتراسل فى فرع العائلة فى الدقهلية، وأنه يسعد بلقائهم، وتم ترتيب زيارة شاركنا فيها المهندس عبد الهادى سماحة وزير الرى حينئذٍ وبلدته قريبة منا، وكانت أسرته وأبناء المنطقة جميعاً فرحين مستبشرين بوجوده معهم وتبادلوا ذكريات كثيرة عن أسرتهم وفروعها فى الدقهلية والغربية والبحيرة وظهر معدنه كابن من أبناء الريف فى هذا اللقاء الجميل الذى يتذكره الجميع حتى اليوم..

فى هذه الفترة لجأت له فى بعض المشاكل الإنسانية، وأتذكر أن مريضا تقرر سفره للعلاج فى فرنسا بينما حل وقت تجنيده أو محكوم عليه بعقوبة مشددة، وهو رب عائلة كبيرة فقرر الموافقة على سفره للعلاج استثناء، وأيضاً مراجعة الحكم ومراعاة ظروفه الإنسانية.. هذه نماذج فقط مما حدث معى

ولكن تلك كانت سياسته مع كل من يتقدم له بشكوى أو طلب أو يعانى من مشاكل إنسانية.. فكان يتدخل بسلطته وفى حدود القانون لتقديم حل مُرْضٍ..

● مواقف مع أحد من عملوا عنده.. الحاج محمد مرسى طباخ المشير أبوغزالة..

من مفارقات القدر أن يحضر جنازته ويقف على تكفينه ويقوم بأداء الحج الذى منحه إليه المشير أبوغزالة وأولاده وبعد وفاة المشير أبوغزالة بشهور قليلة، وبعد مقابلتى معه وتسجيلى لهذه المقابلة بأيام قليلة.. ويشاء القدر أن يتوفى هناك بعد أداء مناسك الحج.. حتى يكون أول من يلحق به من أحبائه..

يقول الحاج محمد مرسى طباخ سيادة المشير: «طيلة حياتى وانا أعمل بوزارة الدفاع - طباخا مدنيا - إذ أننى أعمل فيها منذ أيام المشير عبدالحكيم عامر.. تعاملت مع أكثر من وزير دفاع ورئيس أركان.. المشير أبوغزالة آخر وزير عملت معه مباشرة، وأكثر إنسان أحببته وارتبطت به ارتباطا كبيرا.. بداية معرفتى به كانت عند حضوره إحدى الحفلات، وكنت موجودا فيها، وكان مازال رئيس أركان.. وعندما عرفته بنفسى أثنى على الطعام وأعجبته وبكل أمانة هو أيضا لفت نظرى ببساطته وتواضعه وكرمه.. وكذلك السيدة حرمه.. ومن هذا اليوم وأنا أحبه.. وعندما تولى وزارة الدفاع كنت سعيدا جدا وازدادت علاقتى به أكثر.. ذات مرة وبعد انتهاء إحدى الحفلات مشيت وراه، ولمحنى وقال لى : "عايز حاجة يا حاج.. فأخبرته أنى أريد أن أسافر للخارج مع الملحق العسكرى لأن عندى بنات وعايز أجهزهم.. فأخبرنى أن أذهب إليه غدا فى مكتبه.. وبالفعل ذهبت إليه وكتب قرارا بنفسه أن أذهب مع الملحق العسكرى فى فرنسا.. وظللت أعمل بها لمدة سنتين.. ومن حظى السعيد أننى كنت أعرف السفير المصرى هناك أيضا فى ذلك الوقت.. وبصراحة أثرت فىَ هذه المأمورية وساعدتنى كثيرا والفضل يعود إليه..

مرة أخرى، وبعد ارتباطى به أكثر وعملى مباشرة معه.. كان زوج ابنتى عايز يشتغل فى وزارة الكهرباء.. وشقيق المشير كان يعمل فى وزارة الكهرباء.. وأبلغته وكلم الوزير ماهر أباظة بنفسه وثانى يوم ذهب زوج ابنتى هناك وتم تعيينه بعد اختباره وثبات كفاءته..

موقف آخر فى زواج ابنتى ولاء، كانت عايزة تعمل فرح كبير زى أصدقائها.. وشافت أكتر من دار وبعد كده عجبتها دار المدرعات.. والمبلغ كان عدة آلاف جنيه وابلغته بالأمر.. لقيته انزعج جدا وقال لى بانفعال ليه كل المبلغ ده مش كانوا استفادوا به فى حياتهم أحسن.. دا أنا فرح بنتى حنان كله لم يكلفنى خمسمائة جنيه.. ومع ذلك كلم لى مدير السلاح وأبلغنى أن أذهب إليه تانى يوم.. ولظروف طارئة تأخرت يوما.. ووجدته يطلبنى ويعنفنى بشدة فمدير السلاح أبلغه أننى لم أذهب إليه فى الميعاد.. وبعد انفعاله قال لى: انصراف.. ومعنى ذلك أنه تضايق.. فأخذت أكلمه واعتذر له فوجدته يبتسم ويعود لطبيعته. وذهبت لمدير السلاح وعمل الواجب وأكثر وفرح بنتى كان زى فرح ولاد الأكابر.. وحضرت أسرته وشاركونا فرحتنا.. بصراحة كان إنسانا بمعنى الكلمة وعمره ما زعلنى ولا أهاننى..

أسرته وهو كانوا يشعروننى بأننى واحد منهم.. معاملته كانت فى غاية البساطة.. عمره ما ارتفع صوته ولا شخط.. أخلاقه عالية جدا.. ودائما مشغول بكتاباته.. أهدانى مرة كتابا، وكنت سعيدا جدا به، ولما تعبت مرة وذهبت للدكتور وعرف أنى أعرفه كان مش مصدق.. وكان نفسه فى كتاب منه فأهديته هذا الكتاب..

عندما ذهب لرئاسة الجمهورية طلبت أن أذهب معه.. وطلب من الرئيس مبارك ذلك فوافق على الفور وقال له: " احضر من تريده معك يا أبوغزالة ".. وعلى الفور ذهبت أنا وسائقه وسكرتيره.. وعندما بلغت سن المعاش.. كنت حزينا لأننى سأتركه، وبكل أمانة طلب من السيد زكريا عزمى أن أعمل فى الرئاسة بعقد لكنه اعتذر حتى لا تصبح عادة هناك.. وهذا ممنوع.. فأخذ يبحث لى عن عمل آخر فقد كان يقدر ظروفى.. وكلم المشير حسين طنطاوى وزير الدفاع وأخبره بموقفى وعلى الفور وافق سيادة المشير طنطاوى وعمل لى عقدا فى إدارة الشئون المعنوية .

المشير أبوغزالة وأسرته كانوا أناسا خيرين يحبون مساعدة الغير، وعارفين ربنا قوى.. كل سنة بيطلعوا ناس غير قادرة للحج.. ولقيتهم اختارونى للحج هذا العام.. أن شاء الله سأسافر بعد أيام قليلة، والفضل يعود له ولأسرته الغالية.

آخر مرة رأيته فيها كانت بعد عودته من الخارج من أزمته الأخيرة وقبل أن يدخل فى الغيبوبة.. وكلمته واطمأننت عليه.. بعدها بأيام قليلة عرفت أنه دخل مستشفى الجلاء والزيارة ممنوعة.. فانتظرت حتى تستقر حالته ولكنى بعد أيام قليلة سمعت الخبر الحزين.. وعلى الفور ذهبت للأسرة وسمحوا لى بأن أحضر إجراءات الجنازة وتجهيزه للدفن.. وحزنت عليه أشد الحزن.. الله يرحمه ويجازيه على قدر أعماله الخيرة الكثيرة..

مواقفه مع الشخصيات البسيطة

ذكر لى أحد الشخصيات العامة، ونقلاً عن سائق المشير أبوغزالة، أثناء توليه وزارة الدفاع، أنه فى إحدى المرات، وأثناء عودته من الوزارة إلى منزله، كان يمر فى طريقه بعض باعة الخضراوات، وفجأة اعترض سيارته رجل بسيط يرتدى جلابية، ويطلب منه إيقاف السيارة ويرجوه أن يستمع إليه.. وبالفعل سمح للسائق بالتوقف، فوجد الشخص يبكى وهو يشكو له شرطة المرافق (بلدية الحى) بأنها أخذت «المشنة» التى يبيع فيها الليمون وهو لا يملك غيرها وينفق على أولاده من حصيلة مبيعاته اليومية.. فرق المشير أبوغزالة لحاله، وأمر سكرتيره أو ضابط الشرطة الذى يرافقه أن يسجل بيانات هذا الرجل ويرخص له كشكا صغيرا ويملأه بالبضائع أو الخضراوات التى يريدها.. وفعلاً تم إعداد الكشك لهذا الرجل البسيط الذى لا تربطه به أى علاقة غير أنه استغاث به ليتدخل ليعيد إليه مشنة الليمون..

موقف آخر ذكره أحد الاصدقاء، أنه فى طفولته، وأثناء لعبه مع أصدقائه أمام استراحة المشير أبوغزالة وهو وزير للدفاع.. وسقطت الكرة فى بلكونة الاستراحة وحاول أحد الصغار تسلق سور المنزل للحصول على الكرة.. فلمحه حراس الاستراحة والشرطة الموجودة وأسرعوا بالقبض على الصبى وتعنيفه، وشاهد المشير أبوغزالة الموقف فأمرهم بتركه وأشار لهم بإحضاره إليه وبطريقة أبوية خاطبه قائلاً: إنه من غير اللائق تسلق الأسوار للحصول على الكرة بهذه الطريقة.. فقرع الباب أفضل من تسلق الأسوار.. وكان عليه أن يطلب الكرة من سكان المنزل، وليس الحصول عليها بهذه الطريقة.. وبعد أن هدأ الصبى الذى كان مذعوراً ويبكى بخوف.. أخذ يضحك معه ويداعبه.. هذا هو المشير أبوغزالة الإنسان البسيط الذى لا يعرفه الكثير..

ذكرت لى إحدى الموظفات المدنيات، والتى كانت تعمل فى نادى الجلاء فترة توليه وزارة الدفاع.. أنه ذات مرة شب حريق فى النادى وفور علمه بالخبر إذا به يأمر الجميع بالخروج فوراً، والتباعد عن النيران ووعد بأن جميع العهدة سوف «تكهن».. وتذكر أن أحد المدنيين أصيب إصابات بالغة وقام بنفسه بالإشراف على علاجه ومتابعة حالته هو ومن تعرضوا للإصابة من الحريق..

إنه إنسان بالدرجة الأولى.. وقبل إنهاء هذا الفصل لابد أن نشير إلى أسرته وقصة زواجه وتعاملاته مع هذه الأسرة الرائعة..

المشير أبوغزالة شخصية فريدة من نوعها.. مهما نقل فلن نوفيه قدره برغم المناصب التى تولاها والعلوم والدراسات التى حصل عليها وثقافته المتنوعة وإجادته لعدد من اللغات، إلا أنه لم يغتر ولم يتكبر لحظة.. المشير أبوغزالة شخصية محبة للجميع، كان عاشقا لأسرته من الدرجة الأولى ويغدق عليها بالحب والحنان، واتسع حبه ليشمل أصدقاءه وزملاءه وتلاميذه وكل من خدم معه، أو تعامل معه أياً كان. وعندما نتطرق إلى علاقته بأسرته، والتى حاولت كثيراً مقابلتها ولكن محاولاتى باءت بالفشل.. ورغم إلحاحى واتصالى المستمر بزوج ابنته المهندس أنور الدغيدى والذى كان متحمساً للغاية للكتاب ولكن لأمور السفر والانشغال وحالة وفاة أخرى لديهم، بالإضافة لحالة الحزن التى مازالت مسيطرة عليهم لفقدانه.. لم تتح لى مقابلتهم وبالتالى جمعت بعض المعلومات من خلال الأصدقاء والأقارب وأرشيف المشير الصحفى وما ذكر فى ذلك خلال المقابلات أو الصحف ونبدأ بقصة الزواج..

قصة زواج المشير أبوغزالة

يروى الحاج فوزى عم المشير أبو غزاله قصة زواج المشير قائلاً: كان ثروت قد وصل إلى رتبة نقيب، ووالدته تريده أن يتزوج، وفى أحد الأيام كانت تشترى بعض حاجاتها من شركة «عمر أفندى» فى مدينة دمنهور، فشاهدت إحدى الفتيات فأعجبت بها، وسألتها عن اسمها فقالت لها إنها أشجان ابنة أحمد صبرى، مفتش دوائر أملاك الأمير عمر طوسون، وحدث تبادل للزيارات بينهما، وتمت خطبتها، وكان يوم الزفاف مشهوداً حيث أطلقت فيه آلاف الأعيرة النارية ابتهاجاً بالعرس [١].

(١) جريدة المصرى اليوم ٢٠٠٨/٩/٩

وبالحديث عن السيدة أشجان مع الجميع أشادوا بها وبحسن أخلاقها ومعاملاتها الإنسانية وكانت نعم الزوجة والأم، وفعلاً كان لها دور كبير فى نجاح زوجها فيما وصل إليه وفى تربية الأبناء الذين كانوا مثالاً جيداً لهذه الأسرة الكريمة..

والمشير أبوغزالة كان يدرك أهمية هذه الزوجة والحبيبة فى حياته ودورها الكبير فى رعاية الأبناء وحثهم على التفوق، خاصة أنها فى أوقات كثيرة كانت تقوم بالتربية بمفردها، وهو يؤدى دوره وواجبه تجاه وطنه الأم.

من أكثر من أشادت بها وبخصالها الكريمة السيدة الفاضلة حرم الفريق صفى الدين أبوشناف.. والسيدة الفاضلة زوجة اللواء عبدالمنعم سعيد، وكذلك كل القادة أصدقائه، ومن دخلوا بيته أو تعاملوا معها.. أذكر أننى عند تقديم واجب العزاء لأسرة طباخه، الذى توفى بعد أن سجلت معه ذكرياته عن المشير أبوغزالة، أخبرتنى الأسرة أنهم عندما علموا بوفاة الحاج محمد أسرعت السيدة أشجان زوجة المشير بالاتصال بأسرته وتعزيتهم وسؤالهم عما يحتاجونه، وعرضت القيام بأى خدمة يريدونها.. وأبلغتنى ابنة الحاج محمد السيدة سحر أن أسرة المشير تسعى لأن تحضر شهادة الوفاة وباقى احتياجات أبيها من السعودية.. بالإضافة لإرسالها مظروفا به مبلغ كمشاركة منها فى مصاريف الجنازة وتلبية احتياجاتهم.

ذكر لى عم محمد مرسى قبل وفاته أن زوجة المشير كانت سيدة عظيمة وطيبة وتغدق عليه دائما بالخير كله..لم يكن يسمع لها صوتا عاليا أو طريقة فيها تكبر وتعال.. وكانت ملتزمة دينياً وتواظب على أداء جميع الفرائض الإسلامية هى وكلٌ الأولاد..

ونعود مرة أخرى للمشير أبوغزالة ونجد أنه فى الأوقات القليلة التى كان يمكث فيها مع أسرته كان يسألهم عن كل شئ، ويهتم بالتفاصيل والمستوى الدراسى ويعرف المشاكل التى تقابلهم ويسعى لحلها ودائماً ما كان يغرس فيهم التفوق والتسلح بالعلم والاعتماد على الذات.

.. ولأنه رجل عصامى.. لم يولد وفى فمه ملعقة من ذهب، فإنه كان يعرف قيمة الكفاح والعمل والعرق.. لم ينس مناسباتهم وأعياد ميلادهم ونجاحهم

ومشـاركتهم كل لحظاتهم الجميلة.. وكثيـراً ما كان يتألم لو مرضت الزوجة أو أحد الأبناء ويهرع به للأطبـاء بنفسه؛ فمشاعـر الأبوة تغلب عليه حتى وهو فى أرقى المناصب..

زوج ابنة شقيقته مختار نوح يقول: "وإذا كان لنا أن نتحدث عنه فى بيته فلن نتحدث إلا من جانب واحد حتى نعرف كيف كان الرجل المقاتل، والذى أنفق عمره فى حروب عسكرية لا يعرف شيئاً عن عسكرة البيوت.. ولا يحب هذا النوع من التعامل، إذ لم يكن فى بيته من أنصـار " تمام يا فندم "، بل لعل أقسى القرارات التى اتخذها فى بيته كان قرار " الريجيم " الذى فرضه على نفسه، فاستطاع التعامل مع السعرات الحرارية بصورة قد هذبتها من فرط ما تحكم فيها.. وكان من أقسى قراراته أيضاً على نفسه أن يستمر فى خدمة سلاح المدفعية، رغم إصابته بالالتهاب فى " الأذن الوسطى " فلم يمنعه ذلك المرض من مواصلة التعامل مع المدافع، فإخلاصه للعمل وللمدفع كان أعلى من إخلاصه لأذنه الوسطى.

ومن جهة أخرى، فإن زيجات أولاده لم تشملها المبالغات على أى صورة من صور الاختيار أو الإجراءات.. فلا يعرف عنهم الناس استغلال النفوذ، أو محاوله اكتساب المال بطرق غير قانونية، أو ابتلاع الحقوق رغم أنهم كانوا يحملون اسم رجل كان هو الأول فى قائمه المسئولية، إلا أن الطهارة لها من المعنى ما هو أوسع من المدلول اللفظى..

● أبوغزالة وبره بأبناء قريته

يقول السيد نوح.."إن البر الذى اختزنه " أبوغزالة " لأمه كان يفرض نفسه على أسرته وأسرة زوجته وأبناء قريته وكل من كان فى ذيل اسمه " غزالة " حتى ولو لم يكن من عائلته نفسها.. ويمتد البر إلى أبناء قريته " قبور الأمراء " بالدلنجات، محافظة البحيرة والتى تحول اسمها بعد ذلك على يديه إلى " زهور الأمراء "... وهذا التحول هو الذى يفسر لك ذلك الاستقبال الشعبى الذى كان يستقبل به الفلاحون البسطاء ذلك الرجل.. كما حرص على أن يقيم لهم دور العلم والمعرفة وأذكر أن قصده الناس لبناء مسجد بقريته

ففضل أن يبنى مدرسة يتخرج فيها المصلون.. فكان المعهد الأزهرى وهكذا كان أبوغزالة بعيد الفهم.. راسخ الاعتقاد.

ولم يفلت منه عزاء أو واجب أو مناسبة إلا وقد أداها حقها وهو الشاهد الفعلى على كل زيجات العائلة إلا زيجة واحدة جمعت بين كاتب هذه السطور وبين ابنة أخته، إذ لم تكن هذه الزيجة رهن موافقته الفكرية وقتئذٍ، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يعطى الرحم حقه وزيادة فلم تأخذه عزة الانفعال بالرأى إلى التشدد أو الإقلال من الحقوق.

إن هذا الحديث يجرى بنا إلى العدالة.. والبر جزء منها فهل رأى أحدكم المشير أبوغزالة وهو يعتلى منصة القضاء، أما أنا فقد رأيته بعيون الزملاء من المحامين، وكان ذلك إثر تعديل تشريعى صدر فى عام ١٩٨٩جعل من وزير الدفاع قاضياً ينظر بنفسه فى تظلمات المفصولين من الخدمة العسكرية، فكان المحامون يحكون عنه قاضياً لا يعرف الانفعال، فيستمتعون بالجلسة الوحيدة التى تعقد برئاسته كل عام أو أقل قليلاً.. ولم تعرف منصة القضاء قاضياً يظل مبتسماً طوال الوقت إلا المشير أبوغزالة.

وعن علاقة المشير بالقرية وأهلها، قال عمه الحاج فوزى: أبوغزالة كان باراً بأهل قريته، وخادماً للجميع، وكان يأتى إلى القرية دون حراسة، ويقول أنا أخ لجميع الأهالى، وساعد الكثيرين من شباب القرية فى الالتحاق بالكليات العسكرية والشرطة، كما أقام فى القرية مستشفى ومدرستين (إعدادية وثانوية)، ومجمع مدارس أزهرية، ومسجداً، ونقطة شرطة، وعمارات سكنية، كما أدخل إليها جميع المرافق..

وقال محمد فاروق غزالة: [1] "إن أبو غزالة عندما كان يأتى إلى القرية كان يقيم فى استراحته التى أنشأها عام ١٩٩٠ هى والمسجد المقابل لها"، مؤكداً أنه كان فى قمة التواضع، مدللاً على ذلك بأن أحد أهالى القرية ويدعى فوزى، الذى كان يبيع الجاز وأراد أن يسلم عليه، وحاول بعض الناس منعه حتى

---

(١) جريدة المصرى اليوم ٢٠٠٨/٩/٩ .

لا يلوث ملابس المشير، فنهرهم قائلاً: لا تمنعوا أحداً عنى أياً كان، وأضاف إن الفقيد حضر إلى القرية فى منتصف الثمانينيات لتلقى العزاء فى والدته، ولم تمنعه مسئولياته من أداء واجب العزاء فى القرية عندما كان مساعداً لرئيس الجمهورية.

أمه ومثله الأعلى فى الحياة

وحين يأتى الحديث إلى ذكر أمه، فهو حديث البر الصادق.. فقد تربى المشير أبوغزالة بين أب يعمل بهيئة البريد، وأم من الطراز المصرى النادر، والأم هى التى صاحبت الطالب الصغير " محمد " كما صاحبت المشير " محمد عبد الحليم أبوغزالة ".. حتى آخر أيامها.

لم تكن القبلة التى يطبعها على يدها إلا عنواناً لمرحلة تاريخية ساهمت فيها أمه بالنصيب الأكبر.. وقد ماتت الحاجة " مبروكة " رحمها الله منذ منتصف الثمانينيات أو يزيد قليلاً، ويروى الذين حضروا لحظاتها الأخيرة أنها كانت تخص بالدعاء ابنها " ثروت " محمد أبو غزالة رغم تقدم العمر بها، واختلاط الأسماء لديها والأم لا تكثر من الدعاء لأصحاب المناصب من أبنائها، وإنما تكثر من الدعاء لأصحاب القلوب منهم.

وقد نالت أم المشير " محمد عبد الحليم أبوغزالة " حظها من قيمة المساواة.. فقد قدر لها وهى أم وزير الدفاع ونائب رئيس الوزراء أن تدخل مستشفى الحلمية العسكرى لتعالج من آلام فى " الركبة "، شأنها شأن الأمهات جميعاً.. وأسر الضباط على قدم سواء، وللعلم فقد ماتت رحمها الله فى مستشفى " مصطفى كامل " العسكرى بالإسكندرية، ولم نسمع عن امتياز واحد منحته إدارة المستشفى لها، حيث كانت تعالج من أمراض عديدة .

أبناء المشير أبوغزالة

انتمى أبناء المشير أبوغزالة إلى مدرسة الالتزام الأخلاقى، وساروا على منوال والدهم؛ فقد آثر" طارق " و "أشرف" الابتعاد عن استغلال النفوذ واتجهوا إلى التسلح بالعلم والعصامية.. تخرج الأول فى كلية الطب، بينما تخرج الآخر فى كلية الطيران وما عرف الناس عن واحد منهما استغلالاً للنفوذ أو الإثراء الحرام.

كذلك تعلمت بناته تعليما عاليا وتفوقن فيه، وتزوجن من رجال محترمين وناجحين.

وذكر لى كثير من الأصدقاء أن أولاده مثله فى الثقافة والشخصية الثرية الرائعة.. ومن بناته التى تكرر اسمها كثيرا.. الدكتورة حنان، والتى كثيرا ما كانت تصحبه فى مقابلاته مع أصدقائه فى النادى وأثناء مرضه.. وكانت تتناقش فى كل الأمور وكل جوانب الحياة ولها فكر عميق ورأى سديد مثل أبيها رحمه الله .



لقاء ودى يجمع بين المشير أبو غزالة وصديقه اللواء على هيكل



صورة نادرة تجمع سيادة المشير أبو غزالة وبعض رجال فريق التنس وفى الصورة اللواء هيكل والعميد أحمد صالح



الكاتبة مع اللواء حسن الجريدلى



.. وخلال لقائها باللواء محسن حمدى وتسجيل ذكرياته عن المشير أبو غزالة



الكاتبة مع اللواء عبد المنعم سعيد



.. وتسجل شهادة اللواء عبد الجابر أحمد على

الفصل الثانى عشر



المشير أبو غزالة فى عيون أحبائه

- أهم ما قيل عنه أثناء حياته وبعد وفاته

"مكانة المشير محمد عبدالحليم
أبوغزالة فى قلوب المصريين لم
تكن بسبب منصب.. فقد زاد
احترام وحب وتقدير المصريين له
بعد خروجه من المنصب.. ولكن
مكانته ترجع لإحساس الناس بأنه
قيمة فكرية كبيرة، ولتواضعه الشديد
فى التعامل مع الناس.
المشير أبوغزالة كان مثقفاً كبيراً
وقارئاً متعمقاً، وهو أحد وزراء
الدفاع القلائل على مستوى العالم،
الذين أفرغوا خبراتهم وأفكارهم فى
كتب"..

من كلمات الكاتب الصحفى والمحرر العسكرى أسامة هيكل.. مدير تحرير جريدة الوفد

المشير أبوغزالة شخصية تناولتها الأقلام والألسنة، وكتبت عنه، وذكرته بكل حب ودون أى دافع أو غرض.. شهادات كثيرة فى حقه جمعتها عنه من أرشيفه الصحفى ومن كتب وجرائد ومواقع إلكترونية كثيرة.. شهادات حب له ولأعماله وأخلاقه وشخصيته وأدواره العظيمة التى قدمها لمصر والقوات المسلحة، وكل من استطاع أن يخدمه.. ونبدأ هذه الشهادات على لسان كبار قادة القوات السلحة..

قال عنه الفريق أول كمال حسن على [1]:

«ربما لم يتعرض قائد عسكرى مصرى للجدل مثلما تعرض أبوغزالة، فقالوا عنه إنه سوفيتى النزعة، كما قالوا عنه أيضاً إنه أمريكى.. وأنا أعرف مواقف له فى غاية الخشونة والتعنت مع السوفيت، هى مواقف غير معلنة.. وطبق المسلك نفسه مع الأمريكان، فاحترمه الجانبان، لأنه مصرى العاطفة والفكر والاتجاه فى كل الأحوال، وهو رغم وعيه السياسى ومعرفته الوثيقة بأصول اللعبة السياسية، فإنه لم يلعبها ولم يمارسها؛ لأن فى داخله قائدا عسكريا محترما، من الطراز الأول، وليس سراً أن دوائر أجنبية حاولت اختبار استعداده للعمل السياسى، إلا أنه أوقفهم بصراحته المعروفة عنه.

قال عنه الفريق محمد سعيد الماحى، مدير سلاح المدفعية ومدير المخابرات العامة سابقاً.. وأثناء تقديمه أحد كتب أبوغزالة:

لقد اتصف رجال المدفعية دائماً بالشجاعة والأصالة والرجولة التى

(١) حمدى لطفى يناير ١٩٨٧/الأنباء

ورثوها جيلاً بعد جيل.. ومن هؤلاء الرجال"أبوغزالة "كاتب هذه الفصول..

امتدت معرفتى به سنين طويلة، عرفته شاباً متحمساً وطنياً مخلصاً، كان من منجزى ثورة ٢٣ يوليو، ونهل من مناهل العلم والمعرفة، وخبر فنون المدفعية بمدارسها المختلفة وبرز فيها.. وتمرس فى مناصبها صغيرها وكبيرها، فكان القائد الصغير الطموح، وكان المعلم الفذ صاحب المدرسة، وتوج ذلك كله بشجاعته وإقدامه خلال معارك ٦ أكتوبر، وأثبت فيها أصالة الجندى المصرى..

كان لشجاعته وشخصيته الثابته خلال فترة من أحلك فترات القتال، حين كادت السيطرة على القوات أن تضيع، وتمكن من فرض سيطرته على هذه القوات، فتماسكت وثبتت ودمرت العدو وردته على أعقابه..

حين يتحدث أبوغزالة عن المدفعية فى ٦ أكتوبر، فإنما يتحدث عنها حديث الرجل المجرب والقائد المتمرس الذى اشترك فيها خطوة خطوة، ومرحلة مرحلة فى التخطيط والتدريب والتنفيذ، قادها بنفسه فى مسرح القتال، فهو بذلك يتحدث من موقع المشاركة الفعلية ومن موقع القيادة والمسئولية.. وهو بذلك حديث لإنسان صادق وأمين فى كل كلامه وأقواله.

يقول اللواء عبد المنعم سعيد:"الخلاصة من شخصية المشير أبوغزالة أنه إنسان من قصة حياته رجل يتمتع بوطنية حتى النخاع، وطنى مصرى أصيل يحب مصر جداً ووطنيته لا مثيل لها، يقدس بلده.. يحترم مصر ويقدرها، قارئ متميز يقرأ ويترجم ويطلع على أحدث أنظمة وموضوعات استراتيجية وسياسية واقتصاد وغيرها.. يتمتع بثقافة عالية، يحضر ندوات ويدير لقاءات.. مثقف ومتميز طوال فترة حياته، يقرأ ما بين السطور بتركيز ويضع سطورا على النقاط المهمة، مفكر عبقرى وأى مشكلة يسعى لإيجاد حلول لها .. مرة شكل لجنة لتطوير المصانع الحربية عندما لاحظ وجود آلات مكررة فى كثير من المصانع وبعضها لا يحتاج إليها فعقد لجنة وأعاد تنظيمها وفق الاحتياجات الفعلية..

أبوغزالة يتمتع بميزة اللباقة ولديه قدرة فائقة على سرعة التصرف فى

المواقف الفجائية، واتخاذ القرار أو التغلب عليه.. رجل رياضى حتى آخر فترة قبل مرضه بشهور قليلة..

من سماته الجميلة حبه للنكتة والفكاهة وأتذكر أنه طلب مرة من الزميل سيف اليزل وكان ملحقا عسكريا بلندن كتاباً عن النكت بالرغم من همومه ومشاغله الكثيرة..

كلمة أخيرة أقولها عن شخصيته، وهو أنه كان عاشقاً لأسرته يحب أولاده وأحفاده، ولا يستطيع أن يستغنى عنهم أوالعيش بعيداً عنهم.. حتى أنه أقام بيتاً وسكن معه كل أولاده.. ربنا يجازيه ويرحمه على قدر ما أعطى لمصر ويدخله الجنة .. آمين"..

الأستاذ محمد عبد المنعم [1] رئيس تحرير مجلة روزاليوسف سابقاً قال عنه:

"المشير أبوغزالة مقاتل من الطراز الأول.. كما تشهد سجلات حرب أكتوبر، فهو إنسان مفكر، بدليل أنه قام بتأليف عدد من المراجع فى العلوم العسكرية خلال خدمته الطويلة بالقوات المسلحة، وعندما تجتمع هاتان الصفتان فى إنسان واحد، قلما تبذل الطبيعة بهذا السخاء، فالمرء لا يتوقع أن يكون صاحبهما بهذا القدر من التواضع والبساطة وقوة البناء الإنسانى الذى لا يغير منه أى منصب.. بمثل ما يتمتع به الفريق محمد عبد الحليم أبوغزالة وزير الدفاع والإنتاج الحربى.. ولكى أحصل على هذا الحديث لاحقته أياماً منذ الساعة السادسة والنصف صباحاً، حيث يبدأ يومه بممارسة رياضة التنس بملاعب وزارة الدفاع ولمدة ساعة تقريباً، ثم يستمر فى العمل حتى ساعات الغروب.. كان طوالها فى اجتماعات ومقابلات ومؤتمرات لا تنتهى.. وإن لم يكن هذا أو ذاك فيكون فى مرور على الوحدات والتشكيلات"..

الكاتب الصحفى مكرم محمد أحمد[2] قال عنه:

"هو عقلية عسكرية، لديها قدرة على التفكير الاستراتيجى، وله العديد من المؤلفات العسكرية التى تدرس معظمها فى المعاهد والأكاديميات العسكرية، وبعض مؤلفاته منشور ومتداول لدى الرأى العام ولهذا لم ينحصر فى دائرة الفكر العسكرى، بل تعداه إلى الفكر السياسى والاستراتيجى.. "

الصحفى حمدى لطفى[3] كبير المحررين العسكريين

رأيت أبوغزالة يتألم كلما صدم بأداء كان صاحبه يستطيع الوصول به إلى

---

(١) مارس ١٩٨٢ -جريدة الأهرام

(٢) مجلة المصور يوليو ١٩٨٢

(٣) يناير ١٩٨٧/الأنباء.

المستوى الأمثل ثم تكاسلأو كلما لجأ أحدهم إلى التحايل والأكاذيب، وظل حريصاً على ألا ينفصل فكره عن الواقع على الإطلاق، حين كان ضابطاً صغيراً وطوال خدمته قائداً عاماً للقوات المسلحة المصرية مطبقاً لشعار: "إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع، والذين اقتربوا من أبوغزالة، وأنا أنقل عن ضباط وجنود خدموا معه ويقولون عنه: «إن الغضب لم يأسره فى أقصى المفاجآت السيئة، وربما زادته هذه المفاجآت قدرة على التفكير الناضج، والدليل يوم اغتيال السادات والساعات الخطيرة التى أعقبت هذا الحادث».

واستطاع أبوغزالة قيادة رجاله لتأمين السيطرة على العاصمة وبقية البلاد والصورة كانت مشوشة أمام الجميع.. وهى مهمة ليست سهلة كما أرويها اليوم، فحتى نهاية نهار ٦ أكتوبر ١٩٨١ لم يكن أحد يدرى من المسئولين وقتها هل وراء اغتيال السادات انقلاب.. مؤامرة من الداخل أو الخارج .. تنظيم سرى داخل الجيش أو خارج الجيش؟ وأسئلة أخرى طرحت نفسها وتطلبت إجابات سريعة على مستوى القيادات العليا الأمنية والعسكرية تتعلق بموقف حكومات أجنبية وعربية، وقد كان سلوك أبوغزالة سلوكاً نابعاً من الثبات الإرادى الذى يتمتع به فى مواجهة المحن والكبوات، ولكن الابتسامة النابعة من القلب فارقته بعد ذلك..

يقول اللواء محسن حمدى: "دعيت ذات مرة لإلقاء محاضرة فى الجيش الثانى الميدانى بدعوة من الفريق صلاح عبدالحليم، قائد الجيش الثانى فى وقت ما.. وكان بعد تحرك العميد أبوغزالة من الجيش الثانى.. ولما كنت أسمع عنه عملت استطلاعا شخصيا منى؛ حبًا فى هذه الشخصية أتلمس من خلاله معلومات أكثر عن شخصيته، وكنت أسأل عمن خدم معه أو تعامل معه.. وفعلا سمعت وشاهدت بنفسى كلاما ومعلومات وشعبية كبيرة توازى ما سمعته عنه وأكثر كثيراً»..

دراسة أعدها كاتب أمريكى هو دكتور روبرت سبر نجورج نشرت فى مجلة ميد إيست ريبورت عام ١٩٨٧ وصف فيها المشير أبوغزالة بأن شخصيته ذات

منطق واضح وطموح.. كما أن مقابلاته غير المسجلة مع الصحفيين الأمريكيين تعطى المشاهد انطباعاً بقدرته على مواجهة المسائل مباشرة وبشكل محدد..

ومن أطرف ما أشارت له الدراسة أيضاً، تمتع المشير أبوغزالة بحسن الطالع وأنه عندما يحضر مباريات كرة القدم فإن فريق المنتخب المصرى يفوز.

● **قال عنه أحد الملحقين العسكريين الأجانب:** إنه من أفضل رجال المدفعية فى العالم.. وعرف عنه أنه كان يعرف عن المؤسسة العسكرية الأمريكية أكثر مما يعرف معظم الأمريكيين، وقال مصدر أمريكى آخر: إن باستطاعته - أبوغزالة - مضايقة الأمريكيين لأنه يعرفهم جيدا [١] .

مختارات مما قيل عنه بعد وفاته..

أكد خبراء عسكريون واستراتيجيون أهمية الدور الذى لعبه المشير محمد عبد الحليم أبوغزالة أثناء حرب أكتوبر ٧٣، وتطويره لمنظومة الجبش المصرى بعد الحرب، بالإضافة إلى اهتمامه بدور القوات المسلحة فى تنمية المجتمع والمشاركة فى المشروعات القومية المدنية.

الفريق عبدرب النبى حافظ.. يرثيه قائلاً: "أبوغزالة كان إنساناً رائعاً وشخصية محبوبة ومحباً للرياضة والنكتة.. مهما أقل عنه فلن أوفيه حقه.. رحمه الله وجزاه خيرا على كل ما كان يقوم به من أعمال عظيمة طوال مشوار حياته.

يقول الكاتب الصحفى أسامة هيكل : "فى مكتبتى قسم لمؤلفات وترجمات أبوغزالة.. قمت بشراء بعضها، وأهدانى هو البعض الآخر موقعا بخط يده، وهى ليست كتبا عادية، ولكنها كتب ذات قيمة معرفية، ومعلوماتية عالية، تجعلها مراجع أساسية فى علوم الاستراتيجية والأمن القومى، وأستعين بها فى كثير من الأحيان، وألمس فيها رؤية مستقبلية ثاقبة ومحددة... إن مكانة المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة فى قلوب المصريين لم تكن بسبب منصب.. فقد زاد احترام وحب وتقدير المصريين له بعد خروجه من المنصب.. ولكن مكانته ترجع لإحساس الناس بأنه قيمة فكرية كبيرة، ولتواضعه الشديد فى التعامل مع الناس".

---

(١) جريدة القبس ٥ مارس ١٩٨١ .

أما الكاتب الصحفى جلال دويدار فقال عنه بعد وفاته: لقد كان المشير علماً من أعلام العسكرية المصرية.. وطنياً متحمساً وقومياً مؤمناً بقضايا أمته العربية.. لم يكن عسكرياً عادياً ولكنه كان هاوياً ودارساً ومفكراً لم يمنعه اضطلاعه بمسئولياته الوظيفية عن الاهتمام إلى أقصى حد بقضايا التمية فى وطنه.. تجسد ذلك فى تبنيه لهذا الفكر فى اجتماعات مجلس الوزراء عندما كان وزيرا للدفاع فقد كان يؤمن بضرورة مساهمة القوات المسلحة بما هو متاح لها من انضباط وإمكانات فى تنفيذ مشروعات البنية الأساسية.. إن السجل العسكرى للراحل الكبير المشير أبوغزالة يشهد له بأنه كان شخصية مميزة فى هذا المجال منذ تخرجه فى الكلية الحربية عام ١٩٤٩ إلى أن تولى قيادة المدفعية فى الجيش الثانى الميدانى خلال الحرب".

وصف اللواء دكتور محمود خلف، مستشار المركز القومى لدراسات الشرق الأوسط أبوغزالة بأنه كان يتمتع بإنسانية مع جميع العاملين معه، بدءاً من الجنود وحتى كبار الضباط وقال: «كان شديد الاهتمام بأدق المشاكل الشخصية للعاملين معه ، لدرجة أنه كان يشدد على الضباط بأن يتفحصوا أمر أى عسكرى تظهر على وجهه ملامح الضيق والحزن؛ لمعرفة أسباب مشكلته ومساعدته فى حلها»، وأضاف «كان يكلفنا بحصر تلك المشكلات وعرضها عليه». وأكمل قائلاً بأنه كان أستاذاً فى إزالة حالة التوتر لدى الجميع، وذلك لما كان يتمتع به من روح الفكاهة، وقدرة فائقة على حل أصعب المشاكل بأقل الإمكانيات.. فذات مرة وقعنا فى مأزق عسكرى بسبب ضعف الإمكانيات ومفاجأة العدو لنا، فاتصلت به شخصياً، وأخبرته بحجم الخطر الذى نواجهه، وعلى الفور أمر بتوفير المعدات اللازمة، وظل على اتصال بى حتى تأكد من سلامتنا جميعاً.. كان يتمتع أبوغزالة أيضاً بذاكرة قوية تجعله يتذكر مشاكل وهموم الجنود المعروضة عليه، وتظل عالقة فى ذهنه حتى حلها، ولقد برز بعده الإنسانى فى تعامله مع الجنود عندما كان أول من طالب بإنشاء وحدات إسكان مهنى من خلال جمعيات تعاونية تتولى إنشاء وحدات رخيصة الثمن للبسطاء، كما أنه أول من طالب بتجديد معسكرات القوات المسلحة بعد حرب أكتوبر.

كما استغل عمله كملحق عسكرى بالولايات المتحدة عام ١٩٨٠، وفتح الباب

أمام ضباط القوات المسلحة للدراسة بالمعاهد العليا العسكرية هناك، وكان يتابع سير المحاضرات بنفسه، كما أنه كان حريصاً على تطوير الجيوش العربية، حيث كان يؤكد لنا، خاصة بعد حرب أكتوبر، أن أى حرب لدولة عربية فهى حرب للعالم العربى بأكمله.

وأضاف: لم يكن أبوغزالة يسعى لتقلد أى مناصب طيلة حياته، ولم تغير المناصب التى تولاها، منذ أن كان برتبة المقدم حتى وصل لمنصب مساعد رئيس الجمهورية، شيئا فى شخصيته وفى إنسانيته، بل على العكس دوماً كان يؤكد لطلابه أن الإنسان الذى يشعر بأن الكرسى الذى جلس عليه قد أضاف له وكبره فهو أنانى ولا حاجة إليه، لأن الإنسان هو الذى يضيف دائماً للكرسى الذى يجلس عليه وليس العكس.

يقول اللواء حسن طه حسن خليفة، الخبير العسكرى والاستراتيجى: إن المشير أبوغزالة يمكن وصفه فى ثلاث كلمات «راجل ابن بلد»، وأضاف طه أنه تعرف على المشير أبوغزالة عندما كان لايزال عقيداً فى مدفعية الجيش الثانى فى أواخر الستينيات، مشيراً إلى أن أبوغزالة ظل ذلك الرجل البسيط المتواضع ولم تتغير أى صفة من صفات شخصيته، حتى بعد أن أصبح مشيراً، بل على العكس كان أكثر تواضعاً.

وأوضح أن أبوغزالة كان معروفاً بين أفراد القوات المسلحة بأنه خدوم، وكان يتعامل معهم من منظور أنه أب لهم وليس القائد العام.

وعما تردد أثناء حياة أبوغزالة من تعاظم نفوذه الزائد وتأثير ذلك على إقالته، أكد طه أن أبوغزالة كان أكبر بكثير من أن يطمع فى مناصب عليا، فالرجل الذى يتبسط مع الناس ويحدثهم عن جهوده لتوفير سبل حياتهم لا يفكر إلا فى مصلحة أبنائه بالقوات المسلحة، وهذا ما جعل شعبيته فى تزايد مستمر.

وتطرق اللواء إلى أن إنسانية وأخلاق وقيم المشير أبوغزالة لاتزال موجودة حتى اليوم فى أولاده وأحفاده، إذ أن أحد أبناء المشير يعد بمثابة الصديق والابن له، ليؤكد فعلاً أنه خير خلف لخير سلف.

يقول اللواء حسام سويلم الخبير الاستراتيجى: إن المشير أبوغزالة كان أستاذه الذى علمه العسكرية عندما تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٥٦م،

وكان وقتها مدرسًا فى مدرسة المدفعية، مؤكدًا أنه تلقى على يديه العلوم العسكرية، واكتسب منه روح المدفعية المعروفة من تآخ وترابط، فضلاً على أنه كان قائدًا له فى مراحل مختلفة من حياته إلى قيادته لمدفعية الجيش الثانى الميدانى، وكان سويلم أحد ضباطه.. ومن مواقف حرب أكتوبر يقول: إنه فى يوم ٢١ أكتوبر تعرضت الفرقة ١٦ لموقف غاية فى الصعوبة عندما حاول الإسرائيليون اختراق الجيش الثانى، ونجح أبوغزالة ببراعة وثبات شديدين فى تجميع نيران ٢٤ كتيبة مدفعية؛ مما أدى إلى حماية الفرقة ١٦ والجيش الثانى بأكمله، وحصل نتيجة ذلك على وسام نجمة الشرف العسكرية.

ويشير اللواء طلعت مسلم الخبير الاستراتيجى إلى أن أبوغزالة كان ضابطًا يتميز بالذكاء والحضور والعلاقات الطيبة مع الزملاء، فضلاً على كفاءته فى العمل وطموحاته الكبيرة، سواء بالنسبة له أو للقوات المسلحة المصرية؛ وذلك مما عرفته عنه من خلال وجودى معه فى الخدمة فى القوات المسلحة.

ويضيف الفريق يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩ فى حرب أكتوبر: إن المشير أبوغزالة رحمه الله "قائد عسكرى فذ ومثل أعلى فى الجدية والالتزام، وكان أبوغزالة فى الجيش الثانى الميدانى وقت خدمتى فى الجيش الثالث، وقد كان هناك تعاون مثمر بين الجيشين وقتها، وكنت ملحقا عسكريا فى روسيا وقت وجوده ملحقًا عسكريا فى أمريكا"..

ويوضح اللواء محمد على بلال، قائد القوات المصرية فى حرب الخليج، أن المشير أبوغزالة ليس مجرد قائد عسكرى من الطراز الفريد، وإنما هو قيمة وطنية كبيرة، ورجل مصرى صميم؛ أعطى لمصر الكثير، وتتشرف مصر أن يكون أحد أبنائها، وكان أيضًا رجلاً سياسيا استراتيجيا اقتصاديا، وله آراء عظيمة فى مجالات عديدة، وعندما كان يتحدث أبوغزالة لا تملك إلا أن تنصت له تمام الإنصات، وقد احترمه الجميع؛ من أحبه ومن لم يحبه، "وإن كنت أعتقد أنه لم يوجد أحد لم يحبه.. إنه أول من طبَّق الروح المعنوية على حقيقتها فى القوات المسلحة، وسيظل ذكرى إلى الأبد فى عقل وقلب ووجدان كل مصرى.

وممن عايشه اللواء شوقى فراج الخبير العسكرى، الذى يقول: "عشت مع المشير أبوغزالة فى الجيش الثانى الميدانى عندما كان قائدًا للمدفعية، وكنت

أنا رئيس مهندسى الجيش الثانى، وقد لازمته يوميا فى الفترة من أكتوبر ٧١ حتى أبريل ٧٤، ولمست من خلال هذه المعايشة أنه- رحمه الله- كان رجلاً بمعنى الكلمة؛ فقد ضرب أروع الأمثلة فى الجرأة والشجاعة والذوق والتواضع".[١] وأدعو الله أن يتغمده برحمته، وأن يجعل كل ما قدمه لمصر فى ميزان حسناته".

نعود مرة أخرى للصحافة ونجد جلال دويدار : يقول: " لم يمنعه اضطلاعه بمسئولياته الوظيفية عن الاهتمام إلى أقصى حد بقضايا التنمية فى وطنه " .

الدكتور صالح سليمان عبد العظيم : " لم يكن أبوغزالة حديث الناس فى الشارع المصرى فقط، لكنه، ومن خلال امتلاكه لتلك الشخصية الكاريزمية، كان محبوبا فى الأوساط العسكرية؛ سواء من القادة العسكريين الكبار أو من الضباط الصغار، ومشكلة المصريين تكمن فى ارتباطهم الهائل بالشخصيات الكاريزمية التى تقودهم فى محبة وعزة إلى الأمام".

وعلى الجانب السياسى يقول الدكتور سيد عليوة، أستاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان: إن المشير أبوغزالة أحد رموز العسكرية المصرية التى لعبت دورًا تاريخيا مشهودًا فى تاريخ مصر العسكرى فى الحروب التى خاضتها دفاعًا عن أراضيها؛ بداية من حرب ٤٨، مرورًا بحرب ٥٦، ثم حرب الاستنزاف، وأخيرًا حرب أكتوبر ٧٣ مما يضع اسمه على رأس قائمة الشرف للعسكرية المصرية والدور الذى لعبته حتى فى أوقات السلم فى التنمية والسلام والاستقرار الاجتماعى.

ويضيف د. عليوة: إن تاريخ المشير أبوغزالة يؤكد أن العسكرية المصرية هى احتياطى القيادات فى الظروف المتقلبة فى العالم النامى، كما يؤكد هذا التاريخ أن انفتاح الجهاز الأمنى على المجتمع بات ضرورة ملحة فى زمن أصبحت فيه الاستراتيجيات ذات أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية.

وفى الإطار نفسه أكد الدكتور جمال عبد الجواد، الباحث بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية: أن المشير أبوغزالة أحد القادة الرئيسيين فى حرب أكتوبر، ولعب دورًا مهما فى الحياة السياسية

---

(١) شاء القدر أن يلقى ربه، وينتقل إلى جواره فى أول يناير قبل الماضى وبعد المشير بشهور قليلة.

والعسكرية؛ فمن الناحية العسكرية هو أكثر من قائد عسكرى محنك، ولكنه يكاد يكون مفكرًا عسكريا؛ لما له من إسهامات فى مجال المؤلفات الخاصة بالعلوم العسكرية.

المستشار المرحوم مأمون الهضيبى وصفه " بالعسكرى المحترم " ووصفه المرحوم إبراهيم شكرى بوصف " القامة العالية ... " أما الدكتور رفعت المحجوب فكان يقول عن المشير رحمه الله إنه من القلائل الذين إذا تحدثوا فإن الواجب يفرض عليك الإنصات..



دفعة عام ٤٩ فى أول لقاء يجمعهم بعد وفاة المشير أبو غزالة يقرءون الفاتحة على زملائهم الراحلين



الدفعة عام ٤٩ فى صورة تجمعهم بعد وفاة المشير أبو غزالة بأيام قليلة



مشير / محمد عبد الحليم ابو غزالة

نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والانتاج الحربى
والقائد العام للقوات المسلحة

يتشرف بدعوة السيد / اللواء اح / عبد المنعم محمد خليل

لحضور : الاحتفال بتسليم وتسلم قيادة الجيش الثانى الميدانى
وافتتاح المدينة السكنية بوادى السلام

وذلك سعت ٩٣٠ يوم الخميس الموافق ١٧ / ١١ / ١٩٨٨

فى / قيادة الجيش الثانى الميدانى بالاسماعيلية

اللبس للعسكريين : للاعتذار : تليفون ٨٣٦١٥٥ ٨٣٦١٣٧



المشير أبو غزالة والفنان عادل امام واللاعب محمود الخطيب والسيد جمال الليثي فى حفل زفاف ابنة زميله وصديقه جمال الليثى المنتج السينمائى المعروف


لم يغب ابداً عن أداء الواجبات الاجتماعية .. فى حفل ابنة صديقه اللواء دكتور عثمان الخواص


أبو غزالة .. الأبوة .. الحنان

الفصل الثالث عشر



المرض.. الوفاة.. الجنازة.. ما قيل بعد وفاته

- الرئيس مبارك يطمئن على صحة المشير أبوغزالة
- الرئيس مبارك يحضر جنازة المشير أبوغزالة
- ذكريات زملائه وأصدقائه ومرضه
- ذكريات من حضر الجنازة
- أهم ما قيل فى نعيه
- العزاء
- تكريمه
- الخاتمة

مرض المشير أبوغزالة

نأتى الآن إلى المرض والوفاة.. المحطة الأخيرة من الرحلة الطويلة ثرية الأحداث والذكريات.. من متابعتى لحالته الصحية مثل باقى الملايين من أحبائه وقبيل وفاته بأيام قليلة لاحظت إبراز صفحات الجرائد خبرا عن سؤال الرئيس مبارك عن صحته.. يقول الخبر: "أوفد الرئيس حسنى مبارك اللواء أركان حرب عبدالمؤمن فودة كبير الياوران إلى مستشفى الجلاء العسكرى للقوات المسلحة للاطمئنان على صحة المشير محمد عبد الحليم أبوغزالة، وإبلاغه تمنيات رئيس الجمهورية بالشفاء العاجل".. وبعدها تابعت بعض الصحف المصرية والعربية والعالمية حالته وتدهورها فى الأيام الأخيرة ولكنها كانت معلومات بسيطة عن حالته الصحية والتكهن بدرجة خطورتها.. الجميع كان يدعو له بالشفاء وأن تكون أزمة وتمضى مثل أزماته الصحية السابقة، خاصة أن الانتكاسة الأخيرة حدثت سريعاً وبعد عودته من علاج سابق بفرنسا..

وحين نعود لبداية مرض المشير أبوغزالة نجد أنه أصيب بسرطان فى الفك اكتشفه طبيب الأسنان الذى كان يعالجه.. وأخذ يتجرع الألم بمفرده، وبصبر وإيمان قوى، ودخل فى صراع قوى وشرس رافضاً الاستسلام أو الانحناء للمرض الذى استدعى سفره إلى معهد باستير فى فرنسا، "أشهر مركز لعلاج الحالات المشابهة لمرضه".. ولم يفلح العلاج الكيماوى لتأخر اكتشاف المرض

ووصوله إلى أماكن حساسة بالجسم وأيضاً لكبر سنه وعدم تحمله للعلاج الكيماوى، علاوة على الآثار الجانبية لبعض وظائف الجسم..

وكان القرار هو أن يتم علاجه بطريقه تضمن على الأقل ألا ينتقل المرض إلى أماكن أخرى فى جسده، لكن يبدو أن هذا الهدف كان بعيد المنال.. فبعد أن عاد من فرنسا ورغم التعب الشديد فإنه لم يبد مستسلماً، وحاول أهله وأصدقاؤه أن يتعاملوا معه بطريقه عادية، لا تشعره بأنه مريض حتى لا يؤثر ذلك على معنوياته فتتدهور حالته أكثر.

وبالفعل كانت حالته مطمئنة بعض الشئ، وقبل وفاته بشهرين تقريباً بدأ يشعر بتحسن وبدأ ينزل إلى النادى، الذى انقطع عنه فترة، يقابل أصدقاءه، ويقوم بممارسة بعض التمارين الخفيفة، لكن قبل وفاته بشهر واحد تقريباً بدأت حالته فى التراجع والتدهور السريع، بل شعر هو شخصياً أنه ينهار صحياً وأن جسمه لم يعد قادراً على المقاومة،المشير أبو غزالة أصر على أن يدخل مستشفى الجلاء العسكرى، ففى أى مكان عسكرى يشعر أنه فى بيته، ونتيجه لتدهور حالته، فقد دخل العناية المركزة إلى أن وافته المنية صابراً ومؤمناً بقضاء الله.. الرئاسة كانت ترى أن يسافر إلى فرنسا للعلاج ليكمل علاجه، لكن طاقم الأطباء المعالج رفع تقارير عاجلة إلى الرئاسة تفيد أن الحالة أصبحت متأخرة جداً وأنه لا فائدة من السفر، هذا علاوة على أن جسد أبوغزالة نفسه لم يعد يتحمل السفر.

وبدأت حالة المشير فى التراجع والانهيار، ودخل مستشفى الجلاء العسكرى، وأصبحت حالته لا تحتمل السفر للعلاج بالخارج طبقاً لرأى أطباء الرئاسة والقوات المسلحة، وانتقل المشير إلى غرفة العناية المركزة، ومنعت عنه الزيارة إلا فى أضيق الحدود ومن الأصدقاء المقربين جداً وبعض أفراد العائلة، حتى وافته المنية فى يوم السبت ٦ سبتمبر ٢٠٠٨ الموافق ٦ رمضان ١٤٢٩ هجرية عن عمر يناهز ٧٨ عاماً و٨ أشهر و٦ أيام(١)..

الأطباء قالوا عنه إنه رغم الآلام التى يسببها هذا المرض اللعين، فإنه لم

---

(١) جريدة الفجر ٢٠٠٨/٩/٨ محمد الباز وعدد من الجرائد المصرية والعربية الأخرى.

يصدر عنه آهة واحدة، وكان يملك قوة تحمل غير طبيعية وطاقته الداخلية التى مكنته من تحمل الألم تفوق طاقة الرجل العادى.

يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم"رمضان شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار..

"لقد اختار الله عبده أبوغزالة إلى جواره فى رمضان وفى العشر الأوائل من رمضان ونرجو الله أن يهبه من رحمته..

الوفاة كانت فى السادس من سبتمبر، والدفن فى السابع من سبتمبر، والعزاء يوم الاثنين الثامن من سبتمبر، وهو يوم المدفعية وعيدها.. هل هذه مصادفة أم أنها حقيقة واقعة أن يموت الرجل فى يوم عيد سلاحه الحبيب، حتى يكون هذا اليوم هو العيدين يوم لقاء ربه وربنا جميعاً ويوم المدفعية.. سار فى جنازته مئات، وخلفها ألوف، ومن ورائها ملايين من محبيه، على رأس الجنازة الرئيس محمد حسنى مبارك ورئيس الوزراء دكتور أحمد نظيف ورئيسا مجلسى الشعب والشورى الدكتور فتحى سرور والسيد صفوت الشريف وجميع الوزراء، وصفوف كثيرة من ضباط المدفعية والقوات المسلحة وعلى رأسها السيد المشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع والإنتاج الحربى القائد العام للقوات المسلحة، والسيد رئيس أركان حرب القوات المسلحة الفريق سامى عنان.. وأسرة الفقيد وأولاده وأحفاده وأصدقاؤه وزملاؤه وتلاميذه ومحبوه..

وتسجل السطور المقبلة شهادات بعض أصدقائه عن مرضه وذكرياتهم معه فى هذه الأيام ..

ذكريات زملائه وأصدقائه عن مرضه..

الفريق عبد رب النبى يقول: فى مرضه الأخير كنت دائم الاتصال به للاطمئنان عليه، وآخر مرة سافر فيها للعلاج بالخارج.. كلمته ثانى يوم عودته وكان صوته طبيعياً ويتكلم حديثه العادى، الذى يغلب عليه خفة ظله وروحه المرحة، وأخبرنى أن الأطباء أكدوا له أنه يحتاج إلى الراحة شهرا واحدا فقط وبعدها يزاول حياته كما كان، وقلت له: " لو شهر فقط يبقى شئ بسيط اقعد فى البيت واستحمل"..

بعد فترة قليلة، تدهورت حالته وزرته فى المستشفى أكثر من مرة، وكانت

زيارة مؤثرة جداً، فحالته كانت سيئة للغاية وبدأت فى التدهور بصورة كبيرة وحزنت لأجله، فى هذا التوقيت كنت مسافرا لأداء العمرة، ومررت عليه قبل ذهابى إلى المطار، وكأنى أودعه، وكانت حالته متأخرة جداً، وكنت أدعو الله أن أعود من العمرة وأجده ولكنه قضاء الله.. ونحن فى المدينة المنورة جاء إلينا خبر وفاة المشير أبوغزالة، **وكان صدمة وخبرا حزينا على وعلى كل من معى.. أبوغزالة كان إنساناً رائعاً وشخصية محبوبة ومحباً للرياضة والنكتة.. مهما أقل عنه فلن أوفيه حقه..**

يسترجع الفريق صفى الدين ذكرياته عن مرض ووفاة المشير أبوغزالة قائلاً: أثناء فترة مرضه.. كنت اتصل به باستمرار، فى أوقات كثيرة عندما كنت أتصل ولا أتمكن من الحديث معه بسبب نومه أو عدم وجوده فى المنزل.. أجده يتصل بى فور عودته ويسألنى عن بناتى وأسرتى وزوجتى وأخواتى..

قبل أن يدخل المستشفى آخر مرة، كنت أكلمه وأخبره أن بناتى يردن رؤيته، فكان يرفض أن يشاهدنه وهو بهذه الصورة إشفاقاً عليهن وعليه.. عندما توفى كان هذا الخبر مؤلماً للغاية علىَ وعلى أسرتى، بناتى وأخواتى وأهلى بكوا عليه بعد وفاته بشدة وكأنه فرد من من أفراد العائلة، وكانوا يتوقعون أن شخصا بهذه الصفات سيظل موجوداً طيلة العمر ولن يموت.. ولكنها حكمة الله ولكل أجل كتاب..

اللواء منير شاش يقول:

علاقتى بالمشير أبوغزالة لم تنقطع لحظة.. فى مرضه الأخير الذى توفى فيه.. كنت أريد أن أراه وأتحدث معه ولكن الأطباء كان يرفضون المقابلة، نظراً لحالته الحرجة، ولكن قبل وفاته بأيام قليلة اتصلت بى ابنته الدكتورة حنان وأخبرتنى بأنه يسأل عنى.. وذهبت إليه سريعاً وجلست معه نحو ربع ساعة فقط وأخذت أداعبه وأقويه وضحكنا قليلاً، ولكن بعد خروجى ورغماً عنى انسالت دموعى حزناً على الحالة الصحية السيئة التى وصل إليها ولإحساسى أنها مقابلة الوداع.. وتوفى بعد هذه المقابلة بنحو أربعة أيام فقط والذى أعرفه أنه كان يرفض أن يراه أى فرد فى الحالة التى وصل إليها إشفاقاً على أحبائه.. أبوغزالة إنسان لن يعوض.. نادراً تكراره مرة أخرى

وعن مرضه يقول اللواء يحيى خليفة: زرته ثلاث مرات فى مستشفى

الجلاء فى مرضه الأخير.. المرة الأولى كنت فى المستشفى للعلاج وعرفت بالمصادفة أنه يجرى بعض التحليلات، وقابلته واستقبلني استقبالاً حاراً رغم أنه كان يضع الحقنة فى ذراعه.. المرة الثانية كان مريضاً جداً ولم أتمكن من رؤيته.. المرة الثالثة كان فى حالة متأخرة جداً وأخبرتنى السيدة الفاضلة زوجته بأن الزيارة ممنوعة ولكنى يمكننى أن أراه دقائق وبالفعل دخلت عليه وكان نائماً ولم يشعر بى ولكنى ودعته ومكثت معه نحو خمس دقائق فقط.. وكنت فى غاية الحزن عليه.. وعرفت الخبر الحزين بعد هذه الزيارة بأيام قليلة، وكان خبرا فى غاية الصعوبة علىّ وعلى كل من عرفه أو تعامل معه.. ولكنه ارتاح من الآلام المبرحة التى كان يشعر بها ويقاومها..

يقول الفريق أحمد صلاح عبد الحليم: «آخر مرة شاهدته فيها قبل وفاته بعشرة أيام، وكان شجاعاً فى مقابلة قضاء الله مبتسما ويضحك كعادته، شاهدته وأثناء مكوثى معه حضر المشير حسين طنطاوى وزير الدفاع والإنتاج الحربى للاطمئنان عليه بنفسه وظللنا معه دقائق معدودة فالزيارة كانت ممنوعة».

اللواء حسام خيرت يقول: آخر مرة ودعته فيها قبل وفاته بيوم، واستطعت أن أراه لمدة دقائق محدودة"..

اللواء عطية سليمان الدفعة ٤٩ يقول:"قبل وفاته بعدة أيام أرسلت له برقية قلت فيها.. سلامتك يا خير القادة ويا أعز الرجال.. كنت أريد أن يشعر بأن الجميع معه ويحبه"..

اللواء محفوظ حمدى رئيس هيئة العمليات السابق يقول: "لم تنقطع صلتى به بعد خروجى من القوات المسلحة وكنت أكلمه على فترات متقطعة فى الأعياد والمناسبات وكنت أخجل من ترحيبه وكلمات الشكر غير العادية وكلامه الرائع الذى يقوله.. علاقتنا الإنسانية لم تنقطع.

القوات المسلحة تدعم وفاء الأجيال الصغيرة للكبيرة، والجيل الصغير سواء بالخدمة أو خارجها يسأل عن الأقدم منه وهى ميزة وسمة موجودة إلى الآن ويدعمها المشير طنطاوى ويعمقها، زرته فى مرضه ولكن لم ألتق به نظراً لسوء حالته ولم أرد أن أراه وهو فى هذه الحالة.. رحمه الله وتقبل الله منه أحسن أعماله ..

يقول اللواء عبد الجابر أحمد: أثناء مرضه كنت أزوره.. ولكنى لم أره لأنى كنت أعلم حالته السيئة وأنه لا يريد أن يراه أحد وهو بهذه الصورة.. رحمه الله.

يقول اللواء حسن الجريدلى [1] : " عندما علمت بمرضه ووجوده فى المستشفى وقبيل وفاته بأيام، كانت أمنيتى أن أراه وأطمئن عليه أو على الأقل ألقى نظرة الوداع.. ولكن للأسف الزيارة لم تكن متاحة لرؤيته نظرا لحالته الصحية الحرجة، ولكنى قابلت ابنته وأخاه والدموع تملأ أعينهما .. وأخبرونى أن حالته حرجة جدًا وأن الأمل كله منعقد على الله ورحمته.. وفعلا بعدها بنحو أقل من أسبوع توافيه المنية ويرحل عنا فى صمت كعادته..

إنه إنسان سيظل الجميع يذكره فهو بحق إنسان يصعب نسيانه..

يقول كبير المحررين العسكريين «الراحل» جمال كمال: "المشير أبوغزالة زرته بالمستشفى قبل وفاته بأيام قليلة وودعته بقليل من الكلمات..

كلمة أخيرة ننهى بها هذا الوداع الحزين.. تقريبا كل أحبائه وأصدقائه وزملائه ودعوه أو على الأقل زاروه.. فلم أسجل مع أحد إلا وأخبرنى بهذا.. حتى المرضى والزائرون العاديون بمستشفى الجلاء كانوا يسألون عليه ويدعون له بالشفاء وعندما مات كانوا يكثرون له الدعاء..

ما قيـل فى نعيـه

اللهم لا نزكيه عليك ولكن نحسب أنه آمن وعمل صالحاً، فاجعل له جزاء الضعف بما عمل واجعله فى الغرفات من الآمنين..

بهذه الكلمات شكرت أسرة المرحوم المشيرمحمد عبدالحليم أبوغزالة كل من تفضل بمواساتها وتعزيتها فى مصابها الأليم فى وفاة السيد/ المشير أبوغزالة.

أما نعى القوات المسلحة، فقد تصدره السيد المشير حسين طنطاوى القائد العام للقوات المسلحة والإنتاج الحربى.. ضباط وضباط صف وجنود القوات المسلحة.. وذلك فى أعلى صفحة الوفيات وبكلمات حزينة هذا نصها: "برحيل الفقيد المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة.. فقدت أمتنا وجمهورية مصر العربية ابناً باراً من أبنائها المخلصين الأوفياء.. فارساً شجاعاً وجسوراً من

---

(١) انتقل إلى جوار ربه يوم ١٧ أبريل ٢٠١٠ وبعد تهنئتى بالتصديق على نشر الكتاب .. ولم يمهله القدر أن يرى الكتاب ويقرءه .. رحمه الله.

فرسانها البواسل، الذين ما بخلوا قط بالدم والجهد فى سبيل تعزيز مكانتها ورفعة شأنها والدفاع عن كرامتها.. ونتوجه إلى الله مخلصين له الدعاء أن يتغمد الفقيد برحمته ويلهم أهله الصبر والسلوان".

نعاه بعد ذلك العديد من الشخصيات العامة والأصدقاء.. اخترت منها ما يلى:

نعاه الصديق حسين سالم.. رجل الأعمال وصديق العمر قائلاً: أنعى بمزيد من الحزن والأسى البطل العظيم والصديق الكريم المشير محمد عبد الحليم أبوغزالة، داعياً المولى أن يدخله فسيح جناته وأن يلهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان..

وقال الدكتور على السمان رئيس اتحاد مجمع الأديان فى نعيه: يكفيك فخراً أنك انتميت إلى مدرسة أكتوبر وكنت من قادتها وأبطالها..

عرفتك منذ أن كنت ملحقاً عسكرياً لمصر فى أمريكا، وأشهد أنك من بين الذين فهموا العقل الأمريكى وتعاملوا معه بفاعلية واقتدار لتحقيق مصالح مصر العليا..

تميزتم بنهم كبير للقراءة والاطلاع، فأثبتم أن العلم والثقافة ليسا حكراً لمهنة دون أخرى[١]..

الجنـازة

جريدة المصرى اليوم ذكرت فى صفحاتها، وأثناء تغطيتها للوفاة بأنها ذهبت إلى مسقط رأسه فى قرية «زهور الأمراء» التابعة لمركز الدلنجات فى البحيرة، وكان لافتاً وجود صورتين: الأولى للرئيس مبارك، والأخرى لأبوغزالة فى مدخل القرية اعترافاً بفضله عليها، وهو ما يفسر خلوها من كل الرجال تقريباً بعد سفرهم إلى القاهرة لحضور الجنازة التى خرجت من مسجد آل رشدان[٢].

فى جنازة عسكرية مهيبة.. التف فيها كل أبناء الشعب عسكريين ومدنيين.. أصدقاء وغرباء.. معارفه ومن سمعوا عنه..

---

(١) جريدة الأهرام فور وفاته صفحه الوفيات ٧-٢٠٠٨/٩/٨ يوم الاثنين.

(٢) المصرى اليوم ٨- ٢٠٠٨/٩/٩ داليا عثمان وهدى رشوان وعدد من الجرائد ووكالات الأنباء.

وسط هذا الحشد الكبير تقدم الرئيس حسنى مبارك مشيعى جنازة المشير أبوغزالة، من مسجد آل رشدان.. من أمام النصب التذكارى للجندى المجهول لمدينة نصر، وكان شيخ الأزهر (الراحل) الدكتور محمد سيد طنطاوى قد أمَّ المصلين فى صلاة ظهر الأحد، وحمل الجثمان الذى كان ملفوفاً بعلم مصر على عربة مدفع يتقدمها حملة الأوسمة والنياشين التى حصل عليها الفقيد خلال خدمته الطويلة..

شارك فى تشييع جنازة المشير التى استمرت ١٠ دقائق، كبار رجال الدولة ورؤساء مجالس الوزراء والشعب والشورى، وعدد من الوزراء على رأسهم وزير الدفاع، وجمال مبارك رئيس لجنة السياسات بالحزب الوطنى، وأقيمت صلاة الجنازة عقب صلاة الظهر.. واصطف أهل الفقيد لتلقى العزاء فى الفقيد، الذى توفى بعد صراع مع مرض السرطان، وكان الرئيس مبارك أول من قدم واجب العزاء، ثم تحرك الجثمان ليوارى الثرى فى مقابر الأسرة بمدينة نصر.

وقال مصدر دبلوماسى: إن إصرار الرئيس على أن يكون فى الصفوف الأولى لمشيعى المشير، يرجع إلى تاريخ الفقيد الطويل، خاصة أنه خدم الوطن وشارك فى جميع الحروب، التى كان آخرها حرب أكتوبر، فضلاً على جهوده التى بذلها للارتقاء بالوطن من خلال المناصب الكثيرة التى تولاها".. هذا ما ذكر ونضيف عليه أنه زميله فى الكلية الحربية وصديقه الوفى الذى دائماً ما كانا يجتمعان معاً فى السراء والضراء.. ورفيقه فى رحلتى الحرب والسلام وبناء الوطن .

نعود للعزاء مرة أخرى ونجد أنه تم إنشاء سرادق ضخم للجنازة امتد من نهاية شارع يوسف عباس بالتقاطع مع طريق النصر مروراً بسور نادى الزهور وقاعة المؤتمرات حتى المنصة.

واصطف رجال القوات المسلحة على امتداد الشوارع الرئيسية والجانبية، كما أقاموا عدداً من البوابات الأمنية المخصصة لتأمين الجنازة العسكرية.

وأخلت قوات الأمن شارع يوسف عباس من السيارات الواقفة تماماً، وامتدت قوات الأمن المركزى من تقاطع شارع صلاح سالم مع شارع يوسف عباس حتى مبنى المنصة.. ووقف المارة يتفقدون الأعداد الهائلة من رجال الجيش والشرطة[١] .

---

(١) المصرى اليوم ٨- ٢٠٠٨/٩/٩ داليا عثمان وهدى رشوان وعدد من الجرائد ووكالات الأنباء

● **العــــزاء**

العزاء كان يوم ٨ سبتمبر بحضور كبار رجال الدولة وقادة القوات المسلحة وذلك بدار المناسبات الكبرى بمسجد النزهة بأرض الجولف وكان القراء هم الشيخ فتحى المليجى والدكتور أحمد نعينع والشيخ محمد رجب..

كل القادة والمواطنين الذين حضروا العزاء تحدثوا عن الكم الهائل من الشخصيات العامة والكبيرة وعامة الشعب الذين يعرفون المشير عن قرب أو لم يلتقوا به.. ومن الأمور الرائعة وجود المشير محمد حسين طنطاوى بالعزاء منذ بدايته وحتى النهاية رغم مشاغله الكثيرة وفى الحين نفسه أخبرنى اللواء عبد المنعم سعيد، رئيس هيئة العمليات السابق، عن عزاء السيدات وقد أخبرته به السيدة حرمه بعد عودتها منه.. إن السيدة الفاضلة حرم السيد المشير أبوغزالة امرأة طيبة ولا تختلط كثيراً بالعالم الخارجى، ولذلك فإنها لم تكن تعرف شخصيات كثيرة نسائية معظمها زوجات لكبار قادة الدولة والقوات المسلحة.. ومن الرائع وجود السيدة حرم السيد وزير الدفاع حسين طنطاوى بجوار السيدة أشجان وإخبارها بكل من تقدم لعزائها، إذ كانت تعرفها ولم تتركها إلا بعد انتهاء واجب العزاء..

هذه هى الشخصيات العسكرية الكبيرة وتعاملات القادة وزوجاتهم معاً..

ونعود مرة أخرى للحديث عن العزاء وكانت شهادة من أحد من حضروا العزاء وكان له كلمة رائعة أردت إضافتها هنا.. وهى كلمة للكاتب والسياسى.. العزب الطيب الطاهر..[1] والذى يقول فيها:

عندما وصلت إلى مقر العزاء فى المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة، القائد العام للجيش المصرى وزير الدفاع الأسبق، التابع لمسجد القوات المسلحة بمدينة نصر.

كانت الساعة قد اقتربت من الحادية عشرة مساء وذلك بعد صراع مع الزحام الاستثنائى الذى يفرض سطوته على شوارع القاهرة بعد صلاة التراويح وبشكل خاص منطقة مدينة نصر..

ولدى دخولى القاعة فوجئت بحشود البشر التى جاءت معزية وبحثت عن

---

(١) صحيفة الراية القطرية ٢٠٠٨/٩/١٠ .

الصديق زياد أبوغزالة القنصل العام للسفارة المصرية بالدوحة، وابن شقيق المشير، فعثرت عليه وكان محاطاً بنفر من أصدقائه ومعارف الأسرة، فانتظرت حتى انتهى منهم واحتضنته مشتاقا ومعبرا عن حزنى برحيل واحد من أهم قادة المؤسسة العسكرية المصرية الذى سيسجل التاريخ أدواره الوطنية بأحرف من بهاء لن يتلاشى أبدا لكن زياد شد على يدى وبدا كمن يعزينى لافتا إلى الحضور الرسمى فى العزاء الذى جسده نجلا الرئيس مبارك السيد علاء والسيد جمال وكبار رجال الدولة والوزراء الحاليون والسابقون وقيادات القوات المسلحة الذين لمحت العديد منهم، بيد أن الحضور الشعبى كان واضحاً، فثمة أناس جاءوا من أطراف بعيدة لا صلة لهم مباشرة بالمشير أو عائلته قدموا واجب العزاء وهو ما جعل زياد - حسب قوله لى - يشعر بالفخر للمكانة التى بلغها عمه فى قلوب الناس وهى مكانة ليس - أضفت أنا -من السهل الوصول إليها إلا عبر انتماء وعطاء حقيقيين للوطن، وأبو غزالة كان من هذا الصنف من القيادات التى رهنت مصيرها ومقاديرها بوطن عشقه ومؤسسة عسكرية احترمها ووهبها عمره، ولم يرض عنها بديلا، حتى بعد أن غادر مواقعه وهو ما تجلى فى رفضه عروضا متعددة من قيادات عربية للعمل إلى جانبها مستشارا عسكريا، حسبما ذكرت صحيفة الفجر المصرية، إن المشير أبوغزالة تمتع على الدوام بحب الناس، لأنه كان يدرك أن القيادة ليست مجرد أوامر عليا تصدرها ويتعين تنفيذها، لكنه كان على يقين من أن التفاعل مع الوسط الذى يقوده والسعى إلى تحقيق متطلباته الحياتية على نحو كريم، هو الأساس المتين لنجاح العملية القيادية، وهو ما طبقه باقتدار وكفاءة فى القوات المسلحة المصرية، التى انحاز لضباطها وأفرادها من خلال فتح أبواب السكن اللائق لهم، والحصول على مختلف الاحتياجات بدون عناء، فى الوقت الذى كان يسعى إلى تطوير قدراتهم القتالية ومهاراتهم المهنية؛ الأمر الذى شكل إطارا لم تخرج عنه المؤسسة العسكرية إن لم تكن قد أضافت إلى رصيده إيجابيا، وفى ضوء هذا الحرص على تكريم المشير رسميا وشعبيا بعد رحيله فإننى أتطلع إلى إطلاق اسمه على إحدى المنشآت الكبرى للقوات المسلحة حتى يكون عنوانا لأفرادها ومجسدا لقيمها الوطنية والقومية التى ما زالت تقبض عليها...

يقول زميله جمال الليثى :"عندما توفى، حزنت جداً، وودعته وحضرت جنازته وعزاءه وكان موجوداً زميل دفعتنا وصديقنا السيد الرئيس حسنى مبارك"..

من اللمسات الرائعة، أن أحد القادة ذكر لى أن المشير حسين طنطاوى حضر جنازته والعزاء وظل منذ بداية العزاء وحتى نهايته وهذا شئ نادراً ما يحدث مع أى فرد.

تكريمه بعد وفاته:

بعد وفاته بأيام.. طالعتنا الصحف المصرية بهذه الأخبار التى تقول فيها..

المجلس المحلى الشعبى لمحافظة البحر الأحمر وافق فى إحدى جلساته التى تمت فى شهر وفاة المشير أبوغزالة على الاقتراح الذى تقدم به أحد أعضاء مجلس الشعب السيد/ محمد رفيع.. بإطلاق اسم الراحل المشير محمد عبدالحليم أبو غزالة على أحد الشوارع الرئيسية فى منطقة القرى السياحية، بالإضافة إلى أحد الميادين الكبرى فى مدينة الغردقة، وذلك تقديراً وتخليداً للراحل.. وطالب المجلس الوحدة المحلية لمدينة الغردقة بتنفيذ الاقتراح ،ووضع لافتات بالشارع والميدان، وإدراجه فى الخرائط التى تصدر عن المدينة[1].

ووافق أيضاً المجلس المحلى لمحافظة البحيرة على إطلاق اسم المشير محمد عبد الحليم أبوغزالة على الطريق الدائرى المار بمدينة الدلنجات، والذى يبدأ من مدخل مدينة الدلنجات مروراً بميدان حاملة السنابل، وحتى نهاية الطريق، وذلك تخليداً لذكراه، نظراً لجهوده فى المجال العسكرى، وبما أنه يعد من أشهر أعلام البحيرة.

نوع من التكريم.. نعتقد أنه يستحق أكثر من هذا.. ومازلنا ننتظر التكريمات الأخرى التى يستحقها عن جدارة.

---

(١) جريدة المصرى اليوم، الثلاثاء ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٨ .



إكليل من الزهور يهديه إلى روحه رئيس الجمهورية وصديقه .. الرئيس مبارك



أوسمة ونياشين حصل عليها المشير أبو غزالة



لقطات من جنازة المشير أبو غزالة



الرئيس مبارك ووزير الدفاع المشير طنطاوى ورئيسا مجلسى الشعب والشورى والإمام الراحل طنطاوى وكبار رجال الدولة وأسرة المشير أبو غزالة يتصدرون جنازته .. ويلقون نظرة الوداع عليه.

غ . م م. أول صبح التهامي حسن
غ . م م. أول مصطفى اسماعيل علي
غ.م م. أول احمد ابراهيم سليم
غ.م م. أول عدلي كامل حنفي
لواء م. أول محمد عبد الحليم ابو غزالة
لواء م. أول احمد عباس عمر البحيري
رائد احمد كامل حنفي
لواء نقيب منير محمد سامي طاهر

(القنال)

نقيب عبد العزيز عبد الله فكري سليم
نقيب حسين محمد حمزه
غ . م م. أول أحمد محمود أحمد
لواء رائد محمود أحمد ابو زيد المنياوي
غ . م نقيب عبد المنعم خليل عطيه
لواء نقيب عمر محمد بدر الدين
م. أول محمد سعيد محمد الشعراوي
م. أول محمود المرسي حسين
م. أول شرف اسماعيل تراد
م. أول جلال محمود فهمي المربدي
عميد نقيب محمد عثمان محمد
نقيب أنور صادق المشلب
غ . م م. أول محمد علي يوسف
غ.م م. أول عبد المنعم مصطفى عبد ربه
غ . م م أول بهجت عبد العزيز

غ . م رائد عاطف محمد عبده سعد
غ.م نقيب محمد أحمد حسن
غ.م نقيب محمود حسين عبد الناصر

(الحدود)

مقدم محمد عادل لطفي
غ . م مقدم محمود زكي عبد اللطيف
نقيب أحمد لطفي السيد واكد
غ . م نقيب محمد علي بشير

ثالثا : الاسكندرية :

مقدم/ عبد الرؤوف حسن نافع
معاش نائب وزيرنقيب/ ابراهيم بغدادي
لواء م رائد/ محمد علي محمد الوردانى.
لواء م رائد/ ممدوح جاد تهامي
لواء م رائد/ أحمد فهمي طويلة
لواء م نقيب/ عبد العزيز فهمي عبد الرحيم
لواء م نقيب/ أحمد عبود الزمر
نقيب/ أحمد حسن نافع
نقيب/ محمد حبيب حمزه
غ . م م. أول/ محمد حسن مبروك
عميد م نقيب عبد الله رضا اباظة
نقيب/ صلاح الدين السيد حنفي
مقدم/ احمد عاطف نصار
غ . م مقدم/ صلاح الدين السيد قنصوة
لواء م مقدم/ محمد الشافعي عبد الهادي
لواء م رائد/ عباس محمد عوض الله
رائد/ مصطفى محمود فهمي الميسري
رائد/ ابراهيم محمود ابراهيم محمد
رائد/ محمود محمود الغراب

بعض أسماء الضباط الأحرار

شهادة اللواء عبدالمنعم سعيد

صحيح أن من قرأ ليس كمن عاصر وشاهد وتعامل ـ إلا أننى شعرت بصدق التعبير وسلاسة اللغة وعمق التنقيب والدراسة والبحث عن الشخصية الفذّه للفقيد المشير محمد عبدالحليم أبوغزالة رحمه الله الذى كان محط أنظار الجميع، لم يهجه أحد، بل أحبه وقدّره كل من شاهده أو عاصره ـ فما الحال مع من تعامل معه وخدم تحت قيادته سنوات وسنوات طالبا أو ضابطا أو قائدا ولمس معدنه الأصيل الذى عبّر عنه الكتاب إلى حدّ بعيد ـ وأعتقد أن الكتاب سيسعد به كل من يقرؤه ـ سواء عاصره أو لم يعاصره ـ واستمتع بالتعرف على القائد الفذ والإنسان العظيم الذى ترك فى نفوس الجميع ذكرى عطرة ـ رحمه الله وأثابه خير ثواب وألهم آله وصحبه الصبر السلوان.

لواء متقاعد/ عبدالمنعم سعيد

الخاتمة

حقاً ... لم يكن المشير أبوغزالة محطة قطار مر عليها المسافرون، ولكنه كان منتهى حلم العاشقين فى صفاته، وتواضعه، وسطور حياته.. وظل النداء المتكرر الذى يدعونا دائماً إلى الأفضل، وأحمد الله أن مكننى من ذكر تلك الحقائق، فإن فى الأعناق حقوقاً وديوناً وأعلى هذه الحقوق أن نعطى لكل ذى حق حقه..

وكما قال الشاعر العربى قديماً:

فلو كان فيض الدمع ينفع باكياً فإن ... لعلمت غـرب الدمع كـيف يسـيل
غـاب بدر فـالنجـوم طوالعٌ ... ثوابت لا يقـضى لهن أفـول
يغـاث بهـا فى ظلمـة الليل حـائر ... ويسـرى عليـهـا بالفـراق دليل

وننهى حديثنا عن هذه الشخصية الثرية بكلمات اللواء محمد طلبة والتى يقول فيها: "هل يشفع لهذا الرجل عند الله سبحانه وتعالى عمله واجتهاده طيلة حياته؟ هل يشفع له علمه وتعليمه لآلاف من الضباط؟ هل يشفع له حبه لله وللرسول وللكتاب الكريم؟ هل يشفع له حبه لأسرته وأولاده وأحفاده وصبره على وفاة ابنه واحتسابه له وديعة عند ربه؟ هل يشفع له محاربته للإسرائليين وتكبيده لهم أكبر خسائر ممكنة؟ هل يشفع له صبره على مرضه اللعين والذى تحمله بشجاعة فائقة ولم يشك ولو بكلمة آه، لعلمه بأن كل شئ من عند الخالق سبحانه وتعالى؟ هل يشفع له ظلم الآخرين وحقدهم والذى قابله دائماً بالتسامح والتغاضى عن السيئات؟ ..

يارب هذا عبد من عبادك الأوفياء المخلصين، رزقته العلم وانتفع به وأعطيته المال وتزكى به، وأعطيته الجاه والعز والسلطة والنفوذ وشكر.. وأعطيته المرض اللعين وصبر، وأعطيته كل شئ ولم يصبه الغرور وحتى حينما حرمته من كل شئ تحمل ولم يتضجر وصبر..

اللهم اجعل مثواه الجنة، واحشره مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.. اللهم هل بلغت ..اللهم فاشهد"..

كلمة أخيرة لابد من ذكرها.. إنه عمل قمت بإعداده فيما يزيد على العام وعدة شهور فى مراجعته والتصديق عليه من الجهات المختصة بوزارة الدفاع.. شهادات حية من رجال عرفوه وعملوا معه عن كثب.. وقد اعتمدت على أرشيف صحفى ثرى وضخم عنه.. إنه كتاب هدية يقدمها إليه أحباؤه فى ذكرى وفاته الأولى.. لنؤكد أنه رحل بجسده فقط، ولكن روحه مازالت ترفرف حولنا ونستظل بها.. فهو موجود بيننا جميعاً بأعماله وإنجازاته وبطولاته، وكل ما قدمه لمصر والقوات المسلحة، ومن عرفه ومن لم يعرفه.. رحمه الله وتغمده برحمته.. وكما قلت فى البداية إن هذا العمل نواة لكتب أخرى يمكن أن تعد عنه وعن أعماله والجوانب الأخرى التى لم أتطرق لها كما ينبغى.. أتمنى أن أكون قد وفقت فى أداء مهمتى.. مع شكرى لقراء هذا الكتاب، وقبلهم كل من سجل كلمته أو ساعد فى ظهور هذا الكتاب وهم كثيرون.

ورحمة الله على من سجلوا كلمتهم وتوفوا قبل إصدار الكتاب وهم اللواء حسن الجريدلى واللواء أحمد شوقى والأستاذ جمال كمال والحاج محمد .. ودعواتى بالشفاء للواء عبد الرحمن الهوارى .. أكثر من ساعدنى فى البحث عن المصادر وترشيح قادة للحديث عن المشير أبو غزالة.

وتستمر المسيرة مع بطل آخر من أبطالنا العظماء ورموزنا الشامخة فى سماء مصرنا الحبيبة.

أميرة فكرى

القاهرة/ مدينة نصر



- الأرشيف الصحفى للمشير أبوغزالة.
- صحف ومجلات مصرية وعربية، صدرت قبل وفاته، وبعدها .
- مواقع إلكترونية عديدة.
- كتاب مذكرات ضابط مصرى "اللواء حسن الجريدلى ".. إعداد، أميرة فكرى.
- مذكرات المشير الجمسى.
- كتاب حرب رمضان، اللواء حسن البدرى، اللواء طه المجدوب، العميد ضياء الدين زهدى.
- كتاب طريق مصر إلى القدس «د.بطرس غالى».
- إصدارات المشير أبوغزالة.
- برامج تلفزيونية ووكالات أنباء عالمية.

المقابلات:

- **الفريق عبدرب النبى حافظ: الدفعة ٤٩**، تولى العديد من المناصب القيادية منها قائد الفرقة ١٦ خلال أكتوبر، سكرتير عام وزارة الدفاع، رئيس هيئة العمليات، رئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق
- **الوزير توفيق عبده إسماعيل: الدفعة ٤٩**، من الضباط الأحرار، سلاح

الفرسان، وزير الطيران والسياحة الأسبق، عضو مجلس الشعب عن دائرة دكرنس "الدقهلية" لعدد من الدورات السابقة..

● **الفريق صفى الدين أبو شناف:** تولى العديد من المناصب القيادية، شارك فى حروب مصر المعاصرة، رئيس أركان لواء مشاة ميكانيكا، ثم قائد له فى حرب أكتوبر، رئيس هيئة التنظيم والإدارة، رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقا.

● **الفريق أحمد صلاح عبد الحليم:** شارك فى حروب مصر المعاصرة، تولى عددا من الوظائف القيادية، قائد قطاع بورسعيد خلال حرب أكتوبر، قائد الجيش الثانى الميدانى، رئيس هيئة العمليات سابقاً، خبير استراتيجى.

● **اللواء عبد المنعم خليل:** شارك فى الحروب المعاصرة، تولى العديد من الوظائف القيادية، تولى قيادة الجيش الثانى الميدانى والمنطقة المركزية، مساعد وزير الدفاع للتوجيه المعنوى سابقاً، خبير استراتيجى.

● **اللواء حسن الجريدلى**: تولى العديد من الوظائف، شارك فى حروب مصر، سكرتير عام وزارة الحربية، رئيس هيئة العمليات سابقاً، خبير استراتيجى.

● **اللواء منير شاش:** تولى العديد من الوظائف، قائد مدفعية الجيش الثالث خلال حرب أكتوبر، مدير سلاح المدفعية سابقاً، محافظ شمال سيناء سابقاً، خبير استراتيجى.

● **اللواء يسرى خطاب:** سلاح المدفعية، صديق شخصى للمشير أبوغزالة .تولى العديد من الوظائف وشارك فى حروب عديدة.

● **اللواء عبد المنعم سعيد:** شارك فى حروب مصر المعاصرة، وتولى العديد من الوظائف، قائد الجيش الثانى، رئيس هيئة العمليات السابق، محافظ جنوب سيناء والسويس والبحر الأحمر ومطروح، خبير استراتيجى.

● **اللواء محسن حمدى:** رئيس اللجنة العسكرية لاستلام سيناء، ورئيس الوفد السياسى العسكرى لحل مشكلة طابا.. شارك فى العديد من الحروب، وتولى العديد من الوظائف.. خبير استراتيجى.

● **اللواء محمد عباس منصور:** تولى العديد من الوظائف، شارك فى حروب

مصر المعاصرة، رئيس عمليات مدفعية الجيش الثانى الميدانى خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، قائد مدفعية الرئاسة العامة، خبير استراتيجى.

● **اللواء عبد الجابر أحمد:** قائد فوج مضاد للدبابات، قائد مدفعية المنطقة الجنوبية سابقاً .. عضو اتحاد كرة القدم، خبير استراتيجى.

● **اللواء حسنى سليمان:** رئيس أركان مدفعية الفرقة الثانية، مدير إدارة المدفعية، مساعد وزير الدفاع سابقاً.

● **اللواء عبدالرحمن الهوارى:** شارك فى حروب مصر المعاصرة، تولى العديد من الوظائف، عمل ضمن مجموعة الإعداد والتخطيط للحرب على مستوى القيادة العامة أثناء الاستنزاف وأكتوبر، حاصل على ماجستير من كلية القادة والأركان ودكتوراة فى التاريخ الحديث، خبير استراتيجى.

● **اللواء على هيكل:** تولى العديد من الوظائف، شارك فى حروب مصر المعاصرة، قائد وحدة صاعقة فى الجيش الثانى خلال حرب أكتوبر، ومن فريق التتس وأصدقاء المشير أبوغزالة.

● **اللواء فريد حجاج:** شارك فى حروب مصر المعاصرة، تولى العديد من الوظائف، ضابط بالفرقة ١٩ بالجيش الثانى خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، مدير معهد المدفعية، مساعد مدير أكاديمية ناصر.

● **اللواء دكتور حسام خيرت:** شارك فى حروب مصر المعاصرة، شارك كثيرا فى بحوث التطوير والتصميم الفنى فى وزارة الدفاع، تولى عددا من الوظائف، رئيس البحوث الفنية والمشروعات الخاصة بوزارة الدفاع.

● **اللواء محمد عبد المنعم طلبة:** شارك فى حروب مصر المعاصرة، خدم فى جميع وظائف سلاح المدفعية، قائد مدفعية الجيش الثالث، قائد مدفعية الرئاسة العامة، مساعد مدير المدفعية، مدير مركز الدراسات الاستراتيجية سابقاً.

● اللواء يحيى خليفة: سلاح المدفعية، شارك فى حروب مصر المعاصرة وتولى العديد من المناصب القيادية، مدير إدارة التجنيد سابقاً.

● **اللواء محفوظ حمدى:** تولى العديد من المناصب، قائد الجيش الثانى، ملحق عسكرى بفرنسا، رئيس هيئة العمليات، مساعد وزير الدفاع سابقاً.

● **اللواء أحمد فخر:** شارك فى حروب مصر المعاصرة، تولى العديد من

الوظائف القيادية والأكاديمية، مدير كلية الدفاع الوطنى، مديرأكاديمية ناصر العليا، مستشار إعلامى لوزير الدفاع سابقا، خبير استراتيجى.

● **اللواء حسنى السبع: الدفعة ٤٩،** شارك فى حروب مصر المعاصرة، تولى العديد من المناصب القيادية.

● **اللواء عطية سليمان: الدفعة ٤٩،** تولى العديد من المناصب، قائد المنطقة المركزية، مساعد وزير الدفاع سابقاً.

● **اللواء مسعد ششتاوى:** شارك فى حروب مصر المعاصرة، تولى العديد من المناصب، شارك فى عمليات الجيش الثالث خلال حرب أكتوبر، رئيس شعبة عمليات المنطقة المركزية، خبير استراتيجى.

● **اللواء عبد المنعم كاطو:** شارك فى حروب مصر المعاصرة، تولى العديد من الوظائف القيادية، أثناء حرب أكتوبر، شارك فى عمليات الجيش الثانى، ملحق عسكرى بالعراق سابقا، وخبير استراتيجى.

● **العميد أحمد صالح:** سلاح المدفعية، شارك فى حروب مصر المعاصرة، تولى عددا من المناصب، من فريق التنس وأصدقاء المشير أبوغزالة.

● **السيد جمال الليثى: الدفعة ٤٩،** من الضباط الأحرار، منتج سينمائى.

● **السيد سامى شرف:** الدفعة ٤٩ وسكرتير الرئيس جمال عبدالناصر..

● **القبطان وسام حافظ:** كبير مرشدى هيئة قناة السويس وأحد رجال المجموعة ٣٩ قتال.

● **الصحفى جمال كمال:** كبير المحررين العسكريين، أشرف على جريدة القوات المسلحة المصرية، نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية وصديق شخصى للمشير أبوغزالة.

● **الصحفى شوقى حامد:** عميد سابق بالقوات المسلحة، شارك فى عدة حروب مصرية، رئيس تحرير مجلة النصر، المستشار الإعلامى لوزير الدفاع سابقاً..

● **طباخ السيد المشير:** الحاج محمد مرسى.

● **بعض أصدقائه وزملائه** فى نادى الجلاء من فريق التنس.

● **بعض أطقم السرفيس،** والعاملين فى نادى الجلاء.

الكاتبة فى سطور

أميرة فكرى أحمد

- من مواليد المنصورة
- ليسانس الآداب علم نفس جامعة المنصورة ١٩٩٧
- دبلومة عامة في التربية جامعة المنصورة ١٩٩٨
- دبلوم علاقات عامة كلية إعلام جامعة القاهرة ٢٠٠٢
- نشرت قصصًا قصيرة ومقالات وتحقيقات صحفية فى العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية والعسكرية.

أهم إصداراتها العسكرية :

- كتاب "المشير أحمد إسماعيل على.. بطل لا يعرفه كثيرون"، سيرة ذاتية عسكرية/ دار بن لقمان للنشر ٢٠٠٤.. طبعة أولى
- كتاب (الفريق عبد المنعم رياض.. القدوة والرمز).. كتاب الجمهورية سبتمبر ٢٠٠٦
- كتاب (خفايا واسرار من غرفة عمليات حرب ٦ اكتوبر).. كتاب الجمهورية شهراكتوبر ٢٠٠٧.. مذكرات اللواء حسن الجريدلى
- احمد إسماعيل بطل لا يعرفه كثيرون.. الطبعة الثانية.. كتاب الجمهورية شهر اكتوبر ٢٠٠٨
- كتاب الفريق عبد المنعم رياض رمز العسكرية المصرية، إصدار مكتبه الأسرة ٢٠٠٩
- كتيب عن المشير أحمد إسماعيل، إصدار إدارة الشئون المعنوية، وزارة الدفاع خلال احتفالات اكتوبر ٢٠٠٩

إصدارت أخرى :

- كلمات بالسيلوفان (قصص قصيرة)، دار الدفاع للطباعة والنشر.. ٢٠٠٢
- كتاب جوانتانامو.. المعتقل الرهيب.. ٢٠٠٦

- كتاب حقيقة البهائية حتى لا تنخدع!!.. دار هلا للنشر ٢٠٠٧
- كتاب عروسة ماريونيت، قصص قصيرة، دار اكتب ٢٠٠٩

جوائز وميداليات:

- حصلت على العديد من المراكز الأولى والمتقدمة فى كتابة القصة على مستوى مصر والعالم العربى أكثر من مرة.
- رشحت لتمثيل مصر فى مهرجان قرطاج ومهرجان الشباب بليبيا.
- حصلت على الميدالية البرونزية فى كتابة القصة فى مهرجان الشباب العربى التاسع بالإسكندرية.
- حصلت على الدورة الثامنة للمحررين العسكريين باكاديمية ناصرالعليا ٢٠٠٢ .
- حصلت على الدورة ١٧ للمحررين العسكريين باكاديمية ناصرالعليا ٢٠٠٩ .
- حصلت على دورة الأزمات والتفاوض رقم ٢٥ بكلية الدفاع الوطنى باكاديمية ناصرالعليا ٢٠١٠ .

العضويات:

- عضو اتحاد الكتاب المصرى
- عضو المكتب الدائم للكتاب الأفرو آسيويين
- عضو رابطة الإخصائيين النفسيين
- عضو ساقية الصاوى الثقافية.

للتواصل مع الكاتبة.. إلكترونياً
Amira-fikry@hotmailcom

الفهرس

الموضوع	صفحة
الإهداء	٣
مقـــدمة	٥
الفصل الأول	
النشاة والحياة العسكرية	٩
الفصل الثانى	
الرحلة العسكرية تحديات وإنجازات	٢٥
الفصل الثالث	
هزيمة يونيو هى التى صنعت مجد أكتوبر	٤٥
الفصل الرابع	
الفترة من أواخر ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٣	٥٧
الفصل الخامس	
أبوغزالة.. بطل من أبطال أكتوبر	٧٥
الفصل السادس	
حرب أكتوبر فى عيون رجالها	٨٩
الفصل السابع	
مناصب هامة يختتمها بتوليه رئاسة أركان القوات المسلحة قبل اعتلاؤه قيادتها	١١٣
الفصل الثامن	
الفريق محمد عبدالحليم أبوغزالة قائداً عاما للقوات المسلحة	١٢٧
الفصل التاسع	
أحداث وقعت أثناء خدمته	١٥٣
الفصل العاشر	
مقابلات وذكريات مع رجال وشخصيات عاصرته أو تعاملت معه	١٧٧
الفصل الحادى عشر	
مواقف إنسانية	٢٢٩
الفصل الثانى عشر	
المشير أبوغزالة فى عيون أحبائه	٢٥١
الفصل الثالث عشر	
المرض.. الوفاة.. الجنازة.. ما قيل بعد وفاته	٢٦٧
الخاتمة	٢٨٤
المراجع	٢٨٦

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع : ٢٠٧٦٧/٢٠٠٩
الترقيم الدولى : I.S.B.N - 977-236-700-9

كتاب الجمهورية

المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة (مسيرة حياة)

أميرة فكري

الثمن ١٥ جنيهاً